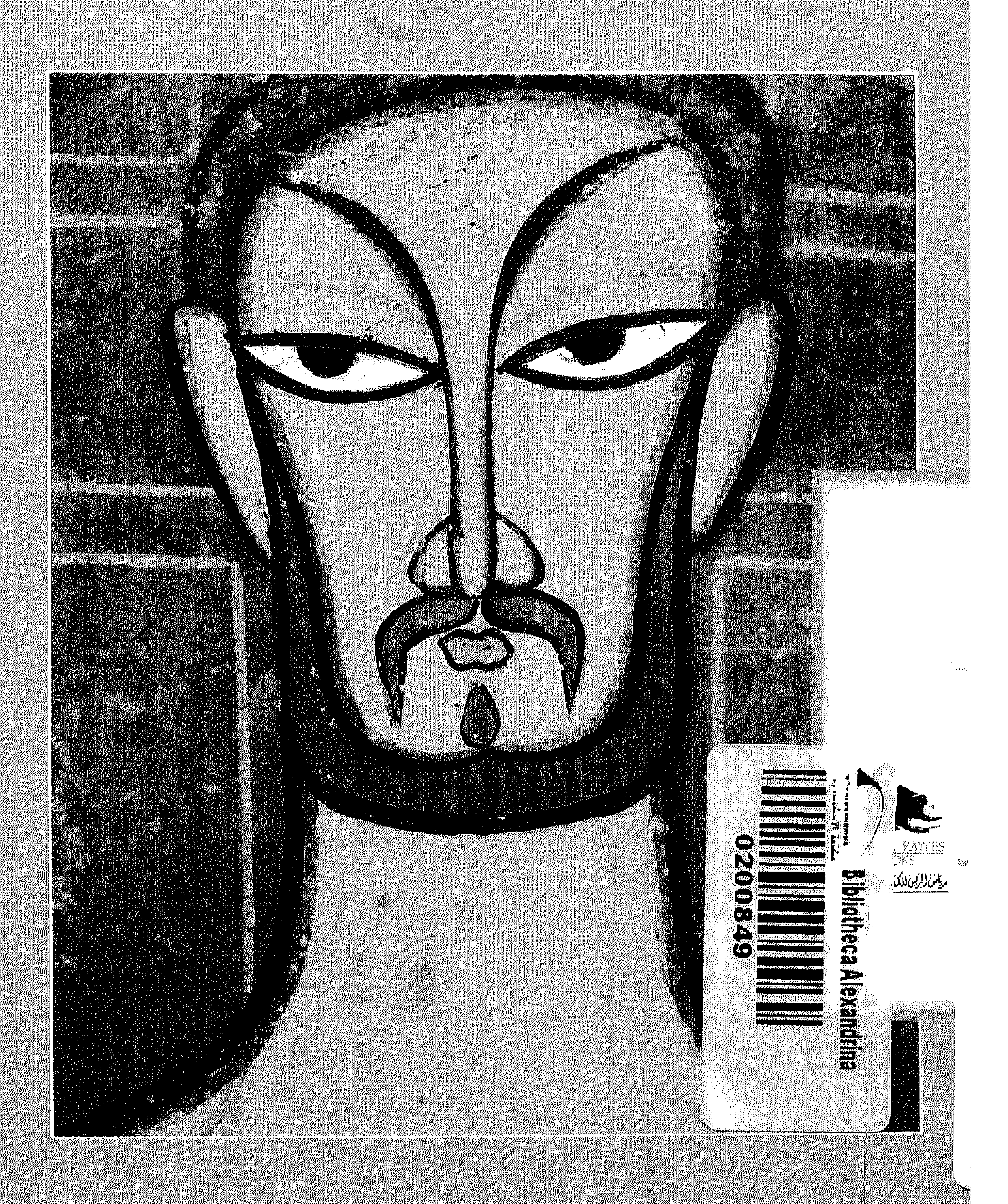
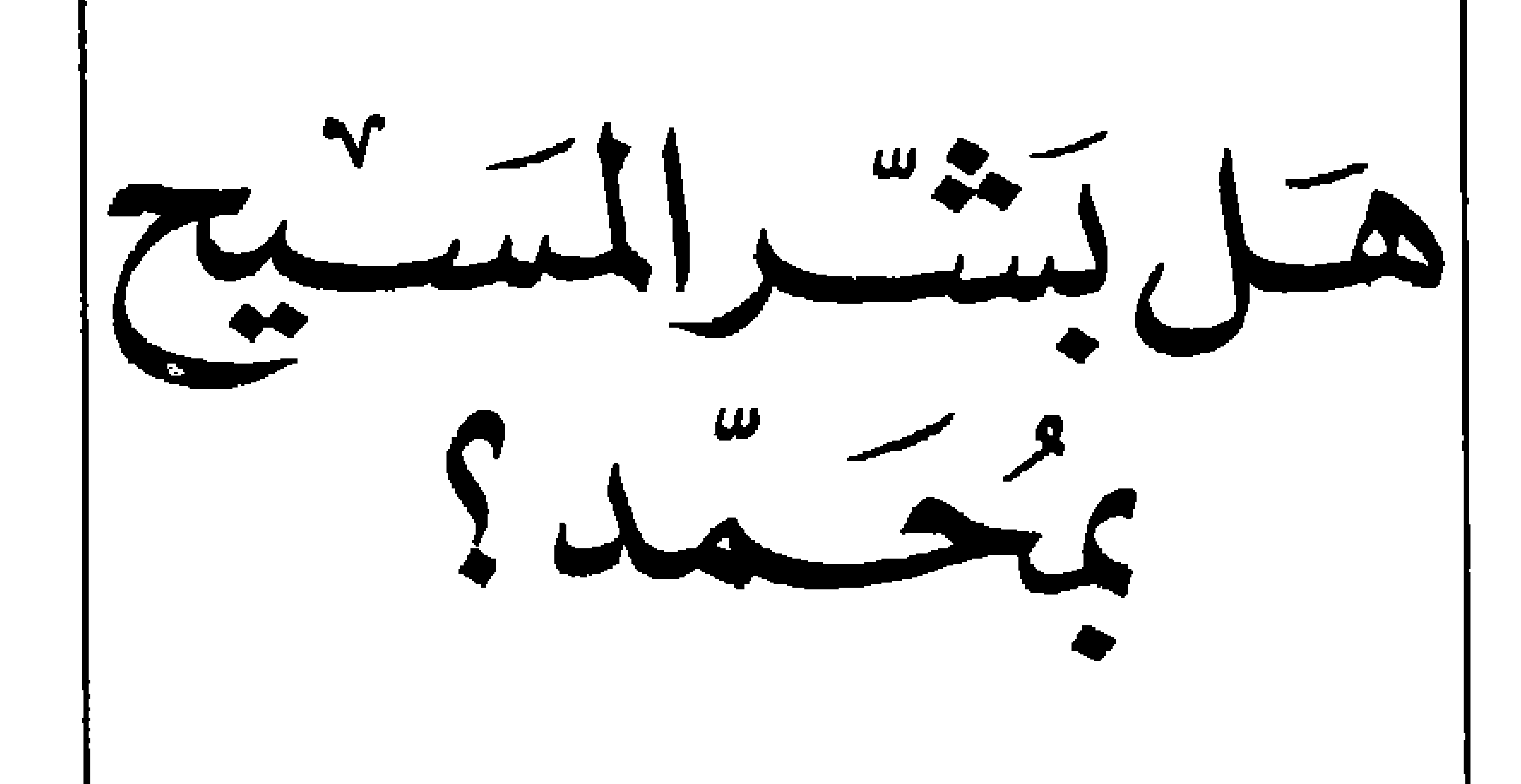
نبيل الفضل

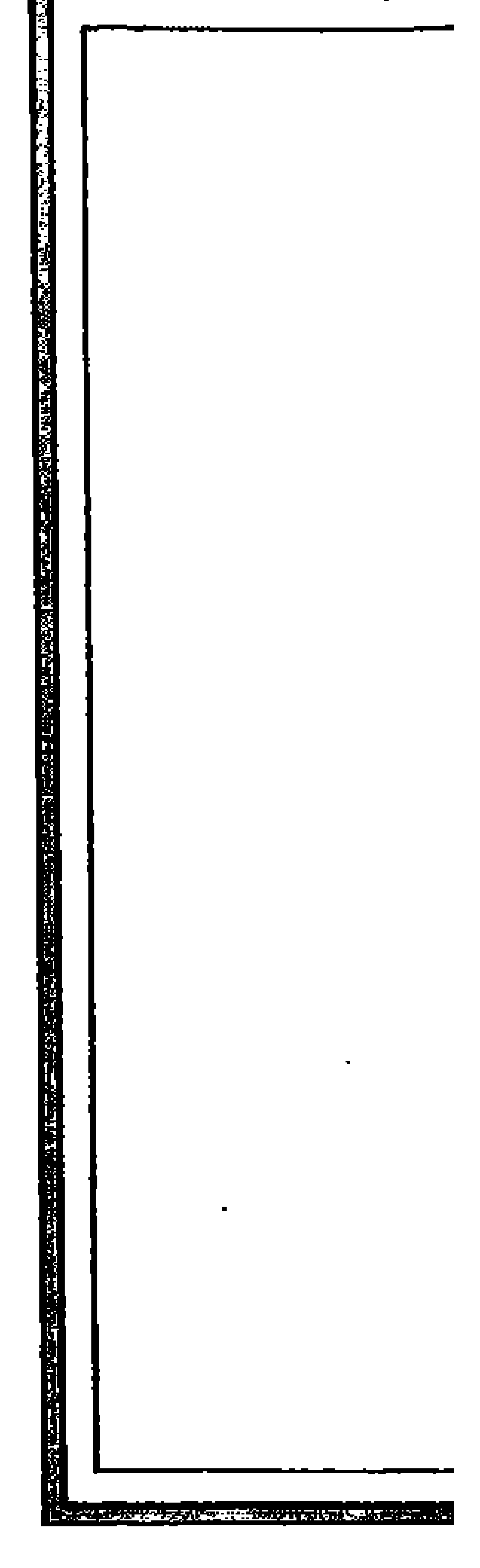


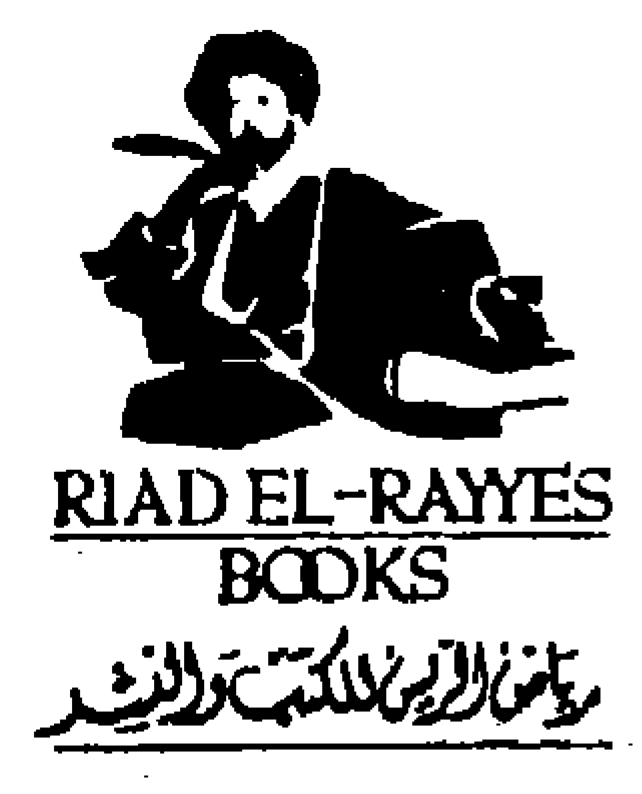
هَل بَشَّر المَسِيح
بِمُحَمَّد ؟

نبيل الفضل



هل بشّر المسيح بمحمّد؟





56 Knightsbridge, London SW1X 7NJ

DID JESUS FORETELL THE ADVENT OF MOHAMMED

by

NABIL AL– FADL

First Published in the United Kingdom in 1990

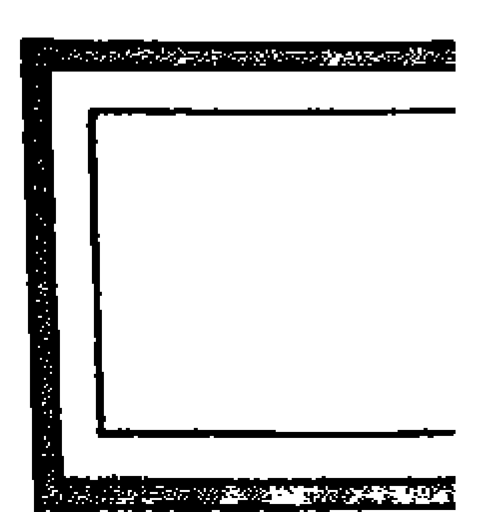
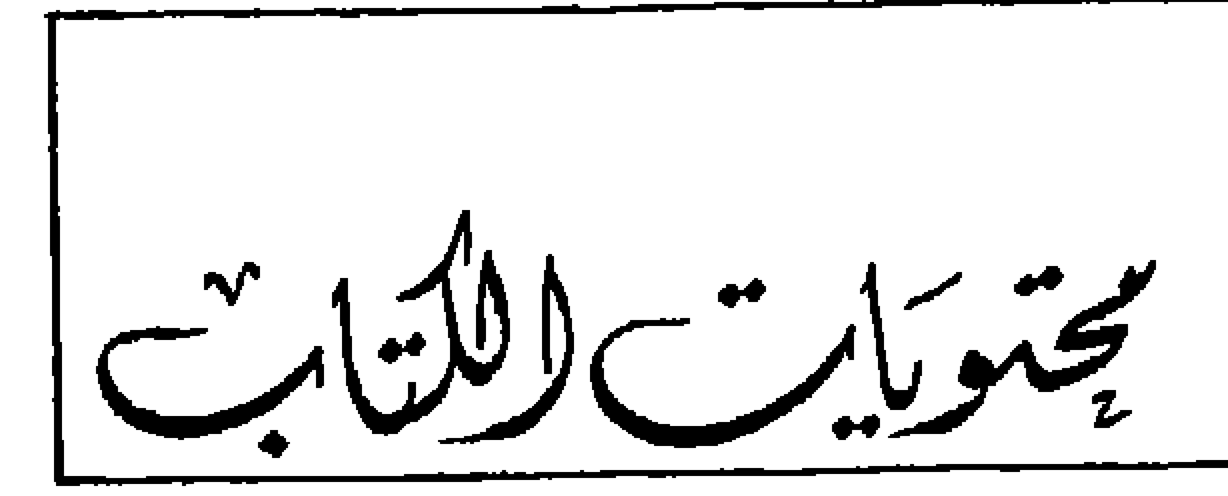
56 Knightsbridge, London SW1X 7NJ

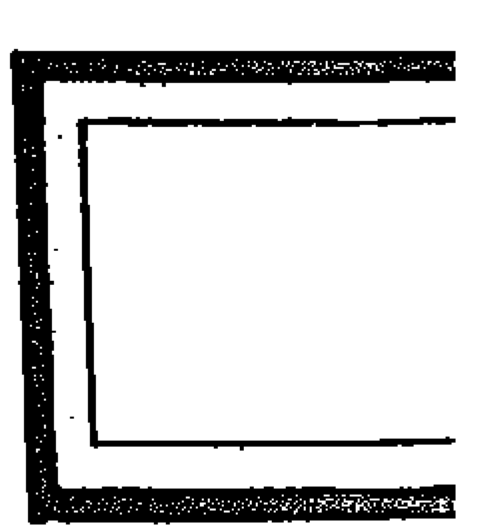
British Library Cataloguing in Publication Data
al – Fadl, Nabil
Did Jesus Foretell the advent of Mohammed.
1. Bible N. T. Special subjects. (Prophet) Muhammad
I. Title
297.63

ISBN 1-85513-028-9

الطبعة الأولى: تشرين الأول / اكتوبر ١٩٩٠

«من أجـل هذا أكلّمهم بـأمثـالٍ لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون»
المسيح بن مريم
«متى ص ١٣ : ١٣»



محتويات الكتاب



مُقدّمة

للذين لم يقرأوا الكتاب المقدس(*)، والذين قرأوه بلا تمعّن ودراسة، نود أن نوضح بعض النقاط قبل الدخول في فصول هذا الكتاب.

أول الأمور التي يجب معرفتها أن الكتاب المقدس، هو في الواقع كتاب يشمل التوراة اليهودية بالإضافة إلى تعاليم المسيح عليه السلام وتبشيره.

والكتاب المقدس مقسّم إلى عهدين، الأول هو العهد القديم والثاني هو العهد الجديد.

أما العهد القديم فهو يحوي ٣٩ كتاباً تشكّل ما نسبته ٧٩ بالمائة من مجموع كتاب الإنجيل. وهذه الكتب تحوي الكتب الخمسة الأولى التي يقال إنها نزلت على «موسى»، أو كتبت بيده عليه السلام. وتسمى التوراة أي الشريعة، وهو يحوي كذلك ما يسمّيه المسلمون بالزبور وهو ما أنزل على «داود» عليه السلام.

كما إنها تحوي ما كتبه آخرون من الرسل والأنبياء، أو ما كتب عنهم من قبل الآخرين. وأصول العهد القديم موجودة ومحفوظة باللغة العبرية القديمة.

ويطلق اسم التوراة على العهد القديم من باب التعميم. والتوراة هي كتاب اليهودية، ولكن اليهود فيما بينهم مختلفون حول ما يؤخذ به وما لا يؤخذ به من التوراة. فالبعض لا يقبل سوى كتب «موسى» الخمسة فقط،

(*) الكتاب المقدس: يعني العهد القديم، والأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، والرسائل، وسفر الرؤيا.

والبعض الآخر يقبل بها مع بعض الكتب الأخرى، وآخرون يأخذون بجميع ما هو مكتوب في التوراة.

والذي يجب ملاحظته أن التوراة كتبت على فترات من التاريخ تقدر بنحو الف ومئتي سنة. وما يسمى بالأصول لهذه الكتابات، إنما يعني مخطوطات قديمة ولا يعني أنها الكتب الأصلية التي كتبها «موسى» عليه السلام أو «داود» أو غيرهما من الرسل.

فالمتفق عليه أن ما أنزل الله على «موسى» مثلاً، كان مكتوباً على ألواح من حجر. ولكن هذه الألواح غير موجودة الآن، ولم يعرف لها مكان منذ زمان «موسى». وكذلك بالنسبة لما كتب من بعد «موسى»، لا توجد أصول لما خط بيد كاتبها أو كتبتها. بل إن الأمر أكثر تعقيداً عندما نعرف بأن بعض الكتب لا يعرف كاتبها وإنما هي تنسب إليه، وفي أحيان أخرى نجد أن كتاباً أو سفراً ما، ينسب إلى شخص ما، ويقال إن بعضاً منه كتبه شخص آخر.

وهذه المشكلة تتكرّر في العهد الجديد بصورة واضحة. فكل إنجيل في العهد الجديد إنما ينسب إلى شخص ما، أو رسول ما.

إلا أن العهد القديم يتفوّق على العهد الجديد، بأن ما يعتبر أصولاً فيه، إنما هو مكتوب باللغة الأصلية لمن كتب تلك الكتب. فاللغة العبرية هي لغة «موسى» ومن تبعه من رسل وأنبياء نرى لهم تلك الأسفار.

في حين أن العهد الجديد يعاني من مشكلة أكثر تعقيداً، فبالرغم من أن اللغة الآرامية كانت هي لغة «عيسى» عليه السلام ولغة تلاميذه ومن انطلق يبشّر برسالته ودعواه، فإن ما نسميه بالأصول لأناجيل ورسائل العهد الجديد إنما هي موجودة باللغة اليونانية.

فليس هناك أصل للعهد الجديد باللغة الأصلية التي تكلم بها «عيسى» عليه السلام وتلاميذه. وهنا نجد مشكلتين.

الأولى: انه لا توجد أصول مكتوبة بيد من نسميهم كتبة الأناجيل أو الرسل المسيحيين. وكل ما يقال إن هذه الكتب منسوبة إلى أولئك الرسل وليس بينها إنجيل واحد منسوب إلى المسيح نفسه.

الثانية: أن تلك الكتب أو الرسالات توجد في أصول يونانية، أقدمها يرجع إلى مئتين وخمسين سنة بعد وفاة المسيح عليه السلام.

وهذه المعضلة أو المشكلة في اللغة تشكل عائقاً كبيراً في فهم العهد الجديد، لأن عملية الترجمة تفقد النص كثيراً من معناه وروحه في بعض الأحيان. وقد يسأل سائل عن سبب احتواء الكتاب المقدس المسيحي للتوراة اليهودية بين غلافيه؟

والجواب هو في أن المسيح نفسه قد قال:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل.[١٨] فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل».

(متى ص ٥: ١٧ ـ ١٨)

أما لماذا اختلفت المسيحية عن اليهودية في بعض أحكامها بعد ذلك رغم ما قاله المسيح، فإنه أمر طويل ومعقد، ولكننا سوف نتطرق لبعضٍ منه لاحقاً.

الذي يجب أخذه في الاعتبار هو أن ما يسمى بالكتاب المقدس اليوم، إنما هو كتاب يحوي عهدين، قديم وجديد. وهو مقسّم إلى أسفار، جمع سفرٍ أي كتاب، في العهد القديم وأناجيل ورسائل في العهد الجديد.

وهذه الأسفار والأناجيل تنسب إلى رسل وأنبياء، كما إنها مقسّمة إلى «إصحاحات»، وهي فصول، «وأعداد»، وهي جمل أو بعض كلام.

وحتى نتوصل إلى الجواب على سؤال عنوان هذا الكتاب، فإننا سوف نمرّ خلال بعض المواضيع التي تساعدنا على فهم ما نحن بصدده.

وسوف نقوم بدراسة بعض النقاط المهمة حتى يتسنّى لنا التحقّق مما نحن بصدده، والذي نسعى لإثباته، إنما نسعى له باستخدام الكتاب المقدس ودراسة كتبه وأسفاره وإصحاحاته وأعدادها دون التطرّق إلى ما سواه من الكتب، إلا إذا استدعت الحاجة أو سياق الحديث.

وإذ نفعل هذا، فإننا نفعله لأن المسيحية واليهودية تدّعيان أن كل كتبهما هي وحي من الله. وأن هذه الكتب هي برهان على صدق ديانتيهما.

لذا، فقد وجب دراسة هذا البرهان ووضعه على محكّ الاختبار والدراسة، لنتبين مدى صدقه وحقيقته.

ولما كنا في النهاية نبحث عن نبوءة «عيسى» عليه السلام بـ «محمد» صلى

الله عليه وسلم. فإننا لا نجد غضاضةً في النظر لما يقول القرآن في المسيحية واليهودية اللتين يعترف بأصولهما ولكن لا يقرّ ما هو موجود فيهما.

وعلى قارىء هذا الكتاب أن يقرأه بيد ويمسك الكتاب المقدس(*) بيده الأخرى، حتى يعرف أن ما ننقل من الإنجيل إنما هو نقل حرفي لما هو مكتوب في كتب المسيحية.

نبيل الفضل

(*) النصوص الكتابية المنقولة، في هذا الكتاب، هي من طبعة الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
ARABIC BIBLE 053/ UBS-EPF 1987. 5. 3m.

ملاحظة: عندما يرى القارىء مثل هذه الرموز: (يوحنا ص ١٥: ٩ ـ ١١)، فإن ذلك يعني إنجيل يوحنا، إصحاح ١٥ ـ عدد ٩ إلى ١١.

فالاسم هو اسم السفر أو الإنجيل أو الرسالة، و «ص» هي إصحاح يتلوه رقم ذلك الإصحاح وما تلي النقطتين: فهو رقم العدد أو الأعداد.

الفصل الأول

كلام من ؟

اليهود والمسيحيون يقولون إن التوراة والإنجيل هما كتابا الله وكلامه. وإن ما بهما ليس من كلام البشر. وإن البشر الذين كتبوا كلام الله إنما كتبوه عن طريق الوحي والرؤيا.

بل ويزيد المسيحيون الذين يؤمنون بالتوراة ويشملونها بكتابهم الإنجيل، إن الوحي وكتابة ما يكون في الرؤيا إنما هو لفوائد معينة.

«كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر».

(٢ تيموثاوس ص ٣: ١٦)

فلننظر في الإنجيل ونأخذ بعض الأمثلة، لنرى إن كان الكلام هو كلام الله أم غيره. ولنرى إن كان ما هو موجود في الإنجيل نافع للتعليم والتوبيخ، أو التقويم والتأديب الذي في البر فقط.

أولاً:

«أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي. نطّقتك وأنت لم تعرفني [٦] لكي يعلموا مَنْ مشرق الشمس ومَنْ مغربها أن ليس غيري ـ أنا الرب وليس آخر [٧] مصوّر النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه».

(اشعياء ص ٤٥: ٥ ـ ٧)

كلام واضح. إنه صادر من الله وليس غيره، سواء كان كلاماً

مباشراً أو منقولاً على لسان أحد. ولكنه كلام الله وحده.

ثانياً:

«أنا أنا الرب وليس غيري مخلص».

(اشعياء ص ٤٣: ١١)

هنا أيضاً كلام الله في غاية الوضوح.

ثالثاً:

«التفتوا إليّ وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر».

(اشعياء ص ٤٥: ٢٢)

كلام الله لا محالة.

رابعاً:

«ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب [٣] وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الاله القادر على كلّ شيء».

(خروج ص ٦: ٢ ـ ٣)

هنا نجد كلام الله في العدد ٣. ولكن من نقل أو كتب هذا الكلام، لا بد أن يكون شخصاً ثالثاً غير الله وغير «موسى» عليه السلام.

فلو كان الله هو من بدأ الكلام لقال: «ثم كلّمت موسى وقلت له: أنا الرب»، ولو كان موسى هو من بدأ الكلام لقال: «ثم كلّمني الله وقال: أنا الرب». فمن ثم كان مؤكداً أن من نطق وكتب هذا الكلام هو شخص ثالث غير الله أو نبيِّه. وهو قد كتب ما شهد عليه أو سمع به.

خامساً:

«ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني».

(متى ص ٢٧: ٤٦)

هنا أيضاً نجد كلاماً لعيسى وهو يصرخ منادياً ربه: «إيلي إيلي لما شبقتني» وهي صرخة باليهودية لغة «عيسى». ولكن الكلام في مجمله واضح أنه كلام راوٍ للواقعة التي حدثت وليس كلام الله.

وربمـا يكون الكـلام، أو لا يكون، مـوحىً من الله. ولكن المهم أنه ليس كلام الله وليس كله كلام عيسى عليه السلام.

سادساً:

«فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيـل. الرب إلهنـا رب واحد».

(مرقس ص ١٢: ٢٩)

هنا أيضاً كلام ليسوع أو «عيسى» عليه السلام يـروى على لسـان شاهد. ولكنه ليس كلام الله.

سابعاً:

«فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحدٌ صالحـاً إلا واحد وهـو الله».

(مرقس ص ١٠: ١٨)

هنـا أيضاً كـلام للمسيح عليـه السلام ولكنـه يروى عـلى لسـان شاهد، ولكنه ليس كلام الله.

ثامناً:

«فـدخل يسـوع أورشليم والهيكل، ولمـا نظر حـوله إلى كـل شيء، إذ كان الـوقت قد أمسى، خـرج إلى بيت عنيـا مـع الاثني عشر[١٢] وفي الغـد لمـا خرجوا من بيت عنيا جاع[١٣] فنظـر شجرة تـين من بعيد عليهـا ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً، فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنـه لم يكن وقت التين».

(مرقس ص ١١: ١١ ـ ١٣)

لا نجـد هنا كـلام الله ولا كلام عيسى عليـه السلام، وإنمـا كـلام شخص آخر.

وهكـذا نجد أن الكتـاب المقدس مـليء بكلام الله وكـلام الأنبيـاء والرسل، وأكثر منه كلام أشخاص آخرين. لذا، فإننا لا نستطيـع ولا يستطيع غيرنا أن يقول إن الإنجيل هو كلام الله فقط.

وربما قال قائل بأن ما يقوله الأنبياء، إنما هو وحي من الله، فنقول لهم هذا صحيح إلى حدٍّ ما. وإن قال إن ما كتبه الرسل الآخرون هو وحي من الله حسب ما قال الرسول «بولس» في (٢ تيموثاوس ص ٣: ١٦) فإننا نقول: انظر إلى إنجيل «لوقا» واقرأ:

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقّنة عندنا [٢] كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاماً للكلمة [٣] رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس [٤] لتعرف صحة الكلام الذي علمت به».

(لوقا ص ١: ١ ـ ٤)

كلام في غاية الوضوح. إن «لوقا» وهو يخاطب شخصاً اسمه «ثاوفيلس» يقول له: إذا كان الكثيرون قد ألّفوا قصصاً عن المسيح ورسالته، فإنه، أي «لوقا» يرى في نفسه شخصاً أكثر كفاءة من غيره في الكتابة عن المسيح ورسالته لأنه كان متتبعاً لكل شيء منذ البداية. و «لوقا» لا شك أكثر كفاءة من غيره من تلاميذ المسيح. ففي حين أن تلاميذ المسيح من غير المتعلمين، فإن «لوقا» كان طبيباً متعلماً.

ولكن العبرة النهائية هي في أن «لوقا» نفسه قد قرر أن يكتب رسالته عن المسيح، ولم تكن حسب رؤيا أو وحي من الله. وهو لم يقل بأن الروح القدس قد هبط عليه وأملى عليه ما يكتب أو هداه لما يجب أن يكتب.

ولنقرأ ما يقول الرسول «يوحنا»:

«والذي عاين شهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم».

(يوحنا ص ١٩: ٣٥)

هنا أيضاً نجد أن «يوحنا» يقول إن ما يرويه هو عن معاينة وليست عن وحي، رغم إيمانه بأن ما يقول به هو حقٌ.

ولنقرأ ما يقول يوحنا أيضاً في آخر رسالته:

«هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق .[٢٥] وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة».

(يوحنا ص ٢١: ٢٤ ـ ٢٥)

فبالرغم من مبالغة «يوحنا» في العدد ٢٥، إلا أنه يصرّح بأن المكتوب ما هو إلا ما كتب التلميذ الذي يشهد على ما يقول. ولم يقل إنه وحي من الله. والأهم من ذلك أن المسيح لم يكتب شيئاً في حياته ولم يطلب من تلاميذه كتابة شيءٍ. بل كان يرسلهم للتبشير به تبشيراً لفظياً لا كتابة فيه.

فإن كان التلاميذ قد قاموا بالكتابة بعد المسيح كما يقول «لوقا» و «يوحنا»، فإن المؤسف أن كتاباتهم غير موجودة. وكل ما هو متوفر عندنا لما قالوا أو كتبوا موجود باللغة اليونانية التي لم تكن لغة المسيح وتلاميذه، وحتى هذا ما هو إلا كلام مكتوب ومنسوب إلى الرسل والمبشّرين وتلاميذ المسيح. هذا بالإضافة إلى ما تفعله الترجمة باللغة الأصلية. وسوف نضرب مثلاً على ذلك: ـ فاسم المسيح هو «يسوع»، أو «يوشا»، أو «يشوا». ولكنه عندما كتب باليونانية كتب «JESUS» «جيسوس»، مع أن حرف «J» لا وجود له في اللغة العبرية أو الآرامية، إلا أنه عمّم على أسماء كثيرة: يعقوب «JACOB»، يوسف «JOSEPH»، يوحنا «JOHN». فكل اسم يبدأ بحرف (ي) تحول إلى (J). والأدهى أن الترجمة أتت على الأسماء. فالمسيح حولت إلى «CHRISTOS» ومنها إلى «CHRIST»، وأصبح اسم المسيح هو «CHRIST» باللغات الأوروبية. مع أن المسيح عليه السلام لم يسمع بهذه الكلمة أو هذا الاسم في حياته.

وكذلك تلميذه «سيمون» أو «سمعان»، عندما قال له المسيح: أنت الصخرة التي سأبني عليها كنيستي. ترجمت كلمة صخرة إلى «PETEROS» ثم إلى «PETER»، وأصبح اسم «سيمون» هو «PETER»، الذي لم يسمع به «سيمون» في حياته.

الرسول «PAUL». اسمه الحقيقي «SAUL»، «سول» حرّف إلى «PAUL»، ثم نقل بعد ذلك إلى العربية باسم «بولس».

فإذا كان هذا فعل الترجمة بالأسماء، فما بالك في فعلها بباقي الكلام والأحرف من هذا كله. إنّنا لو قرأنا الإنجيل من أوله إلى آخره، فلن نجد كلمة «BIBLE»، وهي الكلمة المرادفة لإنجيل في اللغات الأوروبية. وذلك لأن كلمة «BIBLE» مشتقة من الكلمة اليونانية «BIBLOS» التي تعني «كتاب».

وهكذا كتاب بين أيدينا، لا نعرف مَنْ كتبه، ولكننا ننسبه إلى رسل وأنبياء معينين ولا توجد أصول له. ونقول عنه إنه كلام الله، في حين أن كلام الله فيه قد اختلط مع كلام الرسل وكلام غيرهم. ونقول إنه موحىً من الله، في حين أن بعض الرسل والكتبة يقولون: إنه سرد ورواية لما شاهدوا وعرفوا عن المسيح. وفوق ذلك كله فإن أقدم النسخ التي تحوي كلام الرسل، إنما هي مكتوبة بلغة أجنبية غريبة على الرسل وكتبة العهد الجديد، وهي اللغة اليونانية. أضف على ذلك كله أن هناك نسخاً عدةً للإنجيل، ونحن عندما نقول نسخاً فإننا لا نشمل الترجمات المختلفة. فنحن قد نجد عدة ترجمات للإنجيل من اليونانية إلى العربية أو الإنجليزية مثلاً. ونجد أن هناك اختلافاً في بعض الكلمات حسب اختيار المترجم. فنجد مثلاً كلمة «مسروراً» في إنجيل، وفي إنجيل آخر نجدها «مبتهجاً» فهذا اختيار للمترجم وليس اختلافاً في الإنجيل.

ولكن عندما نجد أن كتاب الكاثوليك يحتوي على ٤٦ سفراً في العهد القديم وكتاب البروتستنت يحتوي على ٣٩ سفراً فإننا بلا شك نواجه نسختين للإنجيل، لا دخل لاختلاف الترجمة فيهما. وعذر البروتستنت في إلغاء الكتب السبعة من إنجيلهم في أنها كتب مشكوك بها، كما أن ترجمتها ليست دقيقة، وهم بذلك قد أشاروا نقطة مهمة، وهي أن إمكانية التصحيف والتحريف والإضافة، إنما هي إمكانية

موجودة، وأن عملية كتابة ونقل الإنجيل من اليونانية، تخضع لمزاج وقرار فرد ما أو مجموعة ما.

كل هذا يفيد بأن ما هو مكتوب لا يمكن أن يكون جميعه من عند الله. أو هو ما قال الله وأوحى به حرفياً أو جملة. أضف إلى ذلك اختلاف الكنائس التي اشتقت لنفسها أجزاء من الكتاب المقدس، أو ترجمت الكتاب المقدس حسب رؤياها الخاصة بالله وبالمسيح وبتعاليمه. وللمثال فقط، فإن هناك نسخة «الملك جيمس» للكتاب المقدس، الذي ترجم وكتب بالإنجليزية عام ١٦١١م في عهد الملك «جيمس الأول» ملك بريطانيا، وسمي باسمه، لأنه وافق على طباعته واعتمد نشره. وهناك كتاب آخر كتب في عام ١٩٥٢ وسمي «بالنسخة المنقحة» أو «R.S.V» «REVISED STANDARD VESION» والذي طبع مرتين. وكان في آخر طبعة يحوي بعض النصوص التي حذفت من الطبعة الأولى. وهناك نسخة «شهود يهوا» والمسماة «ترجمة العالم الجديد للمخطوطات المقدسة»، وهذه النسخة تخص طائفة «شهود يهوا» أو «JEHOVAH WITNESSES». وهناك نسخة جديدة تسمى نسخة «الأخبار السارّة» «GOOD NEWS BIBLE».

وهلّم جرى، نسخ بعد نسخ، كل نسخة يدّعي أصحابها أنها النسخة الأقرب إلى الأصل اليوناني في معناها وحرفيّتها، والأصح في انتسابها لتبشير وكلام المسيح عليه السلام وكلام الأنبياء الآخرين.

ولكن، ومع كثرة النسخ المراجعة والمدقّقة، نجد أن هذه النسخ جميعها تحوي نصوصاً وكلاماً لا يعقل أن يكون من عند الله لتناقضه واختلافه. ولا هو مطابق للمنطق والعقل، بل ومخالف لنصوص أخرى تحدّد جدوى التعاليم المقدسة. ولنأخذ في قراءة بعض الأمثلة:

«وعاد فحمي غضب الرب على اسرائيل فأهاج عليهم داوود قائلاً امضِ واحص إسرائيل ويهوذا».

(صموئيل الثاني ص ٢٤: ١)

ثم نقرأ:

«ووقف الشيطان ضد إسرائيل فأغوى داوود ليحصي إسرائيل».

(أخبار الأيام الأول ص ٢١: ١)

فهنا نجد أن الله هو من حثّ «داود» عليه السلام ليحصي عدد بني إسرائيل حسب النص الأول. وفي النص الثاني نجد أن من حثّ «داود» وأغواه، كان الشيطان؛ والله والشيطان لا يجتمعان في أمر.

فإن كان المكتوب هو كلام الله، فإننا أمام أمرين لا ثالث لهما. إما أن الله قد أخطأ في أحد النصين، وهذا ادعاء كفر، وإما أن من نقل وكتب الكلام قد أخطأ بعمد أو بدون، وهذا هوَ الأرجح. كما إنه الدليل على أن ما كتب ليس شرطاً أن يكون كلام الله.

ولننظر أيضاً:

«فأتى جاد إلى داوود وأخبره وقال له أتأتي عليك سبع سني جوع في أرضك..........».

(صموئيل الثاني ص ٢٤: ١٣)

ثم:

«فجاء جاد إلى داوود وقال له: هكذا قال الرب اقبل لنفسك. إما ثلاث سنين جوع.....».

(أخبار الأيام الأول ص ٢١: ١١ ـ ١٢)

ترى، هل هذا خطأ إلهي في عدد السنين بين ثلاثة وسبعة، أم هو خطأ بشريّ في سرد نفس القصة عن «داود».

وعلى هذا المنوال نجد:

«كان يهوياكين ابن ثماني سنين حين ملك وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب».

(أخبار الأيام الثاني ص ٣٦: ٩)

ونـجد:

«كـان يـهويـاكين ابن ثمـاني عشرة سنة حـين ملك وملـك ثلاثـة أشهر في أورشليم».

(الملوك الثاني ص ٢٤: ٨)

كما نجد:

«وهـرب آرام من أمام اسرائيـل وقتل داوود من آرام سبـع مئة مـركبـة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك».

(صموئيل الثاني ص ١٠: ١٨)

ونجد:

«وهرب آرام من أمام اسرائيـل وقتل داوود من آرام سبعـة آلاف مركبـة وأربعين ألف راجل وقتل شوبك رئيس الجيش».

(أخبار الأيام الأول ص ١٩: ١٨)

مرة سبع مئة مركبة، ومرة سبعة آلاف. ولا يدّعي أحـد أن الخطأ هـو في وجود «صفـر» أمام الـرقم. فـالصفـر لم يعـرفـه اليهـود ولا المسيحيون إلا بعد المسيح بعدة قرون عندما نقله العرب إلى العالم.

وللنظر أيضاً وصف الكتاب المقدس لقصر سليمان:

«وغلظه شبر وشفته كعمل شفة كاس بزهر سوسن يسع ألفي بث».

(الملوك الأول ص ٧: ٢٦)

وننظره مرة أخرى يقول:

«وغلظة شبر وشفته كعمل شفة كاس بزهر سوسن، يأخـذ ويسع ثـلاثة آلاف بث».

(أخبار الأيام الثاني ص ٤: ٥)

هذه أمثلة على الاختلاف فيمـا يدّعى أنـه كلام الله أو مـوحى من عنـده في العهد القـديم. أما العهـد الجديـد فيكفينا أن نقـرأ إنجيل «متى» في أوله، وهو يعـدد نسب المسيح عليـه السلام. (متى ص ١: ١ ـ ١٧). ثم نقرأ إنجيل «لوقا» وهـو يفعل نفس الشيء. (لـوقاس ٣: ٢٣ ـ ٣٨) فماذا نجد؟

نجد أن «متى» قد جاء بأربعين جداً لعيسى عليه السلام ينتهون بإبراهيم عليه السلام، في حين أننا نجد أن «لوقا» قد جاء بستة وسبعين جداً للمسيح ينتهون بالله سبحانه وتعالى.

ولو حصرنا أسماء جدود المسيح من «داود» ونسله فقط لوجدنا خمسة وعشرين اسماً في إحصاء «متى»، من «داود» إلى «يوسف» أبي سيدنا عيسى بالتبنّي، وذلك في مقابل أربعين اسماً من «داود» إلى «يوسف» حسب إحصاء «لوقا».

وهذه الأسماء لا تتشابه إلا في اسم «داود» عليه السلام، واسم «يوسف». ويقول بعض القساوسة المسيحيين: إن تسلسل النسبين المذكورين هما نسب «يوسف» ونسب «مريم» أم المسيح. ولكننا للأسف لا نرى اسم «مريم» في أيٍّ من القائمتين في حين أننا نجد اسم «يوسف» يتكرر فيهما.

الغريب أن كلا القائمتين تنسبان المسيح إلى «يوسف»، في حين أن «يوسف» ليس هو أبو عيسى كما يؤمن المسيحيون والمسلمون. وإن افترضنا أن إحدى القائمتين تخصّ نسب «عيسى» من أمه «مريم»، وهذا مجرد افتراض، فلماذا يذكر الإنجيل نسب «يوسف» وهو ليس أبا «عيسى»؟

يقول بعض المبرّرين بأن السبب في ذلك هو حفظ حق المسيح بما يورث من «يوسف» لأنه ابنه بالتبنّي. ونحن نقول: متى كان المسيح يطمع أو ينظر إلى ميراث يرثه من «يوسف» أو غيره؟

إن الحقيقة هي أن هناك اختلافاً واضحاً بين القائمتين. وهذا الاختلاف لا يمكن أن يكون لو كان الكلام هو كلام الله. بل والأدهى من ذلك كله أن «لوقا» و «متى» يذكران أن «فارص بن يهوذا» هما جدّا المسيح عليه السلام. (متى ص ١: ٢ ـ ٣) و (لوقا ص ٣: ٣٣).

«ويهوذا»، الذي اشتقت منه اليهودية اسمها بعد أن كانت تدعى بنو اسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام.

«يهوذا» هذا، أنجب ابنه «فارص» عن طريق غير شرعي بمضاجعة زوجة ابنه «عير» المتوفى وتدعى «تامار».

وقصته موجودة في سفر «التكوين ص ٣٨: ٦ ـ ٣٠». فهل يعقل أن يكون المسيح عليه السلام سليل أبناء الزنى؟

حاشا للمسيح أن يكون كذلك. ولكن الذي نقرأ، ما هو إلا نسج خيال كاتبه ولا يمت لله ووحيه بصلة.

وهناك مثال آخر نجده في إنجيل «مرقس».

«وفيما هو يمشي عند بحر الجليل أبصر سمعان وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فإنهما كانا صيادين [١٧] فقال لهما يسوع: هَلُمَّ ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس».

(مرقس ص ١: ١٦ ـ ١٧)

«مرقس» هنا يخبرنا كيف التقى «عيسى» عليه السلام لأول مرة بتلميذه «سمعان» أو «سيمون»، الذي تحول اسمه إلى «بيتر» و «بطرس» فيما بعد بفعل الترجمة كما ذكرنا سابقاً، ولكن هذه الرواية تختلف عند «يوحنا» الذي يقول:

«كان اندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه [٤١] هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيًا، الذي تفسيره المسيح [٤٢] فجاء به إلى يسوع، فنظر إليه يسوع وقال: أنت سمعان بن يونا، أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس».

(يوحنا ص ١: ٤٠ ـ ٤٢)

وهكذا نجد «يوحنا» يروي قصة تختلف عن قصة «مرقس». وما هذه إلا أمثلة محدودة يوجد لها أشباه كثيرة في العهد القديم والعهد الجديد. اختلافات لا حصر لها، وتناقضات كثيرة سوف نمرّ على بعضها خلال هذا الكتاب. ولكن العبرة هي في وصولنا إلى قناعة تؤدي بنا إلى الإيمان بأن الكتاب المقدس بعهديه هو كلام الله، أو قناعة تؤدي بنا إلى الإيمان بأن الكتاب المقدس بعهديه هو كلام بشر يحوي فيما يحوي كلاماً لله وكلاماً للأنبياء.

وللنظـر للعهد القـديم ما يقـول عن «إبـراهيم» عنـدمـا ادّعى أن «سارة» هـي أخته حتى لا يقتله المصريون إن عرفوا أنها زوجته طمعاً فيها لحسنها.

«فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الـذي صنعت بي، لماذا لم تخبـرني أنها امرأتك ؟! لماذا قلت: هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي، والآن هـوذا امرأتك خذها واذهب».

(تكوين ص ١٢: ١٨ ـ ١٩)

العهد القديم لا يكتفي بوصف «إبراهيم» بالكذب مرة واحدة. بـل يزيد بأنه كرّر هذه الكذبة مرة أخرى مع قوم «أبيمالك»، وأنه قد بـرّر الكذبة بعذر أكبر خطأً من الكذب.

«فقال إبراهيم إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتـة. فيقتلونني لأجل امرأتي ؟! وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي. غير أنها ليست ابنـة أمي. فصارت لي زوجة».

(تكوين ص ٢٠: ١١ ـ ١٢)

تخيل هذا العذر من أبي الأنبياء «إبـراهيم» ليبرر كـذبه. في حـين أن الإنـجيل يقول:

«ملعـون من يضطجع مـع أخته بنت أبيـه أو بنت أمه. ويقـول جميـع الشعب آمين».

(تثنيه ص ٢٧: ٢٢)

وهنا نحن أمام ثلاثة خيارات:

أ ـ «إبراهيم» أبو الأنبياء ملعون، لأنه تزوج من أخته ابنة أبيه.

ب ـ «إبراهيم» أبو الأنبياء، كاذب ثـلاث مرات في هـذين النصين فقط.

ج ـ «إبراهيم» أبو الأنبياء بريء من كل هذه التهم، وإنما الكاذب هو من روى أو خطّ هذه النصوص الإنجيلية.

ولننظر إلى الكتاب المقدس وهو يحـدثنا عن نبيّ الله «لـوط»، الذي

هو ابن «أخ» ابراهيم عليه السلام:

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه ![31] وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ![32] هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً ![33] فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ![34] وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً ![35] فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ![36] فحبلت ابنتا لوط من أبيهما».

(تكوين ص ١٩: ٣٠ ـ ٣٦)

قد لا يصدّق القارىء ما قرأ عن «لوط»، ولكنه موجود في جميع نسخ التوراة «فلوط» نبي الله الذي أنقذه من دمار «سدوم» و «عمورة» اللتين كان أهلهما منغمسين في اللواط، «لوط» بكل بساطة يشرب الخمر ويضطجع مع ابنتيه على التوالي، تحت تأثير الخمر. وتنتهي العملية بحبل الابنتين.

أهذا معقول؟

أهذا كلام الله؟

هل لنا أن نصدق أن الله سبحانه وتعالى أنقذ «لوط» وأهله من الدمار الذي أنزل بالقريتين، ويقوم «لوط» بمضاجعة ابنتيه تحت تأثير الخمر؟

أهذا وحي من الله؟ فإن يكن، فأين المنفعة من هذه القصة الخيالية القبيحة؟ هل نجد تعليماً أو توبيخاً؟ أو هل نجد تقويماً وتأديباً؟ كما يقول النبي «بولس» (٢ تيموثاوس ص ٣: ١٦)

ولكن ترى هل هذه هي القصة الوحيدة من هذا النوع الرخيص في التوراة؟ كلاّ. فهناك قصص وقصص. منها قصة «يهوذا» الموجودة

في (تكوين ص ٣٨: ٦ ـ ٣٠) وفي هذه القصة تخدع «تامار» «يهوذا» أبا زوجها المتوفى، فتنام معه وتحبل منه وتلد توأمين، يقوم كتبة العهد الجديد «متى» و «مرقس» بإدراج أحدهما وهو «فارص»، كأحد أجداد المسيح عليه السلام. والغريب في هذه القصة أن «يهوذا» عندما قام بالدخول على كنّته لم يكن عذره الخمر والسكر. بل لقد قام بفعل فعلته الشنعاء بعذر أقبح. وذلك أنه عندما رآها في الطريق حسبها زانية، فأراد مضاجعتها ولم يعلم أنها كانت كنّته. والعذر هنا أقبح من الذنب، خاصة وأن «يهوذا» هو ابن «يعقوب بن اسحق بن إبراهيم». عليهم السلام.

هل هناك منفعة من هذه القصة؟

كلّا. وليس هناك منفعة من قصص كثيرة على هذا النحو من الإباحية والقباحة. منها قصة دعارة الأختين في سفر «حزقيال ص ٢٣: ١ ـ ٤٩» ولا نودّ الدخول فيها. والأمثلة تكفي لتقول لنا إن من كتبها وأملاها لا يمكن أن يكون الله أو أحد الأنبياء. وإنما شخص ذو أهواء وغايات.

ولكن هناك نماذج أخرى من التوراة نجد فيها الإضافة الواضحة التي لا تخفى عن عين القارىء المتبصّر. وسوف نضرب مثلاً على ذلك.

فسفر التكوين يروي لنا قصة «إبراهيم» وزوجته «سارة»، وذلك عندما كان اسمه «إبرام» واسمها «ساراي»، قبل أن يأمره الله بتغيير اسمه واسمها. فـ «سارة» لم تلد لـ «ابراهيم»، ولذلك فقد أعطته جاريتها المصرية «هاجر» زوجةً له لعلها تنجب منه.

«واما ساراي امرأة إبرام فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر .... وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له».

(تكوين ص ١٦: ١ ـ ٣)

فتحبل هاجر من إبراهيم وتنجب له ابناً يدعوه «إسماعيل». وذلك عندما كان «إبراهيم» قد بلغ ستة وثمانين سنة من العمر.

«فولدت هاجر لإبرام ابناً، ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسمعيل [١٦] وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسمعيل لإبرام».

(تكوين ص ١٦: ١٥ ـ ١٦)

بعد هذا يأمر الله «إبراهيم» بأن يغير اسمه. ويقطع له عهداً ولنسله من بعده.

«فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبرهيم، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم [٦] وأثمِرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون [٧] وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك [٨]. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً، وأكون إلههم [٩]. وقال الله لإبرهيم وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم [١٠] هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر!! فتختتنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم».

(تكوين ص ١٧: ٥ ـ ١١)

ولقد حدث ما أمر الله به.

«وكان إسمعيل ابنه ابن ثلث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته».

(تكوين ص ١٧: ٢٥)

وبعد ذلك تحبل «سارة» وتلد ابناً يسميه إبراهيم «إسحق». وتبدأ الغيرة بين الزوجتين «سارة» و «هاجر» فتطلب «سارة» من «ابراهيم» أن يبعد «هاجر» وابنها.

«ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبرهيم يمزح [١٠] فقالت لإبرهيم اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق. فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم لسبب ابنه».

(تكوين ص ٢١: ٩ ـ ١١)

والطريف أن ما تطلبه «سارة» من طرد هاجر وابنها لا يحرم الابن «إسمعيل» من ورث ـ أبيه، لأنه الابن البكر. والكتاب يقول:

«إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له

بنين المحبوبــة والمكروهة. فإن كــان الابن البكر للمكــروهة [16] فيــوم يقسـم لبنيه ما كان له لا يحـل له أن يقـدم ابن المحبوبــة بكراً عــلى ابن المكروهــة البكر [17] بـل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته له حق البكورية».

(تثنيه ص ٢١: ١٥ ـ ١٧)

كلام في غاية الوضوح. فإذا أضفنا عليه أن «هاجر» ليست امــرأة مكـروهة، وأن «إسمعيـل» هو الابن البكـر وهو يكبـر أخاه «إسحق» بأربـع عشرة سنة.

«وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسمعيل لإبرام».

(تكوين ص ١٦: ١٦)

«وكان إبرهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحق ابنه».

(تكوين ص ٢١: ٥)

وأن «إبراهيم» فوق ذلك كله كان يحب ابنه «إسمــاعيل»، كمــا هو واضح من نص (تكوين ص ٢١: ١١) عرفنا أن حق «إسمــاعيل» من ميراث أبيه لن يفرط فيه أحد. ولكن لنتابع القصة.

«فبكَّر إبرهيــم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة مــاء وأعطاهمــا لهاجــر واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع».

(تكوين ص ٢١: ١٤)

وهنا لنا وقفة مع أمرين. الأول أن «إبراهيم» مــا كان ليطــرد ولده البكر وأمه بهذه الطريقــة غير الــلائقة وغــير الإنسانيــة، وهو الــرجل الصالح والنبي المقرب من الله. «فإبــراهيم» وإن كان يفعـل ما يفعـل مرضاة لـزوجته «ســارة» وطاعــة لأمر ربــه، فإنــه كان من المنطق أن يأخذ زوجته «هاجر وابنه اسماعيل» ويوصلهما بيـده إلى مكان بعيـد ويطمئن عليهما. وإن كان غير قادر على ذلك فقـد كان الأحـرى به أن يــرسل معهمــا خدمــاً ومؤونة تكفيهمــا ومالاً يغنيهمــا، خــاصــة وأن «إبراهيم» كان ميسور الحال كما تحكي كتب التوراة. وهذا بحد ذاته أمر يجعلنا في شك من صحة تفاصيل الرواية.

وأما الأمر الآخر الذي نود أن يسترعي اهتمام وذاكرة القـارىء، فهو أن «هاجر» وابنها استقرّا في برية «بئر سبع»، الذي يفتـرض أنه بعيد عن محل إقامة «سارة» وابنها «إسحق».

ثم لنمضِ في قراءة القصة:

«وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبـرهيـم، فقال له يا إبرهيـم، فقال هـانذا. فقـال خذ ابنـك وحيدك الـذي تحبه اسحق واذهب إلى أرض المـريّا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك».

(تكوين ص ٢٢: ١ ـ ٢)

هـل لاحظ القارىء هـذا التناقض الـواضح بـين ابنـك الـوحيـد و «إسحق». إن «إسحق» لم يكن في أيٍّ لحظـة مـن اللحظـات الابن الوحيد «لابراهيم». بل إن الابن الوحيد «لإبراهيم» وعلى مـدى ثلاث عشرة سنة كان «إسماعيل». والشيء الأكيد أن الله إما قد قال: «ابنك الوحيد» وهـو يعني «إسماعيـل»، أو أنه قـد قال: «ابنـك الذي تحب إسحق» فأما كلمة «الوحيد» قد أضيفت بيد من كتب هذا الجـزء من سفـر التكوين، وأمـا كلمـة «إسحق» هي التي قـد أضيفت. فـالابن الوحيد وإسحق لا يتفقان إطلاقاً. ومن يحاول التبـرير بـأن «إسحق» دعي بالابن الوحيد لأنه ابن «سارة» الزوجة الأولى، وأن «إسماعيـل» هو ابن «هاجر» الجارية.

فنقول إن «هاجر» إن كانت جارية فـإنها قـد أصبحت زوجة كمـا يذكر الكتاب المقدس. ولم تكن إحدى السراري الأخريـات اللاتي كن «لإبراهيم». وأما «إسماعيل» فإنه الابن البكـر، وهو نسـل «إبراهيم» ولا يهم من تكون أمه على أية حال.

لذا، فإن الأمر لا يتعدّى واحـدة من اثنتين. إمـا أن الله قد قـال: «ابنك الوحيد» فأتى من أضـاف اسم «إسحق»، وإما أن الله قـد قال: «ابنك الذي تحب إسحق»، وأتى من أضاف كلمة «الوحيد». وسـوف نكمل القراءة لنرى من كان الله يعني في أصل الرواية.

«فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله، بنى هناك إبرهيـم المذبـح ورتب

الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب [10] ثم مدّ إبرهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه [11] فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبرهيم إبرهيم، فقال هانذا [12] فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني [13]. فرفع ابرهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه. فذهب إبرهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه».

(تكوين ص ٢٢: ٩ ـ ١٣)

التناقض يتكرّر هنا أيضاً. ولكن الملاحظ أن «إبراهيم» قد ذبح الكبش بدلاً من ابنه، فدية ونعمة من ربه. ونحن نسأل: ترى هل سلالة «إسحق» هي التي استمرت في أداء شعيرة ذبح الكبش في ذكرى هذه الحادثة؟ أم سلالة «إسماعيل» هي التي فعلت ولا تزال تفعل؟

إنهم طبعاً سلالة «إسماعيل». العرب كانت تفعل ذلك قبل الإسلام وبعد الإسلام كشعيرة من شعائر الحج إلى الكعبة. وهذا يؤكد أن «الابن الوحيد» كان «إسماعيل» ولم يكن «إسحق» كما طاب لمن كتب النص أن يثبت باطلاً، أو ليرضي جماعة معينة ويخصّها بالبركة.

ولنا وقفة عند آية قرآنية تقول:

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة ٧٩).

ولنؤكد بأن الإضافة كانت باطلة وأن «الابن الوحيد» إنما كان «إسماعيل» فإن كل ما علينا هو متابعة قراءة ذلك الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين.

«ثم رجع إبرهيم إلى غلاميه. فقاموا وذهبوا معاً إلى بئر سبع. وسكن إبرهيم في بئر سبع».

(تكوين ص ٢٢: ١٩)

أليس «بئر سبع» هو المكان الذي ذهبت إليه «هاجر» وابنها

«إسماعيل»؟ أليس هذا برهـان على أن «إبـراهيم» إنما رجـع «بابنـه الوحيد» إلى أمه في برية «بئر سبع». «الأم هاجر والابن إسماعيل».

هذه أمثلة ذكرناها لنبيّن للقارىء بأن الكتاب المقدس قـد عبثت به أيدي البشر بما تمليه عليه أهواؤهم وما يخطر على بالهم وخيالهم من نسج وأوهام أو كذب وافتراء. مما حتّم وجود تناقض.

ولا يسعنا إلا أن نتذكّر قول القرآن:

﴿أفـلا يتدبّـرون القرآن ولـو كان من عنـد غير الله لـوجدوا فيـه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: ٨٢).

ومع أن موضوعنا محصـور في الكتاب المقـدس، إلا أن الحق يقال بأن هذه الآيـة القرآنيـة تشكّل محكـاً واضحاً لإثبـات مصدر الكتب السماوية. والواقع أن الكتاب المقدس يحفل بالاختلافات والتناقضات وغير المعقول، مما يحتّم علينا أن نكون على حذرٍ مما هو مكتوب فيـه، ولا نأخذه مأخذ التقديس في كل ما يذكر.

فقد أثبتنا أن الكتاب المقدس يحوي كلام الله وكلام أنبيائه، ولكننا أثبتنا كذلك أنه يحوي كلام البشر. وكلام البشر قابل للخضوع للخطأ والأهواء.

الفصل الثاني

المسيح والمسيحية

عند الحديث عن المسيح عليه السلام، فإننا نقرأ أكثر ما سنقرأ عنه في العهد الجديد من الكتاب المقدس. وإذا عدنا للعهد القديم فإنما هي عودة لاستقراء بعض النبوءات والشواهد المذكورة في العهد القديم.

ولد المسيح بعد حوالى ألف وثلاثمائة عام من وفاة موسى عليه السلام. وحيث إن هناك قائمتين بأسماء النسب الذي ينتسب إليه المسيح في العهد الجديد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فإننا نكتفي بالقول بأن المسيح ليس ابن رجل. وإنما ولد لأم عذراء هي «مريم البتول» سليلة موسى وهارون. وهي من بيت عرف بالنبوّة منذ عهد «إبراهيم» عليه السلام.

وحيث إننا نقرّ بأنه ولد لأم عذراء لم يمسها رجل، فإننا لن نلتفت إلى نسب المسيح لأنه لا يغنينا في شيء. أما كيفية نظر المسيحيين إلى ميلاد المسيح فإننا سوف نقرأها فيما ذكر إنجيل «متى»:

«أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس [١٩] فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً [٢٠] ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبِل به فيها هو من الروح

القدس [٢١] فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم [٢٢] وهذا كله كان لكي يتمَّ ما قيل من الرب بالنبي القائل [٢٣] هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا [٢٤] فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته [٢٥] ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا اسمه يسوع».

(متى ص ١: ١٨ ـ ٢٥)

من هذه النقطة ابتدأت المسيحية. بأن «مريم» قد حبلت «بالروح القدس»، ومن ثم فإن المسيح هو ابن الله، لأن الروح القدس هو الله نفسه. ويجدون تبريرهم في العهد القديم.

«ولكن يعطيكم السيد نفسه آيةً، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عِمَّانوئيل».

(أشعياء ص ٧: ١٤)

وأما كون المسيح هو ابن الله، فإنه أمر سوف نتطرق له فيما بعد في هذا الفصل. ولكن الجدير بالذكر أن اليهود الذين عاصروا المسيح وجدوا في قوله إنه «ابن الله» كفراً شديداً، دعاهم إلى معارضته ومحاربته التي أدت إلى قتله !

وهم بذلك يستشهدون بنصوص التوراة. وسوف نأتي على ذكر ذلك كله.

وأناجيل العهد الجديد ورسائله لا تذكر شيئاً كثيراً عن المسيح بعد ولادته إلى أن يبلغ الثلاثين من العمر حين بدأ دعوته.

«ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة..........».

(لوقا ص ٣: ٢٣)

فأما التناقضات والقصص المختلفة في المسيح وولادته فحدّث ولا حرج. فنحن نجد «متى» يقول في إنجيله عن «مجوس» أتوا من الشرق بحثاً عن المولود الجديد.

«ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوسٌ

من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم [٢] قائلين أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمهُ في المشرق وأتينا لنسجد له».

(متى ص ٢: ١ ـ ٢)

هذهِ القصة رغم أهميتها لم يذكرها أحد غير «متى»، رغم تكرر الروايات الأخرى بين الأناجيل. ولكن لنتابع القصة:

«حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقّق منهم زمان النجم الذي ظهر [٨] ثم أرسلهم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبيّ، ومتى وجدتموه فاخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له [٩] فلما سمعوا من الملك ذهبوا، وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي [١٠] فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً [١١] وأتوا إلى البيت ورأوا الصبيّ مع مريم أمه، فخرُّوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدّموا له هدايا ذهباً ولباناً ومرّاً [١٢] ثم إذ أُوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا في طريقٍ اخرى إلى كورتهم».

ولنا أن نسأل أولاً: لماذا لم يذكر كتبة الأناجيل الآخرون هذه الرواية؟ وهي رواية مهمة بها معجزة نجم يسير أمام المجوس إلى حيث يوجد «يسوع» الوليد، ليدلّهم عليه.

ألم ير أحد غيرهم هذا النجم، فيرى فيه آية الله في ميلاد المسيح؟

إن «متى» لا يخبرنا بشيء. ولا يخبرنا غيره بشيء عن هذا النجم، وهؤلاء المجوس الذين أتوا من المشرق. ولنا أن نسأل ثانيةً: إذا كان المجوس قد رأوا ذلك النجم في المشرق وأتوا على هداه، وإذا كان هذا النجم قد دلّهم على مكان الوليد في مسيرهم من «أورشليم» إلى «بيت لحم» وهي مسافة كبيرة، إذا كان ذلك كله، فلماذا ينصرف المجوس بعد رؤية المسيح؟

أما كان أولى بهم أن يجاوروا من عرفوا بأنه مقدّس المولد؟ وأما كان أولى أن يرشدوا الناس إلى هذا الطفل المعجزة الذي أتوا من المشرق ليروه؟

كلا إنها قصة بلا أساس وليس لها مرجع آخر سوى ما نطق به

أو كتبه «متى». وللتدليل على ضعف الرواية ودخول التناقض الواضح فيها. لنقرأ الآتي:

«حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون، بحسب الزمان الذي تحقّقه المجوس».

(متى ص ٢: ١٦)

ومع هذا نجد أن «يوحنا المعمدان» الذي هو في سنّ المسيح عليه السلام حيٌّ يرزق ولم يقتل. هذا مجرد نموذج عابر لما في أناجيل العهد الجديد من اختلاف وتناقض. ولكن المهم في الموضوع أن جميع الذين كتبوا الأناجيل الأربعة الأولى وهم «متى» و «مرقس» و «لوقا» و «يوحنا» قد أكدوا بأن المولود هو ابن الله.

«أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا. وجدت حبلى من الروح القدس».

(متى ص ١: ١٨)

«وكان صوتٌ من السموات، أنت ابني الحبيب الذي به سررت».

(مرقس ص ١: ١١)

«فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟[٣٥] فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلّلك، فلذلك أيضاً القدوس المولود (منك) يدعى ابن الله».

(لوقا ص ١: ٣٤ ـ ٣٥)

«لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم».

(يوحنا ص ٣: ١٧)

ولنا أن نقف هنا ونقول: إن المسيحية تعتمد على أمرين هما ركيزة الإيمان. الأول هو أن المسيح هو ابن الله. وأن هناك ثالوثاً مقدساً يتكوّن من الله الآب والابن والروح القدس. وأن هذه الأطراف الثلاثة هي شيء واحد. أما ثاني ركيزة فهي في الإيمان بأن المسيح مات على الصليب ثم دفن ثم قام من موته.

«وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم».

(١ كورنثوس ص ١٥: ١٤)

وسوف نتعرض الآن إلى هاتين الركيزتين بالتفصيل، فنبدأ أولاً بماهية النبوة الإلهية، يقول الإنجيل هذه الرواية:

«وكان يسوع يتمشّى في الهيكل في رواق سليمان [٢٤] فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلّق أنفسنا، إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً [٢٥] أجابهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون، الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي .... [٢٩] أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي [٣٠] أنا والآب واحد [٣١].

فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه [٣٢] أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أيّ عملٍ منها ترجمونني [٣٣] أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً [٣٤] أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة [٣٥] إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب [٣٦] فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدّف لأني قلت إني ابن الله».

(يوحنا ص ١٠: ٢٣ ـ ٣٦)

نلاحظ من هذه القصة الإنجيلية ثلاثة أمور مهمة:

الأول: هو أن اليهود لم يكونوا معترضين على أن يأتي لهم المسيح المنتظر. بل كل ما أرادوه هو تصريح من يسوع بأنه المسيح.

الثاني: إن اعتراضهم على يسوع كان فيما يعتبرونه تجديفاً «كفراً» حين يقول: «أنا والآب واحد». وهذا بالنسبة لهم غاية الكفر، لأن الله بالنسبة لليهود وهو إله واحد لا غيره كما تقول أنبياؤهم وكتبهم. وهم على حق في تكفير المسيح لو أنه قال إنه هو الله. ولكنه لم يقل ذلك (فقوله «أنا والآب واحد» إنما هو تعبير عن وحدة الهدف والغاية، كما سنتطرق إليه، وليس وحده الذات).

الأمر الثالث: إن المسيح أجاب اليهود بالجواب المفحم الذي لا

تستطيع اليهود أن تـردّ عليه. لقـد قال لهم: اقـرأوا كتابكم لتعـرفوا أنني لم أغـالِ ولم أكفـر عنـدمـا «قلت إني ابن الله». أتعـرف أيهـا القارىء لماذا كان جواب المسيح جواباً قاطعاً؟

إقرأ الكتاب المقدس لترى:

«أن أبناء الله رأوا بنات الناس انهـن حسنـات، فاتخذوا لأنفسهم نسـاء من كل ما اختاروا»».

(تكوين ص ٦: ٢)

فهنا نجد أبناء الله لا ابن واحد.

«وقال الرب لموسى... [٢٢] فتقول لفرعون هكـذا يقول الـرب، اسرائيل ابني البكر».

(خروج ص ٤: ٢١ ـ ٢٢)

فهنا ليس «ابناً لله» بل ابناً بكراً.

«بالبكاء يـأتون وبـالتضرّعات أقـودهم. أسيّرهم إلى أنهـار ماءٍ في طـريق مستقيمة لا يعثرون فيها، لأني صرت لإسرائيل أباً وإفرايم هو بكري».

(أرميا ص ٣١: ٩)

هنا أيضاً نجد أن «اسرائيل» وهو «يعقوب بن اسحق» هو ابن الله وإفرايم الابن غير البكر «ليوسف بن يعقوب» صار هو الابن البكر لله. أما «إسرائيل» فإنه قـد خدع أبـاه ليغتصب مباركتـه بدلاً من أخيـه الأكبر «عيسو» حسب رواية الإنجيل.

«فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك».

(تكوين ص ٢٧: ٣٥)

وأما «إفرايم بن يوسف» فقد فضله «إسرائيل» على حفيده الأكبـر «منسى» أخي «إفرايم».

«فلما رأى يوسف أن أباه وضع يده اليمنى على رأس إفرايم ساء ذلـك في عينيه... فقدم إفرايم على منسّى».

(تكوين ص ٤٨: ١٧ ـ ٢٠)

بعد هذه الأمثلة المحدودة، هل نستطيع أن نقول إن المسيح كان مبالغاً عندما قال إنه «ابن الله» وعندما صار يدعو الله «بأبي»؟. ولننظر للعهد الجديد من الإنجيل في سرده لنسب يسوع:

«بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله».

(لوقا ص ٣: ٣٨)

هنا نجد أن «آدم» هو ابن الله. وهذا أقرب للمنطق من بقية المسَمين باسم الله من البشر. لأنه أول بشري يخلقه الله. فإن كان عيسى عليه السلام ابن الله لأنه ولد لأم عذراء، فإن «آدم» لم يكن له أب ولا أم، صنعه الله بيده ونفخ فيه من روحه. فهو أدنى إلى أن يسمى ابن الله من غيره. وإن كان «آدم» هو ابن الله فكل البشرية هم أبناء الله، لأن «آدم» هو أبو البشرية جمعاء.

هنا يقف القساوسة المجادلون ليقولوا إن المسيح هو ابن الله «المولود» وليس المصنوع «كآدم». فنقول لهم اقرأوا العهد القديم الذي بين أيديكم.

«إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي أنت ابني، أنا اليوم ولدتك».

(مزامير، المزمور الثاني ٧ ـ ٨)

إذن فالمسيح ليس هو الابن المولود الوحيد لله. بل إن داود كذلك أيضاً، بل إن هناك ما هو أدهى.

«أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم».

(مزامير/ المزمور ٨٢: ٦)

فهناك آلهة وليس أبناء الله فقط. وعلى وجه الخصوص:

«فقال الرب لموسى: انظر، أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهرون أخوك يكون نبيَّك».

(خروج ص ٧: ١)

وهكذا نجد أن المسيح لم يكن أول من دعا الله «بأبي». ولم يكن أول من قال: «أنا ابن الله»، ولا هو الابن الوحيد المولود لله، وفوق

هذا كله فإن هناك من سمي إلهاً وجعل له نبياً، وهــو «موسى»... كـل ذلك حسب الكتاب المقدس الذي بين أيدينا. فهل يعقل هذا؟

هل يعقل أن يكون لله أبناء ويجعل منهم آلهة؟ والله يقول ويكرر في الكتاب المقدس:

«التفتوا إليَّ وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر».

(أشعياء ص ٤٥: ٢٢)

والمسيح الذي قال إنه جاء ليكمل الناموس قال، عندما سألـوه عن أول الوصايا العشر:

«فاجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمـع يا إسرائيـل. الرب إلٰهنـا رب واحد».

(مرقس ص ١٢: ٢٩)

فـإذا كان الكتـاب المقـدس يقـول إن الله واحـد لا سـواه، ويقـر «يسوع» بهذا، فلنا أن نسأل: لماذا تعددت الـروايات عن أبنـاء الله؟ ولماذا يقول المسيح إنه ابن الله؟

والجواب هو أن الكتاب المقدس والمسيـح إنما يستخـدم لفظة أب أو ابن من باب المجاز لا من باب الحقيقة الجسدية، والدليل على ذلك نجده في كلام يسوع الآتي:

«ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات».

(متى ص ٢٣: ٩)

«قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعدُ إلى أبي، ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم».

(يوحنا ص ٢٠: ١٧)

أليس هذا دليلاً كافياً على أن كلمة «أب» إنمـا هي مجاز لا أكثـر. تماماً كما يدعو المسيح تلاميذه «بأخوتي»، فـرغم أن تلاميـذ المسيح ليسوا بأخوته ما عدا يعقوب أخاه لأمه، كما تقول الكنيسة المسيحية. رغم هذا فالمسيح يدعوهم بأخوته. ويقـول لهم: «أبي وأبيكم» ويقول: إن لا أب لكم إلا الله.

ولو كان معنى البنوّة يفيد بنوة الجسد، لكان هناك كثير من الأبناء لله غير المسيح كما ذكرنا. ولنقرأ للرسول «بولس»:

«لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل إبرهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه [٢] الذي قسم له إبرهيم عُشراً من كل شيء، المترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام [٣] بلا أبٍ بلا أمٍ بلا نسبٍ، لا بداءة أيام له ولا نهاية حيوة بل هو مشبَّهٌ بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد».

(عبرانيين ص ٧: ١ ـ ٣)

هكذا كاهن شبّه بابن الله وله من المزايا الخاصة فوق ما لـ «يسوع» فهو كاهن وملك مبارك من «إبراهيم»، وهو بلا أم وبلا أب وبلا نسب وبلا بداية أو نهاية. فهل «ملكي صادق» ابن الله بالمعنى الحرفي؟ كلا. إن أبناء الله يحددهم العهد الجديد بوضوح.

«لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله».

(رومية ص ٨: ١٤)

وهكذا، فإن المسيح كغيره ممن ساروا في طريق الله وهديه وعملوا بأمره فصاروا أبناء الله. وصار المسيح ابناً لله، ودعا الله بأبتي، كما دعاه «داوود» عليه السلام وكما دعاه غيره.

ونحن إذ نحاول أن نثبت بطلان البنوّة الإلٰهية للمسيح، أي بنوة الجسد، فإنما نحاول أن نثبت، عن طريق الاستعانة بالإنجيل، فساد الرأي والإيمان القائل بأن المسيح هو الله أو أن الله قد أتى للأرض بجسد المسيح. فهذا كفر في نظر اليهود، وهو كفر في نظر المسلمين، وهو كفر في نظر الكثير من المسيحيين أنفسهم. ولكنه للأسف من مقوّمات المسيحية المنتشرة في العالم، والتي أضحت عن طريق هذا التفسير الخاطىء تمجّد الله عن طريق تمجيد المسيح. أي إنها جعلت المسيح وسيلة للوصول لله، وهذا شيء لا يختلف كثيراً عن الوثنية وعبادة الأصنام فعبّاد الأصنام كانوا يعبدونها كوسيلة للوصول لله.

أما مسيحية اليوم فقد زادت على الوثنية بجعل المسيح والرب

طرفي ثالوث متساويين، يحويهما ويحوي «الروح القدس».

«والروح القدس للمسيحية ليس هو الملاك جبرائيل كما هو شائع بين المسلمين. فالروح القدس للمسيحية هو، أو هي، روح الله تغلف هذا الكون. أما جبرائيل فهو رئيس الملائكة لا أكثر».

وإن انتفاء صفة «البنوّة الإلهية الجسدية عن المسيح لا ينفي إمكانية البنوّة الإلهية الروحية عن المسيح. ولكن هذه الإمكانية حاصلة لغير المسيح كما هي حاصلة له. ولا يتميز بها المسيح عن غيره. والبنوّة الإلهية الروحية هي عملية مستمرة منذ خلق الإنسان، قبل المسيح وهي في المسيح كما هي في من أتى بعده ومن سيأتي بعدنا.

وكل ما نعترض عليه هو في البنوّة الإلهية الجسدية، التي يوحيها التصوير الإنجيلي والتفسير المسيحي للناس القائل:

«فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظلّلك...».

(لوقا ص ١: ٣٥)

فهذا التصوير أوحى للمسيحيين بأنه كان هناك اتصال جسدي بين «الروح القدس» وبين «مريم البتول» أدى إلىحملها بـ «يسوع المسيح» وهذا غاية الجهل.

لأن الله إن أراد أن يخلق بشراً من امرأة عذراء لا يحتاج أن يظلّلها بروحه، ولا يحتاج لهذا الخلق أن يحدث التصاقاً جسدياً. فإن الله إذا ما أراد لشيء أن يخلق فإنما يقول له: «كن فيكون».

لا تعتقد أيها القارىء أنني أستعمل «كن فيكون» القرآنية. بل الكتابية.

«وقال الله ليكن نور فكان نور».

(تكوين ص ١: ٣)

وهكذا، فإن الله إن كان يخلق النور بقوله «ليكن»، فما أسهل عليه أن يقول «ليكن» مسيحاً «فيكون». ولو شاء الله لقال «ليكن» ألف

مسيح «فيكون». ﴿سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾. (مريم: ٣٥).

إن خلق المسيح من أم عذراء لا يحتاج «لروح قدس» يحل عليها ولا يتطلّب تلامساً جسدياً. وإنما هي قولة «كن فيكون»، كما هو واضح من القرآن ومن التوراة والإنجيل وهكذا فبنوّة المسيح ليست في اختلاف كيفية الخلق وإنما هي شيء من باب المجاز.

ولنا أن نجد الإجابة على هذا التخبّط المسيحي في القرآن:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾. (آل عمران: ٥٩).

فمثلما أن «آدم» بشر فإن عيسى عليه السلام كان بشراً لا غير. خصّه الله بالنبوّة كغيره من الأنبياء وبرّه بمعجزة فريدة في ولادته لا تتعدّى معجزة خلق «آدم» عليه السلام.

وما قول المسيح بأن الله أبي إلا من باب الإكبار ومن باب الإفادة بالغرض. ولو اعتبرنا مناداة المسيح لله «بأبي» هي من حقيقة البنوّة والأبوّة لأصبح كل مسيحي ينادي قسيساً «بأبي» على أنها بنوة أو أبوة جسدية وما هي كذلك. هذا من ناحية التسمية، أما من ناحية الوقائع التي تثبت بطلان الألوهية للمسيح فإن لها أولاً وليس لها آخر، وسوف نضرب بعض الأمثلة فقط.

لو أن المسيح كان إلهاً أو ابن إله، فهل يعقل أن يجوع؟

«وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع».

(مرقس ص ١١: ١٢)

وهل يعقل أن يعطش؟

«بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان».

(يوحنا ص ١٩: ٢٨)

أو يعقل أن يتعب؟

«وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر وكان نحو الساعة السادسة».

(يوحنا ص ٤: ٦)

أو يعقل أن يخاف؟

«وكـان يسـوع يتـردّد بعـد هـذا في الجليـل. لأنـه لم يُـرد أن يتـردّد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه».

(يوحنا ص ٧: ١)

فإن حدث وجاع وعطش وتعب وخاف ذلك الإله. فهـل يعقل أن لا يكون عارفاً بالمواسم.

«فنظر شجرة تين من بعيدٍ عليها ورقٌ وجاء لعله يجد فيهـا شيئاً، فلمـا جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً. لأنه لم يكن وقت التين».

(مرقس ص ١١: ١٣)

هل يعقل هذا؟؟ إله ولا يعرف الفصول التي تثمـر فيها الأشجـار، التي يعرفها أغلب أبنـاء الشعب المزارع في ذلـك الوقت في فلسطـين. ولننظر إلى الإنجيل وهو يقول:

«لا يقل أحدٌ إذا جرب أني أجرب من قبل الله. لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً».

(يعقوب ص ١: ١٣)

ثم لننظر ليسوع في الإنجيل أيضاً:

«وكان هناك في البرية اربعين يوماً يجرّب من الشيطان...».

(مرقس ص ١: ١٣)

فهـل يعقل أن الشيطـان يجـرب أو يحـاول إغـراء وإغـواء إلـه، والشيطان والله ضدان لا يلتقيان. فكيف يحدث هـذا لو كـان المسيح إلهاً. ولكن....

«ولكن كل واحد يجرّب إذا انجذب وانخدع من شهوته».

(يعقوب ص ١: ١٤)

ليس هناك ألوهية تجرب. بل إنسانية لها لحظات ضعف وعزيمة على مقاومة الضعف.

هذه مجرد أمثلة عابرة عن «إنسان» يحاول البعض صبغه بصبغة الألوهية التي لم يدعيها. ونحن لا نود أن نطيل في هذه الأمثلة وحسبنا أن نقول: لو أن الله أراد له ولداً لما كلّفه ذلك سوى أن يقول: «كن فيكون».

ولو أراد الله أن يرسل ابنه هذا إلى الأرض والناس لما جعله جنيناً في بطن امرأة ليخرج من أحشائها بين دماء وقذارة. ولما تركه للجوع ولحلمات امرأة ترضعه.

ولو أن الله أراد أن يرسل ابناً له، آية وهداية للبشر، لأنزله من السماء كاملاً محاطاً بهالات المجد بين الملائكة. وكان هذا النزول آية ما بعدها آية لقوم كانوا ينتظرون مسيحاً ملكاً يأتي إليهم ليخلّصهم.

وكل من يلجأ لمقولة المسيح المشهورة:

«أنا والآب واحد».

(يوحنا ص ١٠: ٣٠)

نقول اقرأ النص كاملاً:

«أجابهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي [٢٦] ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم [٢٧] خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني [٢٨] وأنا أعطيها حيوة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي [٢٩] أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي [٣٠] أنا والآب واحد».

(يوحنا ص ١٠: ٢٥ ـ ٣٠)

الوحدة هنا واضحة بين الآب والابن، في أن لا أحد يستطيع أن يخطف من أيديهم وهذه وحدة غرض لا وحدة ذات وشخصية. وهذه الوحدة تتجلّى في قول المسيح لتلاميذه:

«ليكون الجميع واحداً كما إنك أنت أيها الأب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني [٢٢] وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما إننا نحن واحد».

(يوحنا ص ١٧: ٢١ ـ ٢٢)

وحدة غرض لا وحدة ذات. هذا الذي يعنيه ويقصده المسيح. فإن أساء فهمه تلاميذه فما هي بالمرة الأولى، وسوف نعرف عن سوء فهم له خلال قراءة هذا الكتاب.

هنا قد يقف لنا من يقول، ولكن «المسيح» أتى بمعجزات ومعجزات ما هي من قدرة البشر. فنقول له إن المسيح وإن قلنا إنه ليس إلهاً فإننا لم نقل إنه ليس نبياً. بل إننا نقر ونعترف بنبوته وفضله. ولكنه لا يختلف عن الأنبياء الآخرين في منزلته سوى بما حباه الله من معجزة ولادته. أما بقية معجزاته فما هي إلا وسيلة لإقناع الناس باتصاله بالله. وهو بهذا لا يزيد عن سواه من الأنبياء. وجميع الأنبياء كانت لهم معجزات. والمعجزة ليست دليل الألوهية وإنما دليل صدق فاعلها، ولنثبت هذا سوف نأخذ بعض الأمثلة: لو أن المعجزة دليل ألوهية لوجدنا من هو أعظم في معجزاته من معجزات المسيح، فهل يصح لنا أن نقول إن ذلك الإنسان هو إله؟ أو إنه أعظم من المسيح؟

طبعاً لا يجوز. ولكننا سوف نضرب المثال أو الأمثلة.

إذا كان عيسى قد أطعم خمسة آلاف شخص بسمكتين وبعض أرغفة كما يقول العهد الجديد. فإن ذلك معجزة ولا شك.

«فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون، وكان في المكان عشب كثير. فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف [١١] وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين. وكذلك من السمكتين بقدر ما شاؤوا [١٢] فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء».

(يوحنا ص ٦: ١٠ ـ ١٢)

ولكن العهد القديم يعطينا معجزة أعظم «لموسى»، فإن «موسى» قد

ضرب البحـر الأحمر بعصـاه فانشق البحـر الأحمر وتبـاعـد المـوج لـ «موسى» وأتباعـه ليعبروا البحـر مشياً عـلى قاعـه. ثم عاد البحـر وطغى عـلى فرعـون وأتباعـه. أليست هذه معجـزة أعظم من معجـزة «يسوع» التي ذكرناها؟

بلى هي كذلك. ولكنها لا تعني أن «مـوسى» أعظم من «عيسى»، ولا تعني أن أيّاً منهما قد قام بها وحده وبقدرته هو فقط.

ولعل هناك من يقول بأن «عيسى» كـانت له أعظم معجـزة بإحيـاء الميّت مشيـراً بذلـك لقصة إحيـائه «لعـازر» كما في (يـوحنا ص ١١: ٣٢ ـ ٤٤). وهذه لا شك معجزة عظمى... ولكن لو قـارناهـا بمعجزة «موسى» التي حول بهـا عصاه إلى أفعى كمـا في (خروج ص ٧: ١٠) لوجدنا أن معجزة «موسى» أعظم من معجزة «عيسى».

لأن عيسى عندما أعاد الحياة، فإنه أعادها إلى رجل كان حياً ومات قبل أربعة أيـام من إحياء المسيـح له. في حـين أن «موسى» لم يكتفِ بأن أعطى الحياة للعصى، بل لقد زاد على ذلك بتغيـير العصى من فرع شجرة ميت يتبع لملكـة النبات إلى ثعبـان يتبع لملكـة الحيوان. بـل هنـاك ما يـزيد عـلى الاثنين معـاً. فإن عيسى ومـوسى قامـا بهـاتـين المعجزتين وهما على قيـد الحياة، في حـين أن هناك من أعطى الحيـاة وهو ميت.

«وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبـر اليشع، فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه».

(الملوك ٢ ص ١٣: ٢١)

فهنـا نجد «اليشـع» النبي وقـد حقق معجـزة إعـادة الحيـاة إلى الأموات وهو نفسه عظام بالية. فهل يعني هذا أن اليشع إله، أو أنـه أعظم من «موسى» أو «عيسى». الإجابة القاطعة هي: كلّا.

فكـل من هؤلاء ما تحققت معجـزاته لـولا قـدرة الله. ومـا هم إلا أدوات يحقق الله معجـزاته بهم كمـا يحققها بغـيرهم. ولننظر في أمـر

القدرة على الإتيان بمعجزة في حالة «عيسى» عليه السلام لنـرى كيف تأتّى له ذلك. ماذا يقول المسيح:

«فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض».

(متى ص ٢٨: ١٨)

فكلمة دُفِعَ هنا تفيد أن السلطـان قد جُعِـلَ تحت تصرف المسيح. وهذا لا يعني أن المسيح هو صاحب السلطان كما قـد يفهم البعض. فها هو المسيح يوضح الأمر لنا:

«ولكن إن كنت أنـا بروح الله أخـرج الشياطـين فقد أقبـل عليكم ملكوت الله».

(متى ص ١٢: ٢٨)

المسيح يقر بأن ما يفعله إنما يتم «بروح الله» أي قدرته. وحتى لا يحدث أي إبهام في الموضوع فلنقرأ ما يقول المسيح:

«ولكن إن كنت باصبع الله أخـرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله».

(لوقا ص ١١: ٢٠)

فهنا نجد «إصبع الله» الذي يرمز لقدرة الله لا قدرة المسيح بذاته. والمسيح عليه السلام لا يترك الأمر للجدل فهو ينطقها واضحـة جلية لكل من له عقل وبصيرة فيقول:

«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً».

(يوحنا ص ٥: ٣٠)

بـل وإن المسيح يـزيد تـوضيحاً لهـذا الأمر. لنقـرأ كلام سيـدنا المسيح وهو يقيم «عازر» من الموت:

«فرفعوا الحجر (حيث كان الميت موضوعاً) ورفع يسوع عينيه إلى فـوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي![٤٢] وأنا علمت أنك في كـل حين تسمـع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنـوا أنك أرسلتني![٤٣] ولمـا قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلمّ خارجاً».

(يوحنا ص ١١: ٤١ ـ ٤٣)

ويخرج عازر وقد عادت لـه الحياة. ولكن أليس ذلـك بقدرة الله لا بقدرة المسيح نفســه؟ ألا نراه يشكـر الله لأنه سمعـه؟ والسمع هنـا يعني إجابة الطلب لا مجرد السماع العـادي كما هـو واضح. وفـوق هذا أليس في هذا النص وضـوح وتقريـر بأن المعجـزة التي قام بهـا المسيح بقدرة الله ما هي إلا وسيلة للبرهان على صدق دعـوى المسيح بأنه مرسل من قبل الله لا على أنــه إلٰه أو ابن إلــهٍ؟ فقولـه: «ليؤمنوا أنك أرسلتني» تفيد أنــه كان رسـولاً من الله. لا أنه إلٰـه أو ابن إلٰهٍ. ولنقرأ الصورة كاملة في العهد الجديد:

«أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع النـاصري رجل قـد تبرهن لكم من قِبَـل الله بقـوات وعجـائب وأيـات صنعهـا الله بيـده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون».

(أعمال ص ٢: ٢٢)

وهكذا اعتراف إنجيـلي واضح بـأن يسوع رجـل مدعـوم من الله بقـوات وعجائب صنعهـا الله على يـديه كبـرهان عـلى صـدقـه. أين الألوهية إذن في الإتيان بالمعجزة؟ وحتى نثبت أن المعجزة مـا هي إلا وسيلة، وأنها ليست دليلاً على الألوهية. وبل إنها قد لا تمت للألـوهية بصلة. فلنقرأ ما يقول يسوع المسيح عليه السلام:

«لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمـة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً».

(متى ص ٢٤: ٢٤)

إذن فالآيات العظيمـة والعجائب ليست دليـلاً على صــدق فاعلهـا ونبوءته. بـل قد تكـون من الشيطان الـذي يريـد أن يضل المؤمنـين المختارين. ولنثبت أن المعجزات ليست دليل العظمة، فلنسمع للمسيح وهو يقول:

«الحق أقـول لكم لم يقم بـين المـولـودين من النسـاء أعظم من يـوحنـا المعمدان».

(متى ص ١١: ١١)

وهكذا «فيوحنا المعمدان» هـو أعظم من ولد من النسـاء. والمسيح مـولود من امـرأة، فهو بـذلـك يكـون أعظم من المسيـح. حسب لفظ المسيـح نفسه في الإنجيـل. ولكن يوحنـا المعمدان هـذا، والـذي هـو «يحيى» عليه السلام، لم يأتِ بمعجزة في حياته. ومن ثم فإن المعجزة ليست دليل عظمة، والمعجزة ليست دليل نبـوة، والمعجزة ليست دليـل ألوهية. ومعجزات المسيح قطعاً ليست دليل ألوهية المسيح. وإنما هي دليل نبوة ورسالة.

قلنا إن المسيحية تقوم على أمرين مهمين: أولهما هو البنوة الإلٰهية الجسدية للمسيح وهذا ما أثبتنا بطلانه. وثانيهما هو في موت المسيح مصلوباً وقيامه من الموت. وقبل الدخول في هـذا الأمر الثـاني لنا أن نسأل: إذا كان المسيح إلٰهاً أو ابن إلٰهٍ فلماذا وكيف يموت؟

والإجابة المسيحية تقول: إن الله أرسل ابنه المسيح للأرض بقصد أن يموت هذا الابن ويدفع دمه ثمناً لخلاص البشرية.

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنـه الوحيـد لكي لا يهلك كـلُّ من يومن به بل تكون له الحيوٰة الأبدية».

(يوحنا ص ٣: ١٦)

ففي النظرة اللاهـوتية أن الإنسـان موصـوم بالخطيئـة منذ خلق «آدم» وعصى ربه فأكل من الشجرة المحـرّمة. وأن هـذه المعصية مـا زالت في أبناء البشر يتوارثونها عن أبيهم الأول «آدم» ويحملون وزرها وتبعاتها، حتى أرسل الله ابنه المسيـح لينزف دمـه ثمناً لغفـران تلك المعصية وتخليص البشرية من تبعاتها. وأنه لولا أن مات المسيح فداءً للبشرية لظلت البشرية ملطخة مدموغة بتلك الخطيئة الأولى لـ «آدم».

وهم يقولون إن المسيح كان قبل الخلق عند الله، وإنه قد عاهد الله على أن ينزل للأرض ويموت فداءً للبشر. وحتى نأخذ في الرد على هذه المقولة المسيحية نبدأ في بـادىء الأمر بـالرد عـلى موضـوع الخطيئة الأولى، ومنها ننطلق للرد على معاهدة المسيح مع الله على فداء المسيح

من أجل البشرية، ثم ننظر في موت المسيح نفسه.

أما إن البشرية كانت وإلى موت المسيح، حاملة لتبعات خطيئة آدم الأولى، فهذه بلا شك من أشد النظريات جهلاً وسخفاً. فالعدالة الإلهية ما كان لها أن تطلب من الابن أن يدفع ثمن أخطاء أبيه، فكيف بالبشرية جمعاء تحمل ثمن خطأ واحد ارتكبه «آدم». والله الذي قدر كل شيء كان بلا شك يعلم أن «آدم» سوف يخطىء قبل أن يخلق «آدم»؟

ولن نطيل في معالجة هذه القضية الواضحة الجهل. ونكتفي بقراءة الكتاب المقدس لأهل هذه النظرية الغريبة لنرى الإجابة على نظريتهم ورؤياهم الخاطئة واضحة وضوح الشمس في العهد القديم نفسه:

«النفس التي تخطىء هي تموت. الابن لا يحمل من اثمِ الأب، والأب لا يحمل من اثم الابن. برّ البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون».
(حزقيال ص ١٨: ٢٠)

ولنقارن هذا الكلام الكتابي بالكلام القرآني:

﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى، وابراهيم الذي وفّى. ألّا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (النجم: ٣٦ ـ ٣٨).

وكذلك:

﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨).

ألا ترى معي أيها القارىء هذا التطابق المنطقي بين العهد القديم والقرآن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون لا أحد يحمل خطيئة أحد. فلا الأب يحمل خطيئة ابنه، ولا الابن يحمل خطيئة أبيه ولا البشرية تحمل خطيئة آدم.

ومن ثم، فليس هناك خلاص من تلك الخطيئة، لأنه لا وجود لها

أصلاً في أعمالنا. والخلاص الذي تحدّث بـه المسيح عليـه السلام لم يكن خـلاصاً من خطيئـة «آدم»، وإنما خـلاصاً من أخطـائنـا نحن. والمسيح لم يقل في يوم ما إنه جاء ليخلص البشريـة من خطيئة «آدم» تماماً، كما أنه لم يقل في يوم من الأيام إنه إلٰه أو إن الناس يجب أن تعبده وتقدسه هو.

إذن، فليس هناك خطيئة أولى يحملهـا البشر، ومن ثم فليس هناك مبـرر لأن يقتل أحـد ليكفر عنهـا، سواء كـان ذلك الشخص المقتـول «عيسى» أو غـيره. وسوف نـرى في حـديثنـا عن مـوت «عيسى» عليـه السلام أنه لم يكن شخصياً راغباً في الموت، أو أنه جـاء لهذه الـدنيا ليموت تكفيراً عن أحد.

والله، يقول، في العهد القديم:

«أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها».

(أشعياء ص ٤٣: ٢٥)

هذا كلام الرب الذي يغفر ويمحي الخطايا ولا يلزم البشرية بخطأ «آدم» أو غيره.

والآن لنأتِ إلى قصة موت «عيسى»، وسوف أذكـر للقارىء حقيقـةً حـيرتني وأنا أبـدأ دراسة هـذا الموضـوع. تلك الحقيقـة هي كـلام القرآن:

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً﴾. (النساء: ١٥٧).

فهنـا نجد أن القـرآن يقول: إن عيسى لم يصلب ولم يقتـل، وإنـه إنما شُبِّهَ للناس ذلك. وإن الذين اختلفوا في قصـة قتله في شـك ليس لهم فيه إلا اتباع الظن وإنهم ليسوا على يقين من قتل عيسى. ومفسرو القـرآن، كما في تفسـير الجلالـين مثلاً، يقـولـون إن اليهـود صلبـوا شخصاً يشبه «عيسى»، وظنوا أنه المسيح، وقتلوه في حـين أن المسيح قد رفع إلى الله.

الذي حيرني هو السؤال الآتي:

هـل من المعقول أن يخطىء اليهـود فيعتقلون ويطلبـون ويقتلـون إنساناً آخر لمجرد أنـه يشبه «عيسى»؟ ولـو كان هنـاك إنسان يشبـه عيسى ويعيش في مكـان قريب من «عيسى»، أمـا كـان هـذا الإنسـان معروفاً ومشهوراً لشبهه بالمسيح عليه السلام؟

لم أقتنع بقصة الشبه هذه. أو بالأحرى لم أقتنـع بتفسير مفسري القرآن في قتل «عيسى» عليه السلام. فرأيت البحث في هذا المـوضوع ومتابعته منذ البداية لأرسم الصورة التي مـات عليها المسيـح. فلنبدأ منذ البدء.

اليهود كانوا يكرهون المسيح. والسبب الرئيسي لذلك أنهم كانوا في انتظار المسيح الذي سوف يحررهم من العبوديـة والاحتلال ويصبـح ملكـاً لبني اسرائيل يحقق لهم أحـلاهم التوراتيـة. فلما أتى المسيـح عليه السلام فـرحوا بـه ولكنهم أصيبوا بـالإحباط وخيبـة الأمل لأن المسيح ما كان رجل دولة وملكاً. بل على العكس من ذلك كله فإنه كان يطـالبهم بالتسـامح، وهـو يحثهم على تقـديم الضرائب لقيصر رومـا. وإليك أيها القارىء بعض الأمثلة.

«.......... فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

(متى ص ٢٢: ٢١)

فهو لا يقرّ بإعطاء الضريبـة لقيصر ويشجع عليهـا فقط، بل يقـوم بدفعها أيضاً.

«.......... ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألقِ صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عني وعنك».

(متى ص ١٧: ٢٧)

فاليسوع هنا يطلب من «سمعان» تلميـذه أن يدفـع الضريبة عنـه وعن نفسـه. وهـذا العمـل لا شـك غـير لائق بملـك ينتظـره اليهـود ليحررهم من نير الاستعباد والاحتلال. ثم هناك الآتي:

«وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً».

(متى ص ٥: ٣٩)

هذه نصائح رجل مؤمن متسامح. ولكنها ليست نصائح ملك ينتظر شعبه الخلاص على يديه.

«حينئذ تقدم إليه بطرس وقال يا رب كم مرة يخطىء إليَّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات. قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات».

(متى ص ١٨: ٢١ ـ ٢٢)

هذه الروح المتسامحة كانت صدمة أدت إلى الإحباط عند اليهود، وتحوّلت خيبة أملهم في «عيسى» إلى كراهية وعداوة له. ولكن هذه العداوة وصلت إلى مرحلة المطاردة عندما قام اليسوع بفعلٍ اعتبروه جريمة:

«وكان فصح اليهود قريباً فصعد يسوع إلى أورشليم ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً. فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل. الغنم والبقر وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم. وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذا من ههنا. لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة».

(يوحنا ص ٢: ١٣ ـ ١٦)

هذه كانت لطمة المسيح لليهود. فاليهود كانوا قد اعتادوا التجارة عند الهيكل وتحويل نقودهم الرومانية إلى «الشيكل اليهودي» الذي لا يقبل الكهنة اليهود غيره من العملات. وهذا المسيح يرفض المتاجرة عند الهيكل ويطرد الصيارف ويمنع الناس من إعطاء المال لأهل الدين اليهود. لذا فقد سعى اليهود في طلب المسيح لمحاكمته وقتله.

فماذا حدث؟

كان أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر شخصاً يدعى «يهوذا»، كان قد خان المسيح دون علم التلاميذ الآخرين، واتفق على تسليم المسيح

للفريسيين، وهم الكهنة اليهود مقابل شيء من الفضة.

«فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الأسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر [4] فمضى وتكلّم مع رؤساء الكهنة وقوّاد الجند كيف يسلمه إليهم [5] ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة [6] فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من جمع».

(لوقا ص ٢٢: ٣ ـ ٦)

فلما كان عيد الفطير أو الفصح، ذهب المسيح مع تلاميذه الاثني عشر وتناول معهم العشاء الأخير في المدينة. وهناك قال لهم:

«ثم قال لهم حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء. فقالوا لا [36] فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً».

(لوقا ص ٢٢: ٣٥ ـ ٣٦)

هنا نجد نقلة نوعية كاملة في شخصية المسيح. فمن داعية التسامح إلى داعية القتال الذي يدعو الناس لأن تبيع ثيابها لتشتري سلاحاً. فلماذا هذه النقلة الغريبة؟ السبب يرجع إلى أن المسيح أحس بالخطر، وعرف أن هناك من يريد أن يسلّمه للكهنة اليهود ليقتلوه، فأراد المقاومة.

«وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلّمني».

(متى ص ٢٦: ٢١)

المهم أنه عندما طلب السلاح أتاه الجواب من تلاميذه الذين يفترض أنهم دعاة سلام ومحبة وتسامح.

«فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان. فقال لهم يكفي».

(لوقا ص ٢٢: ٣٨)

إذن، فالسلاح كان متوفراً مع تلاميذه الذين لم يترددوا في الإعلان عن وجوده لديهم وإعلام المسيح بذلك. وهو اكتفى بالسيفين، لأنه افترض أن من يأتي لاعتقاله سوف يكون عدداً قليلاً من الكهنة مع تلميذه الخائن.

وإلى هنا نرى أن المسيح ما كان يريد تسليم نفسه ليقتل. وهذا دليل على عدم صحة النظرية التي تقول إنه قد عاهد الله على أن يموت ويبذل دمه في سبيل خلاص البشرية من الخطيئة الأولى. فماذا حدث بعد ذلك؟

يذهب المسيح بعد العشاء الأخير، وهذه الدعوة الصريحة للمقاومة، إلى ضيعة تدعى «جَثْسَيْمَاني» في جبل الزيتون. ويأخذ معه بعض تلاميذه ويتخلّف عنه «يهوذا».

«حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعةٍ يقال لها جَثْسَيْمَاني، فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك».

(متى ص ٢٦: ٣٦).

هنا نجد المسيح بعد أن حصل على السلاح اتخذ موقعاً للدفاع والمقاومة في هذه الضيعة من جبل الزيتون.

«ثم اخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي».

(متى ص ٢٦: ٣٧ ـ ٣٨)

هنا بدأ توزيع التلاميذ على مواقعهم وأمرهم بالسهر والمراقبة معه. هذه تكتيكات رجل يستعد للمقاومة ويعرف أن هناك خطراً قادماً. وهذا الخطر يسبب له حزناً كبيراً كالموت: فأين إذاً ذلك الابن الإلهي الذي عاهد والده على الموت في سبيل البشرية؟ ولماذا كل هذا الحزن والترقب؟

«ثم تقدم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن امكن فلتعبر عني هذه الكاس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت».

(متى ص ٢٦: ٣٩)

هذه هي الحقيقة والسبب في حزن المسيح. إنه لا يريد أن يموت. ويدعو الله أن يبعد عنه كأس الموت إن أمكن. ولكنه يعلم أن ذلك أمر الله ومشيئته لا كيفما يريد هو. ترى هل نجد في دعاء المسيح وصلاته صورة الابن الإلهي الذي يريد الموت وبذل الدم تكفيراً وخلاصاً

للبشر؟ سوف أترك الجواب للقارئ. وأعطيه صورة أخرى بوصف آخر من الإنجيل لصلاة المسيح.

«وإذ كان في جهادٍ كان يصلي بأشد لجاجةٍ وصار عرقه كقطراتِ دمٍ نازلةٍ على الأرض».

(لوقا ص ٢٢: ٤٤)

صلاة وجهاد وعرق نازل! وهم في جبل وفي موسم ربيعي! ترى لماذا؟ قلنا إننا سوف نترك الجواب للقارئ ونحن على ثقة بأنه سوف يجد الجواب. والآن ماذا حدث بعد هذه الصلاة؟

«ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً. فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة».

(متى ص ٢٦: ٤٠)

المسيح يعتب على تلاميذه لنومهم وعدم استمرار سهرهم ومراقبتهم لما قد يأتي. وهو محقّ في عتبه وتلاميذه مخطئون في نومهم. ولكن لماذا ناموا عن معلمهم وعصوا أمره لنستمع إلى عذر أقبَح من ذنب.

«ثم قام من الصلوٰة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن».

(لوقا ص ٢٢: ٤٥)

ترى متى كان الحزن سبباً للنوم عند البشر؟ لا شك أن تلاميذ المسيح هم أول من ينام لحزنه. وسوف يكون لنا حديث عن تلاميذ المسيح فيما بعد ولكن دعونا لا ننسى لهم هذا الموقف المخجل مع سيدهم ولمن يسمونه ربهم.

ماذا يحدث بعد تلك النومة «الحزينة» لتلاميذ المسيح؟

«ومضى أيضاً وصلّى قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه».

(مرقس ص ١٤: ٣٩ ـ ٤٠)

طبعاً لا إجابة لهم. ولكن لنتابع بقية الأحداث.

«وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد من الاثني عشر قد جاء ومعه جمع

كثير بسيوفٍ وعصيٍّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب.[48] والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبّله هو هو. امسكوه.[49] فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدي وقبّله.[50] فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه».

(متى ص ٢٦: ٤٧ ـ ٥٠)

وهكذا حبكت المؤامرة على «يسوع» المسيح من قبل «يهوذا» التلميذ الخائن. ووجد المسيح نفسه أمام حشدٍ من الأعداء مدجّجين بالسيوف والعصي. وقد ألقوا القبض عليه. وهنا يتهوّر أحد التلاميذ.

«ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستلّه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد مَلخس».

(يوحنا ص ١٨: ١٠)

وكاد هذا التهوّر أن يجني على الكل لولا أن تدارك المسيح الأمر.

«فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون».

(متى ص ٢٦: ٥٢)

إذا كان الذين يأخذون بالسيف بالسيف يقتلون. فلماذا طلب المسيح منهم أن يبيعوا ملابسهم ليشتروا السيوف إذن؟ الإجابة هي أن المسيح أراد الدفاع والمقاومة. في بادىء الأمر، فلما رأى الذين أتوا مجموعة لا طاقة له ولتلاميذه بهم، جنح للسلم وفضل الأمن على الهلاك. ليس في تصرف المسيح أي عيب أو خطأ طالما كان المسيح بشراً يفضل الحياة على الموت. ولكن تصرفه يكون في غاية العيب والغرابة لو كان المسيح إلهاً أو ابن إله ومفروض عليه أن يموت فداءً للبشرية. ونحن نعتقد مما سلف سرده فقط يتضح أن المسيح إنما كان بشراً محباً للحياة زاهداً في الموت يطلب الخلاص من كأس الموت إن أمكن. فماذا حدث له بعد ذلك؟

بعد إلقاء القبض على يسوع عليه السلام، جرّه القوم موثوقاً إلى «حنان» الذي كان قريباً لرئيس الكهنة «قيافا».

«ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه [١٣] ومضوا به إلى حنان أولاً لأنه كان حما قيافاً الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة».

(يوحنا ص ١٨: ١٢ ـ ١٣)

وهناك تبدأ محاكمة غير قانونية للمسيح يحاول فيها المسيح الدفاع من دون جدوى:

«فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه [٢٠] أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً وفي الخفاء لم أتكلم بشيء [٢١] لماذا تسألني أنا. اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم. هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا».

(يوحنا ص ١٨: ١٩ ـ ٢١)

ورغم أن دفاع المسيح دفاع «رجل بريء» لم يأتِ بخطأ، ورغم قوة منطقه في الدفاع عن نفسه إلا أن النية المبيّتة مسبقاً كانت متحكِّمة في عقول من حوله.

«ولما قال هذا لطم يسوعَ واحدٌ من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة [٢٣] أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وإن حسناً فلماذا تضربني».

(يوحنا ص ١٨: ٢٢ ـ ٢٣)

منتهى التعنت والإذلال يقوم به خادم تافه في حق المسيح. ومع هذا يحاول المسيح الدفاع عن نفسه بالمنطق الواضح. ولكنه للأسف لم يكن يعلم بالنية المبيتة له مثلما يعلم بها ذلك الخادم اليهودي. ذلك أن «قيافا» رئيس الكهنة الذي كان يستجوبه ويحاكمه كان قد أعلن حكمه قبل المحاكمة.

«وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب».

(يوحنا ص ١٨: ١٤)

ولكن تستمر المحاكمة المهزلة.

«وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا».

(مرقس ص ١٤: ٥٥)

ولقد تقدم عدة شهود ضد المسيح ولكنهم لم يتفقوا على شهادة واحدة رغم أن بعضهم كان شاهد زور. وفي النهاية كانت نتيجة شهادات الشهود كما يلي:

«ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق».

(مرقس ص ١٤: ٥٩)

كل هذا ويسوع ساكت ينظر إلى هذه المهزلة، وهو يعرف أن دفاعه قد جاء بعد الحكم.

«أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء».

(مرقس ص ١٤: ٦١)

وهنا يأتي مكر رئيس الكهنة اليهودي.

«فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له أأنت المسيح ابن المبارك ؟٦٢ فقال يسوع أنا هو..........».

(مرقس ص ١٤: ٦١ ـ ٦٢)

هذا كل ما كان يحتاجه الكاهن ليظهر المسيح بصورة الكافر في نظر اليهود. لأنه افترض مقولته تعدياً على وحدة الله. وافترض أن البنوّة التي يقول بها المسيح هي بنوّة إلٰهية جسدية، رغم ما قد شرح المسيح لليهود من قبل ما يعني بالبنوّة. (يوحنا ص ١٠: ٢٣ ـ ٣٦)

ولكن النية المبيّتة كانت تبحث عن دليل واهٍ لتلصق التهمة التي تستلزم عقاب القتل الذي يريده الكهنة اليهود للمسيح. فبعد أن أجاب المسيح بـ «أنا هو»، حدث ما كان منتظراً من الكهنة.

«فمزّق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟٦٤ قد سمعتم التجاديف ما رأيكم. فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت».

(مرقس ص ١٤: ٦٣ ـ ٦٤)

وهكذا بكل بساطة حكم على المسيح بالموت بعد محاكمة صورية مجحفة. ولم يكتفِ اليهود بهذا الحكم الظالم على هذا النبي المرسل. بل لقد وجدوها فرصة لإظهار حقدهم الكامن عليه وكرههم المقيت له بعد صدور الحكم.

«فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ. وكان الخدام يلطمونه».

(مرقس ص ١٤: ٦٥)

يا لها من خِسَّة وسفالةٍ في معاملة رجل طاهر مؤمن أراد لهم الخير والهداية. فأحلوا دمه وأهانوه بما لا يستحقه رسول «كعيسى ابن مريم» عليه السلام. وربما يسأل سائل: أين هم تلاميذه وأتباعه؟ ألم يحاولوا شيئاً من أجل إنقاذه أو على الأقل الدفاع عن كرامته؟ لا يا سيدي السائل. لم يفعلوا، أتعلم لماذا؟ لأنهم كما قال «مرقس»:

«فتركه الجميع وهربوا».

(مرقس ص ١٤: ٥٠)

الوحيد الذي ظل معه إلى لحظة الحكم والإهانة كان «بطرس»، الذي ظل متنكراً ومدعياً أنه لا يعرف المسيح وأنه ليس من تلاميذه. و «بطرس» لم يكتفِ بالتنكر للمسيح كما تنبأ المسيح له بذلك، بل إن حبه للمسيح لم يكن لدرجة أن تفور دماؤه ويثور إيمانه على ما كان يحدث للمسيح، ليقوم ويدافع عمن كان يسميه بالرب. وكما قلنا: لنا وقفة مع أتباع وتلاميذ المسيح فيما بعد فدعونا الآن نتابع قصة قتل المسيح.

فبعد الحكم المجحف في حق سيدنا المسيح عليه السلام وبعد الإهانة والإذلال للرجل الصالح الطهور، يحدث الآتي:

«وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس».

(مرقس ص ١٥: ١)

«بيلاطس» كان القائد الروماني الآمر على يهود فلسطين في ذلك

العهد. حيث كان اليهود تحت احتلال الامبراطورية الرومانية، «وبيلاطس» هو ممثل القيصر الروماني في فلسطين والحاكم المدني والعسكري عليها.

«فخرج بيلاطس إليهم وقال أية شكاية تقدّمون على هذا الإنسان؟ [٣٠] اجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعلَ شرٍ لما كنا قد سلمناه إليك! [٣١] فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واحكموا عليهِ حسب ناموسكم. فقال له اليهود: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً».

(يوحنا ص ١٨: ٢٩ ـ ٣١)

هنا وضع اليهود الأمر بيد القائد الروماني الذي قرر أن ينظر الأمر بنفسه.

«ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود؟ [٣٤] أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟ [٣٥] أجابه بيلاطس: ألعلي أنا يهودي. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ. ماذا فعلت؟ [٣٦] أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا».

(يوحنا ص ١٨: ٣٣ ـ ٣٧)

أسئلة، ودفاع، ومحاورة. بيلاطس يريد أن يعرف ما اقترف المسيح من ذنب ليحكم عليه. والمسيح رجل يدافع لينقذ نفسه من الموت. وكانت التهمة التي ألصقها اليهود زوراً بالمسيح هي أنه يدعي الملك على اليهود ولا يريد إعطاء الجزية لروما كما يقول «لوقا».

«فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس [٢] وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك».

(لوقا ص ٢٣: ١ ـ ٢)

وهذه تهمة خطيرة كان واجباً على «بيلاطس» أن يحقق فيها، وكان دفاع المسيح واضحاً وبراءته ناصعة.

«قال له بيلاطس ما هو الحق. ولما قال هذا، خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: انا لست أجد فيه علة واحدة».

(يوحنا ص ١٨: ٣٨)

ثم أراد أن يجد لهم مخرجاً من تجنّيهم على المسيح فقال لهم:

«ولكم عادة أن أطلق لكم واحداً في الفصح. أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ؟٤ فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصّاً».

(يوحنا ص ١٨: ٣٩ ـ ٤٠)

يا للحقد اليهودي على المسيح، يفضلون إطلاق سراح لص مثل «باراباس» بدلاً من الرجل الشريف الطاهر. فحاول بيلاطس أن يكتفي بتعذيب المسيح وإذلاله حتى يرضي اليهود، وعسى أن لا يطالبوه بقتله.

«فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده ؟٢ وضفر العسكر إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان ؟٣ وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه ؟٤ فخرج بيلاطس أيضاً خارجاً وقال لهم ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا أني لست أجد فيه علّة واحدة ؟٥ فخرج يسوع خارجاً وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان. فقال لهم بيلاطس: هوذا الانسان ؟٦ فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه. قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه، لأني لست أجد فيه علة ؟٧ أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله».

(يوحنا ص ١٩: ١ ـ ٧)

وهكذا «بيلاطس» يحاول إنقاذ المسيح واليهود يلحون عليه بصلبه، وأما السبب في محاولات «بيلاطس» لإنقاذ حياة المسيح إنما يعود إلى أنه لم يجد في المسيح علة أو خطأ يستحق القتل. والأهم من ذلك أنه كان قد استلم رسالة من زوجته تطلب فيها منه أن لا يؤذي يسوع المسيح.

«وإذ كان جالساً على كرسيّ الولاية أرسلت إليه امرأته قائلةً إياك وذلك

البار. لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله».

(متى ص ٢٧: ١٩)

لهذا يحاول «بيلاطس» مرة أخرى أن ينقذ حياة المسيح.

«من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر».

(يوحنا ص ١٩: ١٢)

هنا بدأ اليهود كعادتهم التاريخية في ابتزاز نزاهة «بيلاطس» وحبه للعدل، بأن يهدّدوه بصورة قذرة، بأنه إن أطلق سراح المسيح فهو يكون غير محبٍّ لقيصر. أسقط في يد «بيلاطس» وحاول للمرة الأخيرة.

«وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة. فقال لليهود: هوذا ملككم. [15] فصرخوا خذه خذه أصلبه. قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم. أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا قيصر».

(يوحنا ص ١٩: ١٤ - ١٥)

منتهى التصلب في موقف اليهود يدفعهم لقبول حكم الأجنبي والولاء له على أن يترك المسيح طليقاً. وابتزازهم «لبيلاطس» وتهديدهم له أكبر شأناً بالنسبة «لبيلاطس» من حياة يهودي بريء اسمه «عيسى ابن مريم». فينهي بيلاطس الموضوع ويحزم الأمر وهو يحاول أن يرضي ضميره في نفس الوقت.

«فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم. [25] فاجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا. [26] حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب».

(متى ص ٢٧: ٢٤ - ٢٦)

وهكذا باءت محاولات بيلاطس بالفشل لإنقاذ حياة المسيح عليه السلام. ولكننا يجب أن نتذكر بعد هذه المشاهد أن هناك أمرين لا يجب أن نستهين بهما لأهميتهما في موضوع صلب المسيح وموته.

الأول، أن المسيح كما هو واضح رجل حريص على أن لا يموت، فقد حاول الهرب والمقاومة وطلب النجاة من الموت في صلاته، وحاول الدفاع عن نفسه أمام الكهنة وأمام «بيلاطس»، وكاد أن يسلم على روحه لولا إصرار اليهود. الثاني، أن بيلاطس قد حاول قدر استطاعته إنقاذ حياة المسيح. لأنه كان يرى أنه بريء، ولأنه لم يكن يود أن يغضب زوجته التي طلبت منه عدم إيذاء المسيح. ولكنه ورغم أنه أراد للمسيح أن يظل حيًّا اضطر للاستسلام لابتزاز اليهود له، فأمر بصَلْب المسيح كارهاً. كما أن لنا أن نتذكر أمراً ثالثاً على جانب من الأهمية، وهو أن تلاميذ المسيح وأتباعه كانوا قد تركوه وهربوا طلباً للنجاة والسلامة. لذا، فإن كل ما رووه عن تلك اللحظات الأخيرة من حياة المسيح، إنما هي روايات سمعوها ولم يشهدوها. هذه الأمور الثلاثة يجب أن تكون على بالنا لأهميتها بالنسبة للموضوع. والآن لنأتِ على بقية القصة الحزينة للّحظات النهائية في حياة المسيح.

بعد صدور الحكم أخذ عسكر الوالي الروماني يسوع وعرّوه وألبسوه رداءً قرمزياً، وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه. وكانوا يجثون أمامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود. ويبصقون عليه ويأخذون القصبة ويضربون بها على رأسه. وبعد أن أخذوا كفايتهم من الاستهزاء به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصّلب. وهنا لنا وقفة مع عملية الصلب هذه.

كثيرون لا يعرفون لماذا يموت الإنسان على الصليب. والغالبية يعتقدون أن سبب الموت على الصليب هو النزيف الدموي الذي يحدث بعد دقِّ المسامير في راحة يد المصلوب وفي قدميه. ولكن الحقيقة الطبية التي لا خلاف عليها، والتي يستطيع القارىء أن يتأكد منها بسؤال أيّ طبيب يثق فيه، هي أن السبب في موت المصلوب هو اختناقه.

لا تتعجب أيها القارىء إن لم تكن تعرف هذه الحقيقة من قبل.

فإن النزيف الذي يحدث من دق المسامير في اليد هو نـزيف بسيط لا يسبب الموت. ولكن الذي يسببه هو الاختناق. فالمصلوب يكون مرتفعاً عن سطح الأرض. وهنا يكـون فعل الجـاذبية عـلى الحجاب الحـاجز الذي يتحكم في عملية التنفس. فبعد فترة من التعلق بعيداً عن سطح الأرض يبـدأ التعب على الإنسـان، لأنـه يحـاول أن يـرغم الحجـاب الحاجز عـلى الاستمرار في عملـه ومقاومـة الجاذبيـة الأرضية. ولكن المصلوب مرتكزاً على الصليب، سـواء بالـربط بالحبـال أو بالمسـامير المدقوقة في راحتيه أو قدميه، فإن مقاومته لشد الجاذبية تطـول، وقد تستغرق العملية أياماً قبل أن يموت المصلوب متأثراً بالاختنـاق لعدم تمكنه من مقاومة الجاذبية الأرضية لحجـابه الحـاجز. لهـذا السبب وكما سترى فإن العسكر إن أرادوا للمصلوب أن يموت بأسرع وقت، فإنهم يقومون بكسر ساقيه حتى لا يستطيع الاعتماد عليهما بمقـاومة الجاذبية، وذلك بالارتكاز عليهما وهمـا مشدودتـان أو مُسمَّرتـان إلى عمود الصليب. أسلوب وحشي للقتـل، يكون فيـه الموت بطيئـاً ومؤلماً، ولكنه أسلوب يقوم على قتـل المصلوب بـالاختناق لا النـزيف. كما أن عمليـة الصلب لا يهم أن تكون عـلى عمود رأسي وآخـر أفقي كمـا في الصليب (†)، بل قد تكون على عمـود رأسي فقط (|). ففعل الجـاذبية واحد. بل قد يزيد التأثير في حالـة وجود عمـود رأسي فقط، لأن وجود العمود الأفقي يعطي للمصلوب نقطتي ارتكاز أخريـين تساعـدانه في مقاومة الجاذبية الأرضية فترة أطول، وهما ذراعاه.

وصلب المسيح ربما كان على صليب ذي عمـودين رأسي وأفقـي، أو ربمـا كان عـلى عمود رأسي فقط. وهنـاك فرقـة من المسيحيين تـدعى «شهود يهوا» تؤمن أن المسيـح كان مصلـوباً عـلى عمود رأسي فقط. وهي لا تذكر الصليب في إنجيلها أبداً ولا تؤمن به.

فإن كان المسيح قد صلب على عمود رأسي فقط، فإن تعبير «صلب المسيح» يكون تعبيراً غير كـامل. فتعبـير صلب يجوز في حـالة وجـود

عمود رأسي وأفقي. فإن كان عمود واحد فالأدق أن يكون التعبير هـو «تعليق المسيح» لا «صلب المسيح».

ورغم أن الحالتين تؤديان إلى الوفاة بالاختناق، إلا أن هذا يذكرنا بقول القرآن «وما صلبوه». ولكننا سوف نتابع قصة المسيح متذكرين أن كلا الحالتين تؤدي إلى الوفاة بالاختناق بعد فترة طويلة نسبياً قد تصل إلى ساعات أو أيام. فلنتابع قصة المسيح عليه السلام.

«حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار».

(متى ص ٢٧: ٣٨)

وفي رواية ثانية:

«حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخـرين معه من هنـا ومن هنا ويسـوع في الوسط».

(يوحنا ص ١٩: ١٨)

فمن كان شاهد صلب المسيح هناك غير أعدائه اليهود؟

«وكانت واقفات عنـد صليب يسوع أمـه وأخت أمه مـريم زوجة كلـوبا ومريم المجدلية».

(يوحنا ص ١٩: ٢٥)

فلنتذكر ذلك. إن شهود العيان لحظة صلب المسيح وما يتلوها من أحداث كانت أمه البتول «مريم» و «مريم المجدلية» تابعته المؤمنـة به منذ أن أنقذها من حجارة الراجمين لها لخطيئتها وعهارتها السـابقة. أمـا تلاميـذه وكتبة الإنجيـل فلم يكونـوا هناك لأنهم تـركوه جميعـاً وهربوا. فيما عدا تلميذاً واحداً كما يلمح «يوحنا» في إنجيلـه «يوحنـا ص ١٩: ٢٦». وهذا مجرد تلميح، أراد «يوحنا» أن يوحي بأنه نفسه كان ذلك التلميذ.

فماذا حدث بعد ذلك؟

«ومن السـاعـة السـادسـة كـانت ظلمـة عـلى كـل الأرض إلى السـاعـة

التاسعة.[46] ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتني أي إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني».

(متى ص ٢٧: ٤٥ ـ ٤٦)

إيلي إيلي لما شبقتني أي إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني!

أهذه صرخة إله أو ابن إله عاهد أباه على الموت في سبيل خلاص البشرية؟

أم هذه صرخة إنسان مؤمن كان يأمل إلى آخر لحظة أن يخلصه ربه من الموت الذي لا يريده؟

إن هذه الصرخة المتألمة للمسيح عليه السلام تنقض وتدحض جميع مزاعم الكنيسة المسيحية بألوهية المسيح وبأنه قد جاء إلى الأرض ليموت راضياً، ليخلص البشرية من الخطيئة المزعومة. ولكن ترى هل يخلص الله نبيه ورسوله اليسوع ابن مريم من براثن الموت؟

«بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان.[29] وكان إناء موضوعاً مملوّاً خلًّا. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه».

(يوحنا ص ١٩: ٢٨ ـ ٢٩)

منتهى القسوة من اليهود في حق يسوع. فهم إلى آخر لحظة من حياة رجل على شفاه الموت يبخلون عليه حتى بقطرة ماء يبلّ بها صداه وظمأه.

«فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح».

(يوحنا ص ١٩: ٣٠)

مات المسيح. مات يسوع!!!

ولكن كيف عرف كتبة الإنجيل أنه مات في تلك اللحظة، وهم لم يكونوا موجودين حوله عندئذ؟ بل كيف عرف الناس من حوله أنه مات؟ هل جسوا نبضه فلم يجدوه؟ هل استمعوا لدقات قلبه وأنها توقفت؟ هل وضعوا مرآة تحت أنفه ليروا أنه ما عاد يتنفس؟

الطب والعلم والشرع العصري لا يكتفي حتى بهذه الشواهد. بل إنه يصر على أن الإنسان حي ما دام هناك تيار كهرومغناطيسي في دماغه. فهل قاس المتواجدون ذلك التيار فلم يجدوه؟

كل ما فعله المسيح أنه نكّس رأسه. وتنكيس الرأس ليس دليل الموت. وارتخاء العضلات وتوقف الحركة ليس دليل الموت. ربما كان الرجل في غيبوبة بعد هذا التعذيب والجلد والصقع والإهانة.

وربما كانت مواجهة حقيقة الموت وحدها كافية لأن تلقي به في غيبوبة فيبدو منكس الرأس بلا حراك. ربما وربما وربما. ولكننا نبحث عن دليل مادي على أن المسيح كان ميتاً أو حياً على الصليب. فلنتابع الأحداث.

«ثم إذ كان استعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا».

(يوحنا ص ١٩: ٣١)

إذن، فالقوم كانوا على عجلة من أمرهم لأن يوم الغد يوم سبت عظيم بالنسبة لهم. فلم يشاءوا أن يطول التعذيب، لا لرحمة في قلوبهم ولكن لأنهم مستعجلون على الانتهاء من ذلك الموضوع للتفرغ للاستعداد لليوم الثاني الذي هو يوم سبت عظيم ومقدس.

ومع أن عملية الصلب لم تستمر سوى ساعات قليلة. إلا أنهم اكتفوا من تعذيب المسيح وإهانته وأرادوا له أن يموت سريعاً.

«فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه [٣٣] وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات».

(يوحنا ص ١٩: ٣٢ ـ ٣٣)

كيف عرف العسكر أن يسوع قد مات؟ عرفوا ذلك لأنهم رأوه منكس الرأس بلا حراك. ولو أنهم لم يفعلوا شيئاً لما استطعنا أن نعرف إن كان المسيح ميتاً أو حياً على الصليب. ولكن و «لحسن

الحظ» فـإن أحد العسكـر قد جـرّب شيئاً في المسيـح ليرى إن كـان سيأتي بردّة فعل من المسيح.

«لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دمٌ وماء».

(يوحنا ص ١٩: ٣٤)

أما كيف استطاع المشاهدون تمييز الماء من الـدم وهو خـارج من جـرح واحـد؟ فهـو أمـر لا أزال في حـيرة منـه. ولكن المهم أن دمـاً خرج من الجرح «للوقت». وهذا هو الدليل على أن المسيـح كان حيـاً عندما ظنه الآخرون ميتاً. لأن أقل شروط الموت هو توقف دقات القلب. ولأن تـوقف دقات القلب تنهي ضغط الـدم في الجسد. ولأن الجسـد الذي بلا ضغط دم لا ينزف الدم نزفاً سريعاً بل ببطء شديد.

فإن أي إنسان يجرح لا يخرج الـدم منه فـوراً و «للوقت» إلا إذا كان حياً. فالقلب في دقاته. والدم في ضغطـه العادي. والجـرح يسبب نـزفاً آنيـاً لأن ضغط الدم أكثـر من الضغط الجوي الخـارجي عـلى الجسد.

وللقارىء غير الـواثق من دقة هـذه المعلومـات أن يتأكـد فيها عن طريق سؤال طبيب يثق فيه. مع ملاحظة ثانيـة هي أن جرح المسيـح كان في الجنب، أي في الجزء العلوي من الجسد. ولو كان قلب المسيح متـوقفاً عن العمـل لموتـه، لتجمع الـدم في الجزء الأسفـل من جسـد المسيح بفعل الجاذبية الأرضيـة، لأنه كـان معلقاً بـالطول. ولـو كان خروج الدم فوراً لجرح بالقدم، مثلاً، لقبلنا بمنطق موته، ولكن خروج الدم جاء من الجزء الأعلى من جسد المسيح. فخـروج الدم «للـوقت» من جسد المسيح هو شهادة ما بعدها شهادة على أن المسيح كان حياً عندما ظنّ الآخرون واشتبهوا أنه ميت.

﴿ومـا قتلوه ومـا صلبوه ولكن شبّـه لهم﴾ هنا كـان خطأ مفسري القـرآن في صلب وقتل المسيـح. فكلمة «شبـه لهم» لم تكن تعني أنـه كان هناك إنسان شبيه بعيسى عليه السلام وصلبـه اليهود ظنـاً منهم بأنه المسيح.

فكلمـة «شبه لهم» تعني أنهم اشتبهـوا في موتـه ولم يتيقنـوا من موته ولذلك تنتهي الآية بقوله سبحانـه وتعالى: ﴿ومـا قتلوه يقينـاً﴾. (النساء ١٥٧).

ويجب أن نكون متفهمين لتسرع اليهود المشاهدين لصلب المسيح. ولاقتناعهم بموته دون التدقيق والتيقن فهم أولاً، كانوا عـلى عجلة من أمرهم. وثانياً، إن صلب المسيح تزامن مع ظواهر طبيعية خارقـة من كسوف للشمس وزلزال في الأرض.

«فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح ٥١ وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت والصخور تشققت».

(متى ص ٢٧: ٥٠ ـ ٥١)

وكذلك يقول لوقا:

«وكان نحو الساعة السادسة. فكانت ظلمة عـلى الأرض كلها إلى السـاعة التاسعة ٤٥ وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه».

(لوقا ص ٢٣: ٤٤ ـ ٤٥)

وكذلك يقول مرقس:

«فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الـروح ٣٨ وانشق حجاب الهيكـل إلى اثنين من فوق إلى أسفل ٣٩ ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنـه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله».

(مرقس ص ١٥: ٣٧ ـ ٣٩)

وهكذا، فإن هذه الظواهـر الطبيعية من انكسـاف للشمس وزلزال في الأرض جعـل الناس في عجلـة من أمـرهم للـذهـاب إلى منـازلهم، بالإضافة لاستعجالهم أصلاً للاستعداد ليوم السبت العظيم في اليوم التالي. فما كـان لهم أن يدققـوا ويتيقنوا من مـوت المسيح. واكتفـوا بالمشاهدة لا بالفحص والتأكد من المـوت. في حين أن المسيـح كان في حالة إغماء لا أكثر. وقد كان حياً دل على حياته ودقات قلبه ذلك الدم الـذي خـرج «للـوقت» من الجـرح الـذي سببتـه طعنـة العسكـري الروماني له بالحربة.

ولكن يجب أن لا ننسى قائد المئة الروماني الذي آمن بأن المسيح هو ابن الله فإن له دوراً خطيراً ولكن مهم في بقية القصة. فما هي بقية القصة؟

بقية القصة أن «قائد المئة» الذي آمن بالمسيح بعد موته مباشرة لم يكن الوحيد الذي شاهد هذه الأحداث.

«وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة».

(مرقس ص ١٥: ٤٠)

إذن، فمريم المجدلية كانت هناك، فمن كان هناك أيضاً.

«وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً !٥ هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم. وهو من الرامة مدينة لليهود. وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله».

(لوقا ص ٢٣: ٥٠ ـ ٥١)

إذن، فهناك أيضاً كان «يوسف» اليهودي الذي كان يؤمن بالمسيح سراً. ويخالف اليهود في رأيهم وعملهم بالمسيح. فماذا فعل يوسف هذا؟

«جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله. فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع».

(مرقس ص ١٥: ٤٣)

إذن، فيوسف هذا أراد أن يأخذ جسد «عيسى» ويذهب به ليدفنه. فماذا كان رد الفعل عند بيلاطس؟

«فتعجب بيلاطس انه مات كذا سريعاً، فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات».

(مرقس ص ١٥: ٤٤)

حق «لبيلاطس» أن يتعجب. لأن المصلوب كما ذكرنا يأخذ وقتاً ليموت بالاختناق. وهذا «يوسف» يقول له إنه مات خلال سويعات قليلة، وإنه يريد أن يأخذ جسده ليدفنه. فلا يصدق « بيلاطس»

ويطلب شهادة أحد أعوانه. فيلتفت إلى «قائد المئة» ليسأله. وأنىٰ له أن يعرف بأن «قائد المئة» قد صار مؤمناً بالمسيح.

فماذا يحدث بعد ذلك؟

«ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف».

(مرقس ص ١٥: ٤٥)

وهكذا حصل «يوسف» اليهودي المؤمن بالمسيح خفيةً على جسد المسيح، وكان شاهده ومساعده في الحصول على جسد المسيح قائد روماني آمن بالمسيح وهو على الصليب.

مؤمنان بالمسيح حصلا على جسد المسيح بدعوى موته. وربما أنهما كانا مؤمنين بموته، ولكنهما لا شك غير متيقنين من ذلك.

والذي وهبهما جسد المسيح كان «بيلاطس» الذي لم يكن يريد للمسيح أن يموت أصلاً. فماذا حدث بعد ذلك؟

«فاشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر».

(مرقس ص ١٥: ٤٦)

وهنا يجدر بنا أن نتوقف قليلاً لننظر في أمر القبر. إن اليهود ما كانت تدفن الأموات في باطن الأرض وتهيل عليهم التراب كما نفعل اليوم. بل كانوا يضعون الجسد الميت في تجويف منحوت في الصخر ثم يغلقون عليه حجراً ويسمونه قبراً أو ناووساً. وهذا التجويف في الصخر عادة ما يكون واسعاً ليسمح لحاملي الميت بالدخول والحركة. ومن ثم، فإن هناك اتساعاً وهواءً يكفي لتنفس الإنسان إذا كان موجوداً هناك بعد إغلاق باب التجويف بالحجر.

فمن ثم، فإن المسيح إذا كان في حالة إغماء عندما نقلوه لذلك القبر. فإنه وضع في مكان يسمح له بالاستمرار في التنفس والحياة. ولو أن المسيح قد دفن دفناً في قبر كقبورنا لكان موته حتماً، حتى وإن كان حياً قبل أن يهال عليه التراب.

ترى مَنْ كان هناك يراقب ما كان يحدث وما كان يفعله يوسف مع قائد المئة؟ لنقرأ الإنجيل:

«وأنزله ولفّه بكتان ووضعه في قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط [54] وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح [55] وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده».

(لوقا ص ٢٣: ٥٣ ـ ٥٥)

إذن، فتلك النساء قد تبعن «يوسف» وهو يأخذ جسد المسيح ويسير به إلى موضع القبر. بل ولقد رأين القبر وكيفية وضع الجسد فيه. وهن قد يكنَّ ساعدن يوسف في تكفينه ولفّه بالكتان، وكذلك في تمديده لجسد المسيح. فمن كن تلك النساء؟

«وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه [56] وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي».

(متى ص ٢٧: ٥٥ ـ ٥٦)

إذن، إنها «مريم المجدلية» و «مريم العذراء» وأخريات. ترى هل تبعن يوسف وهو ينقل جسد المسيح ويضعه في القبر؟

«وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر».

(متى ص ٢٧: ٦١)

نعم، لقد استمرت تلك التابعة المخلصة للمسيح في المسير مع «يوسف» وهو ينقل جسد المسيح إلى القبر، وكانت من بين النساء اللاتي نظرن القبر وكيف وضع جسد المسيح.

ويؤكد مرقس رواية متى:

«وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع».

(مرقس ص ١٥: ٤٧)

يا لها من امرأة وفيّة مخلصة لسيدها. والله لقد كانت أشد محبة ووفاءً وإيماناً بالمسيح من بقية تلاميذه، الذين تركوه في ساعة محنته فلم يحاولوا مساعدته على الخلاص ولا ابتدروا للدفاع عن معلمهم

وسيدهم، بل لاذوا بالفرار خوفاً، ولم يكلفوا أنفسهم حتى متابعة ومشاهدة ما كان يجري لسيدهم من إذلال ومهانة، ولا حتى حضروا صلبه أو دفنه. فشتان بين امرأة مؤمنة بالقلب واللسان والفعل وبين رجال إيمانهم على اللسان فقط. ولكن لنا معهم وقفة قريبة. وقبل المضي في متابعة الرواية لنحاول تلخيص الأحداث:

أ ـ ألقى اليهود القبض على المسيح بمساعدة تلميذه الخائن.

ب ـ جرب المسيح الهرب والمقاومة ولكنه استسلم لأعدائه اليهود لكثرتهم.

ج ـ ما كان المسيح راغباً بالموت والدلائل عليه ثلاثة:

١ ـ صلاته وتضرّعه لله بأن يخلصه من الموت.

٢ ـ دفاعه عن نفسه أمام الكهنة اليهود والقائد الروماني.

٣ ـ صرخته على الصليب «إلهي إلهي لماذا تركتني؟».

د ـ موت المسيح على الصليب أمر مشكوك فيه لسببين:

(١) من قال إنه مات، قال ذلك لأنه رآه يصرخ ثم ينكس رأسه ويتوقف عن الحركة ولكن لم يقم أحد بالتأكد أو التيقّن من موت المسيح عن طريق فحص دقات القلب أو التنفس.

(٢) الاختبار الوحيد غير المقصود، تم على يد جندي روماني طعن المسيح بحربة في جنبه فاندفع الدم «للوقت» من الجرح، مما يدل على أن ضغط الدم كان موجوداً في جسد المسيح. وهذا يعني أن قلب المسيح كان يعمل ويخفق في تلك اللحظة مما يثبت أن المسيح كان حياً ولكن في حالة إغماء.

هـ ـ الظروف الوقتية من استعداد لعيد السبت العظيم في اليوم التالي، ووجود ظواهر طبيعية من كسوف للشمس وزلزال، أدى لتسرّع اليهود والمشاهدين للصلب في مغادرة موقع الصلب.

و ـ «يوسف» اليهودي المؤمن بالمسيح في الخفاء يحصل على جسد

المسيح بشهادة ومساعدة «قائد المئة» الذي آمن بالمسيح في آخر لحظة ورغم تعجب «بيلاطس» من سرّ موت المسيح، إلا أنه يسلم الجسد «ليوسف» و «قائد المئة». لأنه لم يكن يريد موت المسيح أصلاً، ومن ثم لم يرد أن يتأكد من موته بنفسه، وإنما اكتفى بشهادة شفهية من «قائد المئة».

ز ـ «مريم المجدلية» كانت الوحيدة من أتباع المسيح التي حضرت صلبه. وكانت متابعة لأحداث إنزال جسده وحمله إلى القبر. وربما تكون قد ساعدت «يوسف» في حمل المسيح وتمديد جسده في القبر. ومن ثم، فهي الوحيدة من الأتباع التي كان يمكن لها أن تعرف إن كان المسيح حياً أو ميتاً. لأنها لا بد وقد لمست جسد المسيح وهو محمول أو وهو مسجّى في القبر.

ح ـ صلب المسيح ودفنه تمّ في أواخر نهار يوم الجمعة لأن اليوم التالي كان يوم سبت عظيم. ويوم السبت هو يوم عطلة مقدس عند اليهود.

ط ـ قبر المسيح ليس كالقبور التي نعرف الآن. بل كان تجويفاً في الصخر وهو تجويف جديد واسع مليء بالهواء.

والآن، وبعد هذا التلخيص، لنستمر في متابعة ما يلي دفن المسيح من أحداث:

«وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ. فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر».

(يوحنا ص ٢٠: ١)

أول الأسبوع بالنسبة لليهود هو يوم الأحد. ومن ثم، فإن «مريم المجدلية» ذهبت إلى القبر في الصباح الباكر من يوم الأحد، حتى إن الظلام كان «باقٍ» مما يعني أنها ذهبت إلى القبر عند الفجر من يوم الأحد. وذلك لأن يوم السبت الذي كان بالأمس هو يوم عطلة مقدسة لليهود، فما كان لها أن تزور القبر. ولكن السؤال المهم هو لماذا ذهبت

«مريم المجدلية» إلى القبر أصلاً؟ وما هو موضوع الحجر المرفوع؟

«وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنَّه».

(مرقس ص ١٦: ١)

اشترين حنوطاً وأتين ليدهنه أي يدهنّ المسيح! ترى في أي تقاليد أو شعائر أو عادات، وفي أي شعوب أو أمم، نجد فيها الناس يدهنون الميت بالحنوط بعد وفاته ودفنه بثلاثة أيام؟!

ليس هناك أي عرف أو سابقة لأمة يهودية كانت أو غيرها، يقوم الناس بدهن الميت بعد موته بثلاثة أيام. وهنا يقول لنا كتبة الإنجيل إن المسيح مات على الصليب بعد ظهر يوم الجمعة وقد كفنه «يوسف» ووضعه في القبر. ثم يأتي الكتبة للإنجيل ليقولوا لنا إن مريم المجدلية التي كانت حاضرة لمأساة الصلب ومراسم الدفن، تأتي في اليوم الثالث لتدهن جسد المسيح بالحنوط. (ولا يهم من كان معها الآن)، إنه ليس من غير المعقول فقط أن نقول إن لا أحد يدهن ميتاً في اليوم الثالث بعد دفنه. بل يجب أن نتذكر ما نعرفه وما كان لا بد أن تعرفه مريم المجدلية وبقية اليهود، من أن جسم الميت يكون متصلباً ومتآكلاً من الداخل بعد مرور يوم واحد على الأكثر. مما يعني أن ذلك الجسد سوف يكون من الصلابة بحيث لا تستطيع امرأة أو نسوة أو رجال من غسله ودهنه بالحنوط بعد تلك الفترة الطويلة.

إذن، «فمريم المجدلية» إما أنها كانت جاهلة مجنونة هي ومن معها من النسوة حتى تفكر بدهن جسد المسيح بالحنوط بعد اليوم الثالث للدفن. وإما أنها.......... وإما أنها ما أتت لتدهن جسداً ميتاً، بل إنها أتت لتدهن جسد إنسان جريح، عانى من ضربات السياط والجلد، ووهن جسمه من التعذيب. وهذا لا شك ما كان قد حدث وكما تكشفه لنا الأحداث.

أتت «مريم المجدلية» المرأة والتابعة الوفية، التي تابعت صلب

المسيح ودفنه وعرفت أنه على قيد الحياة في القبر الجديد الواسع. رأت جراحات الجسد الواهن وهو مسجّى في القبر وقد لفّ بالكتان بعد أن وضع عليه «يوسف» مزيجاً مراً وعوداً بمساعدة «قائد المئة».

«وجاء أيضاً نيقوديموس الذي اتى أولاً إلى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مرٍ وعودٍ نحو مئة مَناً».

(يوحنا ص ١٩: ٣٩)

أتت مريم المجدلية في اليوم الثالث وهو يوم الأحد، اليوم الأول في الأسبوع اليهودي، لأنها لم تستطع أن تأتي يوم السبت، لأنه يوم عطلة ويوم عيد عظيم تحرّم فيها الأعمال عند اليهود.

أتت مريم المجدلية المؤمنة العارفة بأن المسيح كان حياً في القبر، أتت في فجر يوم الأحد لتدهن ذلك الجسد الواهن الجريح. ولقد كانت محتارة في كيفية تحريك الحجر الذي يسد باب القبر. ليس لأن الحجر غير قابل للتحريك، بل لأنها امرأة لا تملك من القوة والعضلات ما يملكه «يوسف» و «قائد المئة» اللذان وضعا الحجر على باب القبر، فماذا حدث عندما وصلت إلى القبر وهي تتساءل عمن سوف يدحرج الحجر عن باب القبر، حتى تستطيع أن تدهن المسيح؟

«فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً».

(مرقس ص ١٦: ٤)

إذن، فالحجر قد دحرج. ودحرجة ذلك الحجر العظيم ليست بمعضلة. فكل ما تحتاجه هو بعض سواعد، كما فعل «يوسف» و «قائد المئة». ولكن من يا ترى قد دحرج الحجر عن باب القبر ولماذا؟

وحتى نستطيع أن نجيب على: لماذا دحرج الحجر؟ يجب أن نعرف ما الذي جدت «مريم المجدلية» في القبر، بعد أن لقيته مفتوحاً.

«فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر ٣ فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع».

(لوقا ص ٢٤: ٢ ـ ٣)

إذن فـالمسيح، أو جسـد المسيح لم يكن في التجـويف الصخـري المسمّى قبراً. والذي هو من الاتساع مما فيه الكفاية لدخول النسـوة فيه. فماذا كان هناك إذن؟ لنستمع إلى يوحنا وهو يقول:

«وفي أول الأسبـوع جاءت مـريم المجدلية إلى القبر بـاكراً والظـلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر [٢] فركضت وجاءت إلى سمعـان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبـه وقـالت لهما أخذوا السيد من القبـر ولسنا نعلم أين وضعوه [٣] فخرج بطرس والتلميـذ الآخر وأتيـا إلى القبر [٤] وكـان الاثنان يـركضان معـاً. فسبق التلميـذ الآخـر بطـرس وجـاء أولاً إلى القبر [٥]. وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخـل [٦] ثم جاء سمعـان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة [٧] والمنديل الذي كـان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع وحده [٨] فحينئـذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فـآمن [٩] لأنهم لم يكونـوا بعد يعرفـون الكتاب أنـه ينبغي أن يقوم من الأمـوات [١٠] فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما [١١] أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجـاً تبكي وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر».

(يوحنا ص ٢٠: ١ ـ ١١)

ولنعد قراءة ما كتب يوحنا مرة أخرى ولنناقش ما قاله «يوحنا».

أولاً: إن يوحنا هو الوحيـد من كتبة الأنـاجيل الـذي ذكر ذهـاب بطرس إلى القبر مع تلميذ آخر بهذا التسلسل.

ثـانياً: إن «يـوحنا» وهـو الوحيـد من كتبة الأنـاجيل الـذي ذكـر «نيقوديموس» بالاسم والذي يفترض أنه «قائد المئة» لم يذكر لنا اسم التلميذ الآخر.

ثالثاً: إن هـذا التلميذ الآخـر و «بطرس» وبعـد معاينـة القبر، لم يكلفا نفسيهما عناء السؤال والبحث عن جسد المسيح الذي يسميانه بالرب. وهذا ليس بالجديد على تلاميذ المسيح «الأوفياء»!

رابعاً: إن الإنسان الـوحيد الـذي ظل عنـد القبر بـاكياً متحيّـراً، وسائلاً عن جسد المسيح كما سنعرف بعد قليل، ذلـك الإنسان كـان امرأة مؤمنة وفية مخلصة تدعى «مريم المجدلية».

خامساً: إن الذي وجده التلميذان «الوفيان» و «مريم المجدلية» هو أكفان المسيح، والمنديل الذي كان معتاداً أن يضعه على رأسه، أما جسد المسيح فلم يكن له أثر.

وهكذا، فإن الجواب على «لماذا» كان الحجر مدحرجاً عن باب القبر هو: لأن المسيح الذي كان حياً، ما كان له أن يخرج من القبر لو ظل الحجر موجوداً على بابه. كما أنه ما كان للمسيح أن يتحرك لو ظلت الأكفان ملتفة حول جسده. وأما منديل الرأس فإنه قد تركه في القبر لأنه لا يحتاجه بعد الآن لأسباب سوف نعرفها قريباً.

هذا هو الجواب على «لماذا» أما من دحرج الحجر عن باب القبر؟ فهذا سؤال تاهت فيه تقديرات الدارسين والمفكرين. والإجابة عليه ليست مهمة سوى من جانب واحد. إن من دحرج الحجر لا بد أنه فعل ذلك ليترك للمسيح مجال الخروج. وهو لذلك لا بد أن يكون عارفاً بأن المسيح حي نابض بالحياة وهو في القبر. لذا، فإننا لا نستبعد أن يكون «يوسف» أو قائد المئة «نيقوديموس» أو هما معاً، لأن أياً منهما أو كليهما يعرفان موقع القبر ويستطيعان دحرجة الحجر الذي لا تستطيع أن تدحرجه «مريم المجدلية».

أما ما قاله «متى» في إنجيله (متى ص ٢٨: ٢) إن «ملاك الرب» قد نزل ودحرج الصخر عن باب القبر، فليس لنا عليه إلا أن نقول إن أحداً غير «متى» من كتبة الإنجيل لم يذكر ذلك رغم ذكر بعضهم للملائكة في القبر. وأن نقول كذلك إن ذكر ملاك الرب أو وجود ملائكة في قبر المسيح قد اختلف فيها كتبة الأناجيل، «فمرقس» و «لوقا» يقولان «رجلان» و «رجل» وليس ملاك الرب أو ملاكين، والذي لا يستبعد، أن من شاهدتهم «مريم المجدلية» كانوا رجالاً، وافترض «متى» و «يوحنا» أنهم ملائكة. حيث أن من رآهم وهي «مريم المجدلية» لو كانت قد رأت ملائكةً لا رجالاً لكان أسلوب حديثها معهم يختلف، وكما أنهم لو كانوا ملائكة لما تردد «مرقس» و «لوقا» في ذكر ذلك، والآن لنعد إلى بقية الأحداث التي تتالت.

بعدما اكتشفت «مريم المجدلية» أن الصخر الـذي كان يسـد باب التجويف الذي كان يحوي المسيح قد دحرج وقفت هناك تبكي بعدما اكتشفت أن المسيح غير موجود في القبـر، وأن ما تبقى هنـاك لم يكن سوى أكفان ومنديل رأس المسيح عليه السلام. وفيما هي ورفيقـاتها واقفات محتارات:

«وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفـا بهن بثياب بـراقة[٥] وإذ كن خـائفات ومنكسـات وجوههن إلى الأرض قـالا لهن. لمـاذا تطلبن الحي بـين الأموات».

(لوقا ص ٢٤: ٤ ـ ٥)

رجلان أو ربما ملاكان، وإن كـان ذلك مشكـوك فيه جـداً، يقولان لـمريم المجدليـة وصويحبـاتها بكـل وضوح «لمـاذا تطلبن الحي بـين الأمـوات.» «الحي» ومن هو هـذا الحي؟ إنه «يسـوع» المسيح عليـه السلام. المسيح حي.

كل الشواهد التي ذكرناها سابقاً تؤكد أنه كان حياً عـلى الصليب وحياً في القبر. ومجيء مريم المجدلية بالدهان والحنوط إلى القبر يشير إلى معرفتها بأن المسيح كان حياً. والآن يأتيها من يسألها لماذا تطلب الحي بين الأموات. ولكن إذا كان المسيح حيـاً فأين هـو؟ ولماذا تـرك ذلك التجويف الواسع الذي يعرفـه «يوسف» المؤمن السري و «مـريم المجدلية» المخلصة؟ فلنجب على لماذا أولاً:

إن اليهـود وبعـد أن غـادروا مـوقـع الصلب ثـابـوا إلى أنفسهم ولاحظوا خطأهم الفادح في عدم التأكد من موت المسيح تـأكداً تـاماً. وخشوا أن ينعكس ذلك عليهم انعكاساً سلبياً.

«وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمـع رؤساء الكهنـة والفريسيـون إلى بيلاطس[٦٣] قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهـو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم[٦٤] فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليـلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشرّ من الأولى».

(متى ص ٢٧: ٦٢ ـ ٦٤)

وهنا لنتأن في قراءة هذا النص في إنجيل «متى»:

أولاً: إن اجتماع الكهنة اليهود «ببيلاطس» يصعب أن يكون في اليوم التالي للصلب أي يوم السبت. لأن السبت عند اليهود يوم عطلة مقدس. وخاصة ذلك السبت الذي بعد صلب المسيح عليه السلام. حيث كان يوم عيد عظيم عند اليهود. وهو عيد «الفطير» أو «عيد الفصح».

ومن ثم، فإن اجتماع الكهنة اليهود «ببيلاطس» كان يوم الأحد على الأرجح. وحتى لو كان اجتماعهم في يوم السبت، إلا أنه من المستبعد أن يطلبوا يهودياً أن يعمل حارساً في يوم السبت المقدس. ولذلك، فهم قد طلبوا من «بيلاطس» أن يأمر جنده بحراسة وضبط القبر. و «بيلاطس» قد رفض هذا وقال لهم: «عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون».

لذلك، فإنه حتى بافتراض أن اجتماع الكهنة «ببيلاطس» كان في يوم السبت المقدس لهم، فإن المؤكد أنهم ما كانوا ليرسلوا أحداً لضبط القبر وحراسته قبل صبيحة يوم الأحد، خاصة وأنهم لا يعرفون مكان القبر. وهم بذلك يكونون قد تأخروا جداً، لأن المسيح كان قد خرج مساء السبت أو حتى مساء الجمعة. لا أحد يدري ولن يدري أحد بالموعد المحدد الذي خرج به المسيح من التجويف الصخري المسمى قبراً. ثانياً: إن خوف الكهنة اليهود من أن يسرق تلاميذ المسيح جسد المسيح ويدّعون أنه قام من الأموات كما تنبأ. فهذا خوف ليس في محله أبداً، حيث إن التلاميذ إن سرقوا جسداً ميتاً فلا دعوى لهم بأن يقولوا إنه قام من الأموات، فالقيام من الموت يكون بحياة وليس بجثة هامدة متآكلة.

فمن ثم،فإن خوف الكهنة اليهود يكون نوعاً من الادعاء والوهم إلا... إلا إذا كان ذلك الجسد ينبض بالحياة أو يكون المسيح مليئاً بالحركة أمام الجميع. وهذا لا يجوز إذا كان المسيح ميتاً. فإذا كان

قيام المسيح هو قيام بعد الموت الحقيقي، فإن حراسة القبر وضبطه لا تفيد، لأن القبر والحجر الذي يسد بابه والحرس الذين سوف يضعونهم لن يمنعوا من قام من الموت روحاً شفافاً، كما قال المسيح، أو حتى جسداً، لن يمنعوه من الظهور إلى الناس والحديث لهم.

ولكن الحرس ينفعون في منع الحي الذي لم يمت ولم يقم من الموت. لذا، فإن تخوف الكهنة اليهود لا يمكن أن يكون من قيام المسيح من الأموات. ولكنه تخوف من أن يكون المسيح حياً أصلاً، والناس تظنه ميتاً. لأنه لم يمت على الصليب، ولأنهم لم يتيقنوا من موته في تلك الظروف غير الاعتيادية التي سادت الجو وقت صلب المسيح.

ومن شدة إحساسهم بالخطأ و «الضلالة الأولى» في عدم تيقنهم من موت المسيح، خافوا أن تكون «الضلالة الأخيرة» والخطأ الأكبر في تركهم القبر بلا حراسة فيخرج المسيح أو يسرق تلاميذه جسده الجريح، ومن ثم يدعون أنه قام من الأموات. وهذا الإحساس والتخوف من الخطأ الثاني «والضلالة الأخيرة» واضح في قولهم: «فتكون الضلالة الأخيرة أشرّ من الأولى»، لأنها لو حدثت فعلاً، فإنها تعزز مكانة المسيح وأتباعه، وتساعد على إيمان الناس به لاعتقادهم أنه قام من الأموات. فليس الخوف من أن يسرق التلاميذ جسداً ميتاً بلا حياة ويدّعون قيامه من الأموات. ولكن الخوف من أن يكون الجسد الذي يظنه الناس ميتاً، هو جسد حي فيخرج من القبر ويدّعي تلاميذه أنه قام من الأموات.

هذا الخوف والحرص من اليهود وكهنتهم على حراسة وضبط القبر، هو في الواقع السبب والجواب على «لماذا ترك المسيح ذلك القبر الواسع الفسيح الذي يعرف أتباعه موقعه ومكانه؟».

فمثلما كان لكهنة اليهود هاجس يدعوهم لحراسة القبر. كان للمسيح هاجس في مغادرة القبر قبل مجيء اليهود. فهو يعلم أنهم إن أتوا فوجدوه حياً فهم قاتلوه لا محالة. والمسيح ليس بالرجل الذي

يريد أن يقتل، وليس بالرجل الـزاهد في حيـاته حتى ينهيهـا على يـد حفنة من اليهود.

فمثلمـا كان قـد فكر في المقـاومة وتحـاشى إلقاء القبض عليـه قبل الصلب، فهو الآن يتحاشى إلقاء القبض عليه بعـد الصلب، الذي ظن الناس أنه مات فيه. فآثر الخروج من القبر وطلب السـلامة بـأسلوب آخر. فكيف آثر السلامة؟ وبأي أسلوب جديد حـاول أن ينقذ نفسـه من حقد اليهود وتصميمهم على قتله؟ لنقرأ الإنجيل ونكتشف:

«فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين. قالت لهما إنهم أخـذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه».

(يوحنا ص ٢٠: ١٣)

إذن، فمريم المجدلية تقول أخـذوا سيدي ولا تقـول أخذوا جسـد سيدي أو جثمان سيدي أو حتى سيدي الميت، وهذه إشارة جديدة في الإنجيل على أن «مـريم المجدليـة» كانت تعلم أن السيـد الذي تبحث عنه هو سيد «حي» لا سيد «ميت». ولكن لنتابع هذا الموقف المهم:

«ولمـا قالت هـذا التفتت إلى الوراء فنظـرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنـه يسوع».

(يوحنا ص ٢٠: ١٤)

ماذا؟!! «مريم المجدلية» التابعة الوفية، التي أخـرج منها المسيـح سبعة شياطـين كما يقـول الإنجيل، والتي كـانت تتبع المسيـح حيثما سـار، والتي كانت الـوحيدة من الأتبـاع التـي لازمته في صلبـه وفي تكفينه ووضعه في القبر والتي والتي... «مريم المجدلية» تنظـر المسيح فلا تعرفه كيف ولماذا؟ شيء لا يصدق. بل يصدق ويصدق ويصدق... وذلك عندما نتابع القراءة.

«قـال لهـا يسـوع يـا امـرأة لمـاذا تبكـين. من تطلبـين. فظنّت تلك أنـه البستاني. فقالت له يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه».

(يوحنا ص ٢٠: ١٥)

هل صدقت الآن يا سيدي القارىء لماذا لم تتعرف «مريم المجدلية» على سيدها عندما رأته؟ لأنه كان متنكراً في زيّ «بستاني» اتذكر «منديل الرأس» الذي كان متروكاً في القبر مع الأكفان؟ هل عرفت لماذا تركه المسيح؟ لأنه لا يحتاج «لمنديل الرأس» بعد الآن. فهو قد غيّر من هيئته وزيّه ولباسه. كما أن ذلك «المنديل» كان من الممكن أن يكون دليلاً عليه وهو لا يريد ذلك.

المسيح متنكر في زيّ بستاني. نحن نقول «متنكر» ولا نقول لابساً لبس بستاني لأن الموضوع لو كان مجرد لباس لتعرفت عليه «مريم المجدلية» التي لا بد وأنها كانت قريبة منه لدرجة أنها كانت تخاطبه. لكن لا بد أن المسيح كان مغيّراً في هيئته ومظهره وحتى صوته لدرجة لم تستطع تابعته أن تتعرف عليه من ذلك القرب. ولا حتى من كلامه عندما سمعت صوته وهو يخاطبها. ولقد كانت تجربة ممتازة للجميع حتى يعرف مدى إجادته للتنكر. فها هي أوفى الناس له وأكثرهم متابعة له لم تستطع أن تتعرف عليه لا من مظهره ولا من صوته.

وقبل أن نسأل عن سبب تنكر المسيح لنا ملاحظة أخرى ووقفة مع كلام «مريم المجدلية»، إنها تقول لهذا الغريب الذي لا تعرفه ولم تتوقع أن يكون سيدها: «يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته...» لماذا؟ «وأنا آخذه» «وأنا آخذه». ترى هل تستطيع امرأة أن تأخذ جسد رجل ميت؟ هل تستطيع أنثى أن تحمل جثمان المسيح لو كان ميتاً؟ كلا وألف كلا.

ولكن «مريم المجدلية» تستطيع أن تأخذ رجلاً جريحاً ملتهب الظهر من سياط اليهود الظالمين. تستطيع أن تساعد المسيح المنهك وتمشي معه إلى حيث الأمان. ولاحظ أيها القارىء أنها لم تقل لذلك الغريب المتنكر: «قل لي أين دفنته وأنا آخذه» أو «قل لي أين قبرته وأنا آخذه» بل قالت: «فقل لي أين وضعته وأنا آخذه» إشارة أخرى على معرفة وتيقن «مريم المجدلية» من أن سيدها المسيح حي وليس ميتاً.

ونعـود الآن للسبب الذي دعـا المسيح إلى التنكـر وتغيير صـوته، فكما قلنا سابقاً إن المسيح غادر القبر بأقرب وقت استطاع فيه ذلك، ولا نـدري متى كان ذلـك. أفي ليلة الجمعـة أو يـوم السبت أو فجـر الأحد. ولكنه غادر القبر خوفاً من أن يأتي اليهود للتـأكد من مـوته، فيجـدوه حياً ويقتلـوه، وهو حينمـا تـرك القبـر فقد قـرر استخـدام أسلـوب جديـد في الهـرب من اليهـود. وهـذا الأسلـوب هـو التنكـر والاستخفاء تحـت ملابس «بستـاني» وانتحال شخصيـة «بستاني» ورداء «بستـاني» مع تغييـر الصوت والهيئـة. وإن استطـاع بهم أن يموّه شخصيته على تابعته «مريم المجدلية» فهو بلا شـك يستطيع أن يموّه على اليهود الآخرين فلا يتعرفـون عليه. أسلـوب جديـد ونافـع أثبت نجاحه مع أقرب النـاس. لذا فهـو سوف ينجـح مع الغـير دون شك.

ورغم نجـاح هذا التنكـر إلا أن المسيح لم يكتفِ بـل زاد عليه في الاختفـاء وتحاشي اليهـود حتى لا تكون هنـاك أدنى مخاطـرة في أن يكتشفوه، كما إنه أخذ في تغيير تنكره.

«وبعـد ذلك ظهـر بهيئة أخـرى لاثنين منهم وهمـا يمشيان منطلقـين إلى البرية».

(مرقس ص ١٦: ١٢)

«وكانا يتكلمان بعضهما مـع بعض عن جميع هـذه الحوادث [١٥] وفيمـا هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما [١٦] ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته».

(لوقا ص ٢٤: ١٤ ـ ١٦)

هذا بالإضافة إلى أن الإنجيل لا يذكـر أن المسيح قـد ظهر لأحـد بعد هروبه من القبر سوى تلاميذه، لأنه كان في حالـة اختفاء تـام لا يعرف مكانه حتى تلاميذه المقربون. وربما كان السبب في عدم إعـلام المسيح لهم بمكان اختفـائه إنـه قد تعلم درسـاً قاسيـاً على يـد أحد التلاميذ من قبل، التلميذ «يهوذا» الذي دل اليهود عليه وأسلمه لهم.

ومن بعد هروب المسيح من القبر ونجاته من يد اليهود صار لا يظهر لأصحابه إلا فجأة. فهو يعرف مكانهم وهم لا يعرفون له مكاناً.

«بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا».

(يوحنا ص ٢١: ١)

وقد يقول قائل إن هذا الظهور الفجائي «هكذا»، إنما يعود إلى أن المسيح كان يحل من اللاشيء ومن الهواء «هكذا» ويظهر لتلاميذه. وليس لأنه يأتيهم متخفياً ومتنكراً.

فنقول له: إن هذا ليس صحيحاً، لأن المسيح لم يكن روحاً أو شبحاً حتى يظهر فجأة وبلا مقدمات، كما إننا نقول له بأن المسيح كان متعوداً على التخفي والتنكر لحماية نفسه من اليهود، حتى قبل أن يلقى القبض عليه ويوضع على الصليب.

«قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبرهيم أنا كائن ٥٩ فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا».

(يوحنا ص ٨: ٥٨ ـ ٥٩)

وكذلك:

«فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من أيديهم».

(يوحنا ص ١٠: ٣٩)

فإذا قال صاحبنا إن هذا الاختفاء والتمكن من الهرب من أيدي اليهود هو من معجزات المسيح الإلهية التي كان يملكها، فنقول له: كلا ليس ذلك بصحيح. فلو كان للمسيح تلك القدرة على الاختفاء «هكذا» والظهور «هكذا» كالأرواح لما تردد في استخدام هذه القدرة للفرار من أيدي اليهود عندما أتوه في ضيعة «جثسيماني» برفقة التلميذ الخائن «يهوذا».

إن التخفي والتنكر المتيقن هو أسلوب تمرس فيه المسيح حتى ينقذ نفسه، من أيدي اليهود، ليس أكثر.

ولنا أن نسأل علماء المسيحيين: لو أن المسيح كان قد مات ثم قام من بين الأموات. فلماذا التنكر وانتحال شخصية بستاني؟ أخوفاً من أن يقتله اليهود مرة أخرى؟ ألا يقول الإنجيل على لسان المسيح إن من يقوم من الأموات لا يموت بعدها؟......»، سوف نأتي على ذلك قريباً. وإذا كان المسيح قد قام من الأموات، أما كانت هذه هي المعجزة الكبرى التي يستطيع بها إثبات بنوّته أو حتى ألوهيته كما تدعون؟ فلماذا التخفي والاختفاء؟ أيخشى من مات ثم قام من الأموات أن يموت؟ كلا. ثم كلا، والدليل سوف يأتي وسوف نراه واضحاً لكل عقل وعين. ولكننا سنتابع الأحداث أولاً.

المسيح متنكر وقد غير صوته لدرجة لم تستطع معها حتى «مريم المجدلية» أن تتعرف عليه، فهل يتركها المسيح في هذا الوضع؟ كلا. لقد اكتفى بالتجربة التي أثبتت نجاح أسلوبه في التخفي والتنكر. فماذا يفعل الآن؟

«قال لها يسوع يا مريم. فالتفتت تلك وقالت له: ربّوني الذي تفسيره يا معلم».

(يوحنا ص ٢٠: ١٦)

تعرفت «المجدلية» على المسيح من مجرد أن ناداها «يا مريم». وهي ما تعرفت عليه لولا أنه ناداها بصوته الذي تعرفه حق المعرفة. وربما ناداها بطريقة خاصة كان هو الوحيد الذي يناديها بها، وذلك بترنم حروف اسمها بأسلوب معين. ولكن الأرجح أنه ناداها بصوته المعتاد الذي ما إن سمعته المجدلية حتى هتفت به بدهشة الفرحان «ربوني» أي يا معلم.

يا لفرحة هذه المرأة المؤمنة الوفية! ويا لدهشتها الجذلة! وهي ترى سيدها واقفاً أمامها يخاطبها . ها هو سيدها «حي» واقف أمامها بعد أن كادت تفقد الأمل في لقائه، ولا بد أنها اندفعت إليه تحضنه حضنة التابع المشتاق لرؤيا سيده..... ولكن.

«قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى

أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».
(يوحنا ص ٢٠: ١٧)

ـ «لا تلمسيني»!

ـ لماذا؟

لأنه مجرح الجسد من سياط الروم واليهود.

لا تلم المسيح أيها القارىء إن طلب من تابعته بأن «لا تلمسه» ولا تحضنه. فلو كان بك ما كان به من جراح السياط لما أردت أقرب الناس إليك أن يلمسك. لأن في ذلك ألماً وأيَّ ألم.

والمسيح الذي يعرف حب وإيمان هذه المرأة به، لا يريد أن يجازي فرحتها برد جاف غير ودّي «لا تلمسيني»، فهو يخبرها في الوقت نفسه، لماذا يطلب منها أن لا تلمسه. «لا تلمسيني» «لأني لم أصعد بعد إلى أبي» أي إنني لم أمت وأنتقل إلى رحمة الله بعد. فأنا حي، والحي يحس الجراح ويتألم من ملامستها.

ها هو المسيح نفسه يقر بأنه لم يمت، يقرها بطلبه من المجدلية بأن «لا تلمسه»، ولو كان المسيح قد قام من الأموات لما همّه أن «تلمسه» «مريم المجدلية» وأن تحضنه، لأنه سوف لن يحس بألم الجراح في جسده عندما «تلمسه» أو تحضنه. ويقر ذلك قائلاً: «لأني لم أصعد بعد إلى أبي» أي لم أمت بعد.

من بعد هذا الإقرار الصرف، يأمر المسيح تابعته المؤمنة «ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

«أخوتي». هل تلاميذ المسيح أخوته؟ كلا. ولكنها كلمة مجاز كلنا يستخدمها، ومن قال إنهم أخوته بالروح لا بالجسد. قلنا له حتى هذه لا تنطبق على أولئك التلاميذ قليلي الوفاء وقليلي الإيمان كما سنرى في الفصل القادم، ولكنها كلمة مجازية لا أكثر.

ثم انظر إليه يقول: «إني أصعد إلى أبي وأبيهم». «أبي وأبيهم».

فإن افترضنا أن المسيح هو ابن الله: فهل تلاميذه أبنـاء الله أيضاً»؟ كلا طبعاً. ثم كلا فكلّا إلا إذا كـانت بنوة روحيـة. وهي بذلـك تنطبق عليهم كما تنطبق على المسيح كما تنطبق على كل مؤمن بالله قبل وبعد المسيح، ولكنها مع ذلك كلمـة مجازيـة لا أكثر. فليس لله أبنـاء ولا له آباء وليس له مثيل ولا كفؤ.

فلنتابع ما فعلت «مريم» بعد أمر سيدها لها.

«فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحـون ويبكون [11] فلمـا سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا».

(مرقس ص ١٦: ١٠ ـ ١١)

«إنـه حي»...... «حي»، هذا مـا قالتـه «مريم المجـدليـة» لأولئـك التلاميذ النـائحين. إنهـا لم تكذب فتلـك هي الحقيقة... «إنـه حي». وهي قـد «نظرتـه» وحدثتـه، ولكن......... مرة أخـرى يظهـر ضعف الإيمـان بأولئك التلاميذ.

إنهم «لم يصدقوا». لماذا لم يصدقوا؟ لأنها قالت: «إنه حي»، فهي لو قالت لهم إنه قد قام من الموت لصدّقوهـا. فهم قد سمعـوا المسيح وهـو يقول لهم ويتنبـأ بقيامـه من بين الأموات. وهم معتـادون عـلى الأرواح والأشباح والشياطين.

أوَلم يذكر الإنجيل أن «الروح القـدس» كان يملأهم؟

أوَلم يقرأوا التوراة، وهم يهود أصلاً، وهي تتحدث عن الأرواح؟

أوَلم يقـل الإنجيل إن المسيـح أخرج سبعـة شياطـين من «مـريم المجدلية» وحدها؟ عـداك عن غيرهـا من الذين أبـرأهم المسيح عليـه السلام من الأرواح الشريرة والشياطين.

بلى ثم بلى. لقد ذكر الإنجيل كل ذلك.

وإن «مريم المجدلية» لو كانت قد قـالت لهم إنه قـام من الموت لمـا تعجبوا. بل كانوا سيصدقونها فوراً، ويفـرحون للبشرى التي سـوف تدعم إيمانهمْ بـأن المسيح هـو ابن الله، وإنه «الـرب» كما يسمـونه،

ولكن مريم قالت لهم: «إنه حي»، وهم لم يصدقوها لأنهم يعرفون أنه قد مات على الصليب.

ولنا أن نسأل كيف جزم التلاميذ أن المسيح مات على الصليب؟ حتى يرفضوا تصديق «مريم المجدلية». هل كانوا حوله يوم صلب؟ هل شاهدوه يموت على الصليب؟ هل رأوا «يوسف» و «قائد المئة» وهما ينزلانه من على الصليب؟ هل ساروا مع يوسف وهو يحمل المسيح إلى تجويف القبر الجديد؟ هل شاهدوا «يوسف» وهو يكفّنه ويسجيه في ذلك القبر؟

كلا. ثم كلا. ثم كلا. ثم كلا. ثم كلا، لأن كل ما فعله هؤلاء «النائحون» على المسيح، عندما قبض على المسيح، انهم:

«فتركه الجميع وهربوا».

(مرقس ١٤: ٥٠)

وكل ما يعرفه هؤلاء «النائحون» على المسيح عن موت المسيح، هو ما سمعوه من الناس لا ما شاهدوه بأم أعينهم ولمسوه بأصابعهم.

إذن فهم كانوا معتمدين على رواية الناس لموت المسيح ومصدقين لها، وتأتي «مريم المجدلية» لتقول لهم: «إنه حي» فهم على مفترق طرق: أيصدقون ما سمعوه على مدى أيام ثلاثة من موت المسيح؟ أم يصدقون هذه المرأة؟

اختاروا الطريق الأول. وتشبثوا بما قال الناس لهم عن موت المسيح. ولم يصدقوا هذه المؤمنة الصادقة، وهذا ليس أول ضعف إيمان يبديه أولئك التلاميذ. ولا هو آخر ضعف إيمان وتصديق. وقبل أن نروي أواخر هذه الأحداث، لنقف لحظة واحدة لنفصل في موضوع مهم جداً. إنه موضوع القيام من الموت.

لن نطيل في شرح وتفسير معنى القيام من الموت، بل سوف نكتفي بقول المسيح نفسه كما يروي الإنجيل. فالمسيح يقول مخاطباً اليهود:

«فأجاب وقال لهم يسوع أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ٣٥ ولكن

الـذين حسبوا أهـلاً للحصول عـلى ذلك الـدهر والقيامـة مـن الأمـوات لا يـزوجون ولا يزوجـون[٣٦] إذ لا يستطيعـون أن يموتـوا أيضـاً لأنهم مثـل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم ابناء القيامة».

(لوقا ص ٢٠: ٣٤ ـ ٣٦)

من كلام المسيح نستشفّ أن من يموت ويقوم من الموت:

أ ـ هو لا يزوّج ولا يتزوج. أي لا احتياج جسدي بعد القيام.

ب ـ إن من يقوم من الموت لا يمـوت بعدهـا، فالمـوت مرة واحـدة فقط، فمن قام بعده فخلود لا ممات بعده، بل ولا يستطيـع القائم من المـوت أن يموت. وهـذا يعني أن من قـام من المـوت لا يستطيـع أن يموّته أو يقتلـه إنسان آخـر. وهذا وحـده أكبر دليـل على عـدم موت المسيح على الصليب لأنه لو كان مات على الصليب لما تنكر خوفـاً من اليهود ولما استمر في التخفي كما سيستجد.

ج ـ إن من يقوم بعد الموت فهو ابن الله لأنـه ابن القيامـة. وهذه وحدها تثبت مدى مجازية تعبير «ابن الله».

بعدما قرأنا ذلك النص من إنجيل «لوقا» واستشففنا معاني كـلام المسيح عليه السلام وهو كلام واضح جد الوضوح. فلنتابع الأحداث التي تلت عدم تصديق التلاميذ النائحين على المسيح كما أخبرتهم به «مريم المجدلية» من حقيقة.

«وفيمـا هم يتكلمون بهـذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقـال لهم سلام لكم».

(لوقا ص ٢٤: ٣٦)

ولا يقفز المتوهمون ويصرخون إن وقـوف يسوع في وسط التـلاميذ كـان فجأة، وإنـه أتى من الهواء وظهـر بينهم من حيث لا يشعرون، لأن ما هو مكتوب هنا ما هو إلا تعبير أحد كتبة الإنجيل، وهناك تعبير آخر لكاتب آخر من كتبة الإنجيل:

«أخيـراً ظهر لـلأحد عشر وهم متكئـون ووبـخ عـدم ايمـانهم وقسـاوة

قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام».

(مرقس ص ١٦: ١٤)

وهناك رواية أخرى:

«وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع [١٧] ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكّوا».

(متى ص ٢٨: ١٦ ـ ١٧)

وهكذا فظهور المسيح لتلاميذه قد روته الأناجيل بعدة أساليب مختلفة. ولكن هذا لا يهم. المهم هو الذي حدث عندما جاءهم المسيح أول مرة.

فلنتابع ما كان يقول لوقا:

ماذا حدث بعد أن قال لهم المسيح: «سلام عليكم»؟

«فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً».

(لوقا ص ٢٤: ٣٧)

جزعوا وخافوا؟! طبعاً جزعوا وخافوا لأنهم اعتقدوا أنه روح أو شبح. ونسأل: هل كان المسيح ظاهراً في صورة روح أو شبح؟ الجواب هو النفي طبعاً.

فهو لا بد وقد ظهر لهم بصورته المعتادة. فلماذا إذاً الجزع والخوف والاعتقاد أنه روح أو شبح؟ لأنهم كانوا مقتنعين أنه قد مات على الصليب. والميت لا يعود كما يكون. بل يعود كروح أو كملاك كما أخبرهم سيدهم المسيح بذلك. وهكذا لما كان إصرارهم على تكذيب «مريم المجدلية» وتصديق وهم العامة من الناس بأن المسيح قد مات، فإن ظهور المسيح لهم كان لا بد وأن يفسر على أنه روح أو شبح، ولكن حتى لو افترضنا أن المسيح قد أتاهم كروح أو شبح على هيئة إنسان أو بشر، فإن الروح ليس لها لحم وعظام.

لذا، فقد حاول المسيح أن يهدىء روعهم، وبيّن لهم أن ليس هناك من سبب لاضطرابهم فحدثهم وقال:

«فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ [٣٩] انظروا يديّ ورجليّ إني أنا هو. جسّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. [٤٠] وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه».

(لوقا ص ٢٤: ٣٨ ـ ٤٠)

هذا هو المسيح عليه السلام يعطيهم البرهان على أنه هو «هو»، ويمد يديه ورجليه لهم «ليجسوا» «لحمه وعظامه»، وهو بذلك يعطيهم الدليل المادي الذي ما بعده دليل على أنه ليس «روحاً»، وهنا يجب أن نحدد واحداً من أمرين:

إما أن المسيح قد أخطأ أو كذب على تلاميذه وعلى اليهود، عندما أخبرهم أن من يقوم من الأموات يكون مثل الملائكة. لأنه ها هو قد مات وقام وهو بعده هو «هو» بلحمه وعظامه، وإما أن من قال: إن المسيح قد مات على الصليب وقام من موته، كاذب أو واهم.

ليس هناك حل وسط. إما أن المسيح قد كذب أو أخطأ، وأما أن من قال: إنه مات وقام من الموت كاذب أو واهم. والأدلة التي لها أول وليس لها آخر، تقول وتصرخ بأن المسيح ما مات. وإن من ظن أنه مات وقام من الموت واهم وإن من أصرّ على ذلك كاذب آثم.

كما أن الأدلة تقول وتصرح بأن حاشى للمسيح ابن مريم أن يخطىء أو يكذب، ولكن التلاميذ الذين نقلوا عنه كانوا قليلي الفهم محدودي الإدراك، وفوق هذا وذاك هم رمز لضعف الإيمان وندرة الوفاء. فضاعوا في الوهم وضيعوا من تبعهم.

لا تحسب أيها القارىء أن في هذا الكلام مبالغة أو تجنّياً، يكفيك أن تتابع هذه الأحداث المؤسفة التي تصدر عمن يدّعون بأنهم رسل مدعومون بالروح القدس.

المسيح يظهر لهم ويقول لهم: لا تجزعوا لست بروح وهاكم يديّ ورجليّ. جسّوني فإن الروح ليس له لحم وعظام. ويمد يديه ورجليه ليريهم فماذا يحدث؟

«وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه [٤١] وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام».

(لوقا ص ٢٤: ٤٠ ـ ٤١)

هم غير مصدقين من الفرح؟

ألا تذكرهم أيها القارىء وهم «نيام من الحزن». يا لها من أعذار مضحكة. هم غير مصدقين من الفرح؟ أم إنهم متعجبون؟

لا شك أن المسيح لاحظ أنهم متعجبون وغير مصدقين أكثر مما رأى من فرحهم المزعوم. لذلك فقد أراد حسم الموضوع وإعطاء الدليل النهائي بعد الدليل الأول من لمس اللحم والعظام فقال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ لا أظن أن المسيح قد أتى تلاميذه لأنه جائع. ولكنه طلب الطعام ليثبت لهم، وهم يشاهدونه يأكل بأم أعينهم، إنه هو «هو» بشر حي لا روح أو شبح، فالروح لا تأكل ولا تشرب.

«فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل [٤٢] فأخذ وأكل قدامهم».

(لوقا ص ٢٤: ٤٢ ـ ٤٣)

الآن استراح التلاميذ واطمأنت قلوبهم بأن من أمامهم ليس روحاً أو شبحاً. بل إنسان بشري بلحم وعظام. وهو يأكل ويشرب مثل البشر. ونحن نسأل علماء المسيحية هل من يقوم من الأموات يأكل ويشرب؟ وهل له لحم وعظام؟

فإن قالوا: نعم، قلنا: المسيح كذب في وصف من قام من الأموات بأنه مثل الملائكة.

وإن قالوا: لا، قلنا: فالمسيح لم يمت ولم يقم من الأموات، بل وضع في قبر وهو حي وقام من ذلك القبر بعد ذلك وهو حي.

نحن نعرف بأن هناك من الاخوة المسيحيين من سوف يحاول أن يلف ويدور حول هذه البراهين بمنطق يتطلب الإيمان الأعمى لا الإثبات والدليل. وسوف نرد عليه قبل أن يبدأ ويحرج نفسه بما

يتنافى مع العقـل والمنطق. فإن قـال إن الأمر يحتـاج إلى ما هـو فوق العقل والمنطق وإن الأمر أمر إيمان قبل كل شيء. قلنا له: إن كان الله سبحانه قد عرف بالعقل. ترى ألا نستطيع بالعقل أن نعـرف الحقيقة من الوهم في أمر موت المسيح من عدمه؟

قلنا: إننا سوف نرد قبل أن يبدأ الأخ المسيحي بالمجادلة العقيمة.

فنقول له: قبل أن تبدأ سوف نعطيك الدليل النهائي الذي ما بعده دليل.

إنه كلام المسيح «يسوع ابن مريم البتول». فهـل لمسيحي يعارض المسيح وما قال؟

فماذا قال المسيح؟

«حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يـا معلم نريـد أن نرى منك آية [٣٩] فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي [٤٠] لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».

(متى ص ١٢: ٣٨ ـ ٤٠)

النبي «يونان» أو النبي «يـونس» كما تسميـه العرب والمسلمـون، ماذا كانت آيته؟ الكل يذكرها طبعاً.

فـ «يونس» قد ابتلعه الحوت. وظل في بطن الحوت ثـلاثة أيـام ثم قذف به الحـوت إلى اليابسـة. ولكن هذا قـد لا يكفي فلنسترجـع ما حدث للنبي «يونان»، لأن المسيح قد وعد بـآية ومعجـزة شبيهة بـآية ومعجزة «يونس» أو «يونان» عليه السلام.

فلنقرأ ذلك في الإنجيل نفسه.

«وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلاً [٢] قم اذهب إلى نينوى المدينـة العظيمة وناد عليهـا لأنه قـد صعد شرهم أمـامي [٣] فقام يـونان ليهـرب إلى ترشيش من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فـدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجـه الرب [٤] فـأرسل الـرب ريحـاً شديـدة إلى البحر فحـدث نوء عظيم في البحـر حتى كـادت السفينـة

تنكسر [٥] فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم. وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوماً ثقيلاً [٦] فجاء إليه رئيس النوتية وقال له مالك نائماً. قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك [٧] وقال بعضهم لبعض: هلم نلقي قرعاً لنعرف بسبب من هذه البلية. فألقوا قرعاً فوقعت القرعة على يونان [٨] فقالوا له: أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا. ما هو عملك ومن أين أتيت. ما هي أرضك ومن أي شعب أنت [٩] فقال لهم أنا عبراني وأنا خائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبر [١٠] فخاف الرجال خوفاً عظيماً وقالوا له لماذا فعلت هذا. فإن الرجال عرفوا أنه هارب من وجه الرب لأنه أخبرهم [١١] فقالوا له ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا. لأن البحر كان يزداد اضطراباً [١٢] فقال لهم خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم لأنني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم [١٣] ولكن الرجال جذفوا ليرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطيعوا لأن البحر كان يزداد اضطراباً عليهم [١٤] فصرخوا إلى الرب وقالوا آه يا رب لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل ولا تجعل علينا دماً بريئاً لأنك يا رب فعلت كما شئت [١٥] ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر فوقف البحر عن هيجانه [١٦] فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً [١٧] وأما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلث ليال».

(يونان ص ١: ١ ـ ١٧)

قصة تاريخية معروفة لليهود والمسيحيين وللمسلمين كذلك. مفادها وأهم ما فيها ثلاثة أمور:

١ ـ «يونان» هو الذي طلب أن يرمى في البحر ليفدي حياة الملاحين.

٢ ـ «يونان» كان حياً عندما رمي في البحر وعندما ابتلعه الحوت.

٣ ـ «يونان» ظل في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال.

هنا قد يبتسم الأخ المسيحي ذاك. وهو يرى نبوءة السيد المسيح تتحقق عندما ذكر أن آيته ستكون ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في جوف الأرض كما كان «يونان» في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ.

ولكننا نقول له: اقرأ أكثر قبل أن يهدأ بالك لما تعتقد أنه تحقيق نبوءة. فالنبوءة لم تكن في الأيام الثلاثة والليالي الثلاث. فالنبوءة كانت عن شيء آخر. اقرأ بقية قصة «يونان» يا أيها الأخ المسيحي.

«فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت [٢] وقال. دعوت من ضيقي الرب فاستجابني صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي [٣] لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار. فأحاط بي نهر جازت فوقي جميع تياراتك ولججك».

(يونان ص ٢: ١ ـ ٣)

كان «يونان» حياً عندما ألقي في البحر فظن الملاحون الذين شاهدوه أنه مات غرقاً وأن الله أسكن البحر لأنهم افتدوه وضحوا بحياته. تماماً كما ظن الناس أن المسيح مات، ولكن «يونان» كان حياً عندما ابتلعه الحوت في جوفه، وكذلك كان المسيح حياً عندما وضع في جوف القبر، وكان يونان حياً وهو في جوف الحوت. يصلي ويدعو ربه ثلاثة أيام وليال .كذلك كان المسيح ابن «مريم» حياً في تجويف القبر. هذه آية المسيح التي وعد بها، لقد حققها المسيح ابن «مريم» فكما ظن البحارة أن «يونان» مات في البحر أو في جوف الحوت، ظن الناس أن المسيح مات على الصليب أو في جوف القبر، ولكن ساء ظن المشاهدين. فكلا النبيين كان حياً يناجي ربه ويدعوه.

لا تحاول يا أخي المسيحي بأن تلجأ لحجة البعض الواهية بأن النبوءة كانت في الأيام والليالي الثلاث، لأنه لو أن المسيح كان يقصد المدة في نبوءته، فإنه بلا شك قد أخطأ التقدير ولم يلتزم بتلك المدة التي حددها سفر «يونان» بثلاثة أيام وثلاث ليال، حيث إن المسيح قد صلب وظن أنه مات على الصليب في يوم الجمعة. وفي أواخر النهار من يوم الجمعة. ثم إنه كان خارج القبر في فجر يوم الأحد على أكثر تقدير. وهذه المدة الزمنية لا تتجاوز ليلتين ويوم أو يومين وليلتين على أكثر تقدير. فهي ليست ثلاث ليال وثلاثة أيام. بل يومان وليلتان على أكثر تقدير، وهذا لا يهم، لأن المعجزة تحققت في كون أن الاثنين

«يونان» و «يسوع» ظن أنهما ميتان في حين أنهما كانا حيين.

وهكذا تتحقق نبوءة المسيح عليه السـلام، بأن النـاس تظنه ميتـاً وهو حي. أبعد كل تلك الأدلة التي طرحنا وعرضنا، وبعد إثبـات هذه النبوءة العظيمة ليسوع المسيح، يأتي من يجادل بأن المسيح قد مات وإنه قد قام من الموت.

إن كان ذلك فما لنا إلا أن نقول:

ومن البلية عذل من لا يرعوي   عن غيِّه وخطاب من لا يفهم

(المتنبي)

الفصل الثالث

تلاميذ المسيح

وعدناك أيها القارىء العـزيز بـأن نقف وقفة مـع تلاميـذ المسيح وكتبة الأناجيل. ونحن نفعل ما وعدناك في هذا الفصل القصير، وهـو فصل قصير لأننا سوف نقف فيه وقفاتٍ سريعـةً مع تـلاميذ المسيـح ومع كتبة الأنـاجيل، لأن الـوقوف المـركّز معهم يحتـاج إلى دراسات وبحـث يستحق أن يخصص له كتاب منفصل بحد ذاته. وربما وفقنا الله لذلك.

ولكننا نرى من الأهمية بمكان أن نقف هذه الوقفة السريعة معهم. لأنها سوف تبين لنا أشياء قد لا يعرفها البعض، أو إنه لم يتنبه لها.

ولأننـا في هذه الـوقفة سـوف نجـد السر في تحـول المسيحيـة من بساطة «يسوع» عليه السلام إلى تعقيد الكنيسة.

وفي كيفية التغير الذي طرأ فأدى إلى أن ينهج المسيحيون سنّة مـا هي بسنّة المسيح.

فلنبدأ أولاً بالاسم الذي يطلق على هذه الديانة الكتابية.

ماذا كان اسم دين «عيسى ابن مريم»؟

هل كان دين «اليسوع» هو المسيحية؟

فـإن كان كـذلك. فلـيرينا الأخـوة المسيحيون أين ذلـك في الكتاب المقدس؟

إن المسيح «عيسى ابن مريم» لم يقل في يوم من الأيام: إن ديني هو المسيحية. فلفظة المسيحية إنما أطلقها أعداء المسيح من يهود وغيرهم على أتباع المسيح واشتقوا هذا التعبير من اسم المسيح.

وللأسف فإن أتباع المسيح الأوائل قد التقطوا ذلك الاسم الذي أطلقه عليهم أعداؤهم وتبنّوه لأنفسهم. وباتوا يسمون أنفسهم بالمسيحيين، بدلاً من أن يقولوا: إننا على دين المسيح أو على ملّة المسيح أو حتى أتباع المسيح.

ومن ذلك الاسم الوصفي الذي أطلقه أعداء «اليسوع» وتبناه أتباعه، أتى اسم المسيحية. وكأنما دين المسيح كان اسمه المسيحية. وهذا عين الخطأ.

لأن المسيح كان كـ «موسى» وكـ «ابراهيم». كان المسيح موحِّداً يقول بأن لا إله إلّا الله.

«فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل. الرب إلٰهنا رب واحد».

(مرقس ص ١٢: ٢٩)

«فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله».

(مرقس ص ١٠: ١٨)

دين المسيح ليس المسيحية ولكن دين التوحيد. نفس دين «إبراهيم» و «موسى» و «داود» و «سليمان».

وفي الواقع، إن اليهودية نفسها ليست ديانة بحد ذاتها وإنما هي أمست تسمية مجازية كما حدث للمسيحية. فدين اليهود هو دين «موسى» عليه السلام. و «موسى» لم يقل في يوم من الأيام إنه يهوديّ الديانة. لأن اليهودية هي نسب عرقي يمتّ بأصله إلى «يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم».

وهنا بداية الأخطاء في الديانتين. فالمسميات خطأ. والمؤسف أن

من أطلق هذه التسميات الخاطئة لم يكونوا أصحاب الديانات نفسها، بـل أعداؤهم وممن هم عـلى غير دينهم. ولقـد تقبلها اليهـود وأتبـاع المسيح من يهود، وثبتوها كمسميـات رسمية لـديانـاتهم. هذه كـانت البداية في استخدام الخطأ في المسميات وهي لم تكن النهاية.

أما تلاميذ المسيح فهم فئتان:

الأولى وهم التلاميذ الاثنا عشر المسمون بالرسل، أما الفئة الثانية فهي تشمل اثنين وسبعين تلميذاً.

وفيما عدا كاتبين من كتبة الأناجيل ورسائله «مرقس» و «بـولس»، فإن الإنجيل قد كتب على يد تلاميـذ المسيح. بعضهم من الاثني عشر المقربين وبعضهم من تلاميذ الفئة الثانية التي يقدر تلاميذها باثنـين وسبعـين تلميذاً، وسـوف نتطرق لتـلاميذ المسيـح ببعض التفصيـل عندما نبدأ بالحديث عن الرسول «بولس».

ونحن عندما نقول كتبة الأناجيل أو كتبة الرسائل في العهد الجديد من الكتاب المقدس، فإننا يجب أن نوضح شيئين مهمين:

الأول: معنى الإنجيل.

الثاني: معنى كتابة الإنجيل.

فالإنجيل كلمة أجنبية وهي تعني التبشير.

وكل ما هو مكتوب في الإنجيل هو في الواقع ذلك التبشير الذي قام به المسيح أو أتباع المسيح. ولا شك أن المبشرين بالمسيح كانـوا أكثر بكثير جداً ممن وصل إلينا تبشيرهم مكتوباً. إلا أن التاريخ والنسيان قـد أتلف ما كـان محفوظـاً من تبشيرهم واكتفى المسيحيـون بما تم حفظه من تبشير. وكتبوه في كتاب واحد أسموه العهد الجديـد وسموا فصوله أنـاجيل ورسـائل. أمـا كتابـة العهد الجـديد: فهـذه معضلة أخرى.

لأن المسيح لم يحدث أنه قد كتب شيئاً وقال لأتباعه بشروا بهـذا،

ولا هو قد طلب في يوم ما من شخص ما أن يكتب ما يقوله أو يفعله، وإنما كان أمره لأتباعه أن اذهبوا وبشروا، وكان التبشير والدعوة للمسيح تتم شفاهة، وحتى بعد المسيح استمرت العملية التبشرية كعملية شفوية.

ولا يعتقد بأن أحداً ممن نسميهم كتبة الأناجيل قد قام فعلاً بكتابة التبشير. وإن كانت هناك بعض الدلائل على أن البعض كتب ما كان يعرف مثل «لوقا»، كما يتضح من بداية إنجيله. وكذلك من بعض الرسائل.

ولكن أهم ما في الأمر أن الكتابات الأصلية ـ إن كانت هناك كتابات أصلية فعلاً ـ لا يوجد لها أثر. وأقدم المخطوطات التي اكتشفت تعود كتاباتها إلى أكثر من مئتي سنة بعد المسيح. مما يعني بلا أدنى شك أنها لم تكتب بيد معاصري المسيح عليه السلام.

ولكن الذي حدث أن اللاحقين ممن اعتنق دين المسيح قد قام بتسجيل ما كان يبشر به أتباع المسيح حتى لا يضيع ويختلط مع الزمن وتعدد الرواة. وهم بذلك حتى وإن نسخوا من كتب ورسائل كتبت فقد قاموا بذلك بعد وقت متأخر. ولا شك أن فعل الزمن وتحوير الروايات قد أتت على دقة التبشير الأصلي والرواية الأصلية. ولكن ذلك لا يمنع من بقاء الكثير الصحيح من دقة التبشير والرواية.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن أقدم المخطوطات التي اكتشفت هي مخطوطات باللغة اليونانية، التي لم تكن لغة المسيح ولا تلاميذه ولا أتباعه.

وإذا عرفنا تأثير الترجمة وفعلها بالتعابير الدقيقة للغة الأصلية، اتضح لنا مدى اختلاف ما بين أيدينا من إنجيل وتبشير عما كان عليه أصلاً.

وعلماء المسيحية يقولون إن العهد الجديد قد أوحي على الرسل

عن طريق «الروح القدس» مستشهدين على ذلك بما قاله بعض كتبة العهد الجديد:

«كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر».

(٢ تيموثاوس ص ٣: ١٦)

وكذلك:

«إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله ليُري عبيده ما لا بد أن يكون عن قريب وبينه مرسلاً بيد ملاكه لعبده يوحنا».

(رؤيا ص ١: ١)

وهنا نقف لكي نتساءل. إذا كان افتراض أن ما هو مكتوب في الإنجيل الحالي هو بالضبط ما قاله وما كتبه اتباع المسيح. وأن ما كتبوه أو قالوه كان موحى من الله على يد ملاك أو «الروح القدس»، فلماذا تختلف الروايات الواحدة في الإنجيل؟، ولماذا يذكر بعض الكتبة أموراً مهمة ولا يذكرها بقية الكتبة؟، وكيف لنا أن نجزم بأن دعوى الوحي هذه هي دعوى صادقة؟، بل كيف لنا أن نجزم بأن أولئك الناس الذين ننسب إليهم تلك الأناجيل قد نطقوا بها فعلاً أو كتبوها حقاً؟

ونحن يجب أن لا ننسى أن كل ما هو مكتوب في العهد الجديد منسوب إلى كاتبه وليس مؤكداً لنا أو للغير، إن كان المنسوب هو ما قال الكاتب فعلاً أو بنفس الدقة والتعبير.

الأخوة المسيحيون ورجال كنائسهم يقولون لنا إنها مسألة إيمان. فإما أن نؤمن بأن هذا الكتاب موحى إلى الرسل كما هو، وإما أننا لا نؤمن.

وهذه دعوة لأن نستجير من الرمضاء بالنار.

فإن نحن آمنا بأن كل ما هو مكتوب موحى وقعنا في مغالطات وتشويهات لا يصدقها العقل. وإن نحن لم نؤمن ذلك الإيمان الأعمى

فإننا قد نحرم أنفسنا من الإيمان «بعيسى» عليه السلام. وهذا عين الغشم والضلالة.

طريقان يشترطهما رجال الدين المسيحي علينا. ونحن نرفض كليهما ونقول: إن هناك طريقاً ثالثاً هو أقرب إلى الحقيقة وأكثر اطمئناناً للقلوب.

إن هذا الطريق يقول: انه رغم وجود الحقائق الثابتة، ورغم وجود الصدق في كثير من صفحات وإصحاحات وأعداد الإنجيل، إلا أن هناك الخطأ الكثير أيضاً. وقد يكون ذلك الخطأ نتيجة سهو أو نسيان، وقد يكون ذلك الخطأ الكثير نتيجة قلة فهم وإدراك في الكتبة.

وقد يكون ذلك الخطأ الكثير نتيجة قصد وتصميم وسبق إصرار وتعمد من الكتبة أو الناقلين والناسخين. وقد يكون بعض أو كل هذا وذاك، ولكنه خطأ كثير على كل حال.

وقبل البحث في تلك الأخطاء أو ما نعتقد بأنه أخطاء، فإننا يجب أن نذكر للقارىء تفسير المسيحية لأمور الاختلاف، لأن ذلك حق علينا تجاه اخواننا أهل الدين المسيحي. فهم يقولون إنه رغم أن الكتاب موحى على الرسل والكتبة، فإن الوحي ترك لهم حرية التعبير واختيار الألفاظ والتصوير اللغوي لما أوحي لهم.

ورغم إقناع هذه الحجة المطاطية، إلا أننا لا نستريح لها ولا نقتنع بها. وسوف نضرب لها مثلاً ذا جهات حتى نريح ضمائرنا في الرد على هذه الحجة. وذلك قبل دخولنا في موضوع الأخطاء الكثيرة التي نراها في الإنجيل.

نقول: لو أن الوحي كان ملاكاً من الله أو كان «الروح المقدس»، وأنه قد أوحى ما أوحى للرسل وترك لهم حرية اختيار اللفظ والأسلوب، لو كان كذا، فكيف لنا أن نفسر ذكرهم، أي كتبة الأناجيل الأربعة، لانتقال المسيح إلى أورشليم القدس على ظهر حمار.

«فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع [٧] وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما».

(متى ص ٢١: ٦ ـ ٧)

ولن نسأل «متى» كيف جلس المسيح على أتان وجحش في آن واحد.

«فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه».

(مرقس ص ١١: ٧)

«وأتيا به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع».

(لوقا ص ١٩: ٣٥)

«ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب».

(يوحنا ص١٢: ١٤)

إذا كان تكرار هذه الحادثة للمسيح من الأهمية التي تستدعي كتبة الأناجيل الأربعة لتذكرها وكتابتها بمساعدة «الروح القدس»، وإذا افترضنا أن الاختلاف في الرواية ناتج عن اختيار كل منهما لما يناسبه من تعبير. (ولن نسأل عن الاختلاف في المعنى والتفصيل).

إذا كان ذلك، فما هو السبب في أن «رفع المسيح إلى السماء» لم يذكره سوى اثنين فقط من كتبة الإنجيل؟

«ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله».

(مرقس ص ١٦: ١٩)

«وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعِد إلى السماء».

(لوقا ص ٢٤: ٥١)

هذا هو كل ما هو مذكور عن صعود المسيح عليه السلام وارتفاعه إلى السماء في الأناجيل الأربعة.

والسؤال هو: هل امتطاء المسيح للجحش والأتان وهو ذاهب إلى «أورشليم» القدس أكثر أهمية من صعوده وارتفاعه إلى السماء؟ أم هل إن الوحي أخبر اثنين فقط من الكتبة بتلك الحادثة المهمة من

المعتقد المسيحي ورفض إيحاءه إلى الكتـابين الآخـرين؟ أم أن اثنين قـد نسيا مـا أوحي لهما عن قصـة صعود وارتفـاع المسيح إلى الله؟، فـإن نسيا هذه الحادثة المهمة، فما هي الأشياء الأخرى التي نسيـاها من تعاليم المسيح أو سيرته؟، أم أن العملية لا تتعدى رواية يرويهـا أربع رواة، كل حسب قوة تذكره ومدى إدراكه للأمور؟، أليس هو أقرب إلى العقل والمنطق؟؟

سوف نترك عملية تقدير إيحاء الـوحي إلى كتبة الإنجيـل للقارىء يحكم فيها عقله وضميره.

والآن سوف ننظر لمـا نعتقد أنـه أخطاء فـاحشة في حـق المسيـح ذكرها كتبة الأناجيل. يقولون إن المسيح كان يحدث في النـاس، فأتى له من يخبره أن أمه وأخوته يريدون أن يروه، فماذا أجابهم المسيـح حسب قول الإنجيل:

«فجاءت حينئذ أخوته وأمه ووقفوا خـارجاً وأرسلـوا إليه يـدعونـه [٣٢] وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هوذا أمك وأخوتك خارجاً يطلبونـك [٣٣] فأجابهم قائلاً مَنْ امي وأخـوتي [٣٤] ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها أمي وأخوتي [٣٥] لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي».

(مرقس ص ٣: ٣١ ـ ٣٥)

هكذا وبكل بساطة يقول لنا الإنجيل إن يسوع تنكر لأمه وأخـوته وفضّـل الحاضرين معـه وسمّـاهم بـأمه وأخـوته. وهـذا لا يجوز أن يصدر من المسيح إلا إذا كانت أمه وأخوته غـير صانعـين لمشيئة الله أو غير عاملين بها. وهـذا لا يجوز تصـديقه أيضـاً. «فمريم البتـول» وأبنـاؤها أقـرب إلى الإيمان بتبشـير المسيح من أي من التـلاميذ أو الأتباع.

ورغم تجاهل كتبة الأناجيل «لمريم البتول» تجاهلاً غريبـاً، وكذلـك تجاهلهم لأخوته وزوج أمه «يوسف» إلا أن المنطق والعقل يحتم علينا أن نجزم بأن المسيح كان باراً بأمـه وأخوتـه، وأنهم كانـوا شديـدي الإيمان بما يدعو له في تبشيره.

ولكن كتبة الإنجيل يصرّون عن عمد إلى إهمال ذكر «مريم البتول» وأبنائها وزوجها. بل يتمادون أكثر في حقها وإهانتها بصورة تلميحية.

فإن من يقرأ الإنجيل لن يجد المسيح عليه السلام يناديها ولو مرة واحدة «بأمي» أو «والدتي»، وإنما يناديها يا «امرأة» حتى آخر لحظاته على الصليب.

«ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر ؟ قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد».

(يوحنا ص ٢: ٣ ـ ٤)

«فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك».

(يوحنا ص ١٩: ٢٦)

أيعقل أن لا ينادي المسيح أمه البتول التي حملته تسعة أشهر، عانت بها الشدة والتعب والمهانة من شك الناس بشرفها، أيعقل أن لا يناديها إلا بيا «امرأة»؟ حاشى للمسيح أن يفعل ذلك وهو الذي يحض الناس على البرِّ بأمهاتهم وآبائهم.

وكتبة الإنجيل بهذا الأسلوب يخلقون للمسيح صورة وشخصية لا تصلح قدوة للأبناء ولا صفة ترضي الأمهات. فليسامحهم الله إن كانوا قد أخطأوا عن غير قصد، وويل لهم إن كانوا كتبوها متعمّدين أو لأغراض في نفوسهم!

أتستحق «مريم البتول» هذه المناداة من ابنها. وهي المرأة التي اختارها الله من نساء العالمين لتحمل من غير زوج بذلك الصبي الطاهر والنبي الصالح؟ حاشى لها من ذلك وحاشى للمسيح أن يخطىء ذلك الخطأ في حقّها!

ولننظر ما يقول الإنجيل في المسيح:

«لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل

سيفاً. ٣٥ فإني جئت لأفرق الإنسان ضدّ أبيه والابنة ضدّ أمها والكنة ضد حماتها. ٣٦ وأعداء الإنسان أهل بيته».

(متى ص ١٠: ٣٤ ـ ٣٦)

أهذا كلام المسيح عليه السلام؟، أم هذا كلام جنكيز خان؟ بل هو كلام شيطان لا إنسان، فما بالك بابن الله.

لا يا سادة هذا ليس كلام المسيح. ولا تقولوا إن المسيح كان يتكلم بالأمثال وإن هذا الكلام من الأمثال. فما كان المسيح ليستخدم أمثالاً كهذه في حديثه مع الناس، ولا يهمّ من قال هذا الكلام ونسبه للمسيح. المهم أن المسيح لا يمكن أن يتلفظ بهذا الهراء المتعجرف. ولنقرأ أيضاً:

«جئت لألقي ناراً على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت. ٥٠ ولي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل. ٥١ أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض. كلا أقول لكم بل انقساماً».

(لوقا ص ١٢: ٤٩ ـ ٥١)

أهذا كلام ملك السلام؟! أهذا كلام حمل الله؟!. نترك للقارىء أن يقرّر لنفسه، ونتابع التصوير الإنجيلي للمسيح.

«أما أعدائي اولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدّامي».

(لوقا ص ١٩: ٢٧)

ألم أقل لك أيها القارىء، إن هذا كلام جنكيز خان؟!، ألا ترى أن هذا الكلام المنسوب إلى المسيح، هو أحد الأسباب التي أدّت لأن يقول «يوحنا» في رسالته الثانية:

«كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً. ١٠ إن كان احد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام. ١١ لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة».

(٢ يوحنا ص ١: ٩ ـ ١١)

أهذه روح التسامح المسيحية؟! أهذا وحي من الله جلّ وعلا؟!

كلا بل كلام بشر غير مدرك كنه المسيح ولا تعاليمه ولا سماحته.

لنتابع تلك الصورة البشعة للسيد المسيح «يسوع ابن البتول» كما يرسمها كتبة الأناجيل.

رجال الكنيسة يقولون: إن المسيحية هي دين لكل البشر والأمم، ولكن كتبة الإنجيل يقولون: إن المسيح قد قال غير هذا الكلام تماماً.

«هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا ٦ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت اسرائيل الضالَّة».

(متى ص ١٠: ٥ ـ ٦)

هل من المعقول أن يحصر المسيح تبشيره ودينه ودعوته في بني اسرائيل؟!، وإن كان يفعل ذلك فما دور بقية الأمم تجاه تبشيره؟ هي واحدة من اثنتين:

إما أن المسيح من الجهل بأمور الغيب حتى يعتقد أن بني إسرائيل هم وحدهم من سيتبع تبشيره ودينه من دون سائر الأمم. والتاريخ قد أثبت أن سائر الأمم هي التي دخلت إلى دينه إلا بنو اسرائيل، لأنهم حافظوا على يهوديتهم ولم يتبعوه.

وإما أن هذا ليس قول المسيح ولا قول وحي أو ملاك أو «روح قدس»، وإنما قول كتبة الإنجيل أو من تلاهم.

ونترك للقارىء حرية الاختيار.

فإن قال أحد إن المسيح ما كان يقصد ذلك، وإنما هو أراد أن يبدأ الدعوة والتبشير في أهل قومه من يهود، لأنه كان يعيش بينهم وفي ديارهم، فإننا نقول له: إن هذا ليس صحيحاً أبداً. والدليل عليه في الإنجيل:

«فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة».

(متى ص ١٥: ٢٤)

هكذا وبكل بساطة يقول لنا الإنجيل وكتبته إن لم نكن من «بيت

إسرائيل» فإننا لسنا مشجعين للدخول إلى دين يسوع وغير مرغوب بنا. لأن المسيح وتبشيره محتكر على بني إسرائيل فهل يعقل هذا؟

ولكن. لقد كافأ الله والتاريخ هؤلاء الكتبة. فلم يدخل بنو إسرائيل إلى دين سيدهم، وإنما دخلت إليه باقي الأمم التي حاولوا استثناءها.

«إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله».

(يوحنا ص ١: ١١)

نعم لم تقبله خاصته. بل إنها سعت في إيذائه ومحاربته حتى نجحت في إلقاء القبض عليه وصلبه. ولكن الله نجاه من طغيانهم.

ولكن مع هذا لا يفتأ كتبة الإنجيل يقولون لنا:

«قائلين أين هو المولود ملك اليهود...».

(متى ص ٢: ٢)

ويستمرون:

«أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك اسرائيل».

(يوحنا ص ١: ٤٩)

بل ويزيدون:

«هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه [٣٣] ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية».

(لوقا ص ١: ٣٢ ـ ٣٣)

وخلال ألفي عام منذ ولادة المسيح لم يأخذ كرسي «داود» ولا ملك على بيت «يعقوب». وملكه على بيت «يعقوب» لم تكن له نهاية، لأنه لم تكن له بداية أصلاً، خلال ألفي عام.

أهذا كلام يوحيه الله علام الغيوب؟. أهذه نبوءة الروح القدس؟. أم هي أحلام وهذيان من كتب مخطوطات الإنجيل؟

وإليك أيها القارىء صورة أخرى رسمها كتبة الإنجيل للسيد

المسيح، رب التسامح والغفران ومن يسميه الأخوة المسيحيون الرب أو ابن الله.

«وقال له آخر من تلاميذه يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي [٢٢] فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم».

(متى ص ٨: ٢١ ـ ٢٢)

أهذا منطق نبي أو رسول أو حتى إنسان عادي؟

فما بالك إذا كان يطلب منا أن نصدق أن هذا منطق «رب» وابن الله؟

حاشى للمسيح أن يكون بهذه الصورة القاسية القلب.

وانظر إليه في هذه الصورة الأكثر قساوة.

«وإذا إمرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً [٢٣] فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا».

(متى ص ١٥: ٢٢ ـ ٢٣)

يا للهول امرأة تصرخ متضرّعة تطلب الرحمة لابنتها المجنونة «والإله ابن الرب» لا يكلّف نفسه حتى بالرد عليها. والأدهى أن تلاميذه يكونون أكثر رحمة بها ويسألونه أن يساعدها. ليس حباً بها وإنما لأنها أزعجتهم بمتابعتها لهم وإلحاحها وصياحها في طلب مساعدة السيد «ابن داود».

ولكن كلا. السيد ابن داود لا يجيبها لأنها كنعانية وليست يهودية.

«فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة [٢٥] فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنّي».

(متى ص ١٥: ٢٤ ـ ٢٥)

منتهى العنصرية والقسوة من «الرب» ابن الله!

يقابلها تضرّع وإذلال امرأة محتاجة للإعانة والمساعدة. فهل يرحمها «الرب» ابن الإله؟!

«فأجاب وقال ليس حسناً أن يوخذ خبز البنين ويطرح للكلاب».
(متى ص ١٥: ٢٦)

يا للمصيبة. ويا للعنصرية العمياء.

اليهود هم «البنين» وغيرهم من البشر «كلاب»!!

ألأنها كنعانية أو غير يهودية أصبحت في منزلة الكلاب؟

أهـذا ردّ يليق بالـرب «يسوع ابن مـريم العذراء البتـول»؟؟ أهذا منطق المسيح ابن الله؟؟ لا نقول إلا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن ترى، ماذا يكـون رد المرأة الكنعـانية المستـرحمة عـلى هذا المنطق الأعوج المستور؟

«فقـالت نعم يا سيـد. والكلاب أيضـاً تأكـل من الفتات الـذي يسقط من مائدة أربابها ٢٨ حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانـك. ليكن لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة».
(متى ص ١٥: ٢٧ ـ ٢٨)

لقد أفعمت المرأة الكنعانية ذلـك الرب العنصري وأشبعت غـروره اليهودي وداهنته بالاستذلال لليهود. فوصفتهم بـالربـوبية، ورضيت بأن تنعت هي وغيرها من غير بني إسرائيل بأنهم «كلاب».

ولهذه المداهنة والذلة يرفق «الرب» بها ويشفي ابنتها من الجنون.

يا له من «رب» عنصري. يتلـذّذ بأن يـرى الناس في ذلـة ومهانـة. ولكنه لا يتورّع ولا يتردّد في التدخل لإنقاذ يهودية عاهرة من حجـارة الرجم التي كان يرميها بها اليهود. ويدافع عنها قائلاً: من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر.

ولقد كافـأ اليهود هـذا الرب المتعصب لهم، بـأن عذبـوه وصلبوه وحاربوا أتباعه بشتى الوسائل.

ترى هل تصدق هذه الرواية أيها القارىء؟؟، أتصـدق أن المسيح «يسـوع» نبي الله كان بهـذه العنصرية والتعصب لليهـود؟؟، أم هـل

تصدق بأن هذه القصة الإنجيلية من نسج خيال راويها وكاتبها؟؟ وأن لا دخل للمسيح أو «الروح القدس» بها وبإيحائها المزعوم؟؟

شتان بين الصلوات والتراتيل التي نسمعها في الكنائس وتلك الأناشيد الإنجيلية التي يخشع لها القلب. وبين هذه الصور المؤذية عن المسيح.

إنها صور تهز إيماننا بالمسيح وسماحته. ومن يقرأ في الإنجيل سيجد روايات وروايات يشمئز منها الضمير الإنساني ويقرف منها الحس البشري. بل وتثير الغضب في نفس من يحب المسيح ويحب سيرته. إنها صور ما كانت لتأتي لو أنها كانت موحاة من الله بواسطة «الروح القدس»، ولكنها أتت من خيالات كتبة الإنجيل وذكريات تلاميذه المشوّشة.

ثم انظر إليهم وهم يروون قصصاً يخالفها المنطق والعقل. هم يقولون: إن «يوحنا المعمدان» قد تحرك في بطن أمه «أليصابات» عندما أتت «مريم العذراء» إليها وهي حامل بالمسيح عليهما السلام.

«فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها. وامتلأت اليصابات من الروح القدس [٤٢] وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك».

(لوقا ص ١: ٤١ ـ ٤٢)

ثم إن «يوحنا المعمدان» عندما كبر والتقى بالمسيح لأول مرة:

«وفي الغد نظر (يوحنا) يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيَّة العالم [٣٠] هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي [٣١] وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمّد بالماء [٣٢] وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه [٣٣] وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس [٣٤] وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله».

(يوحنا ص ١: ٢٩ ـ ٣٤)

إيمان مطلق بأن المسيح هو ابن الله. وشهادة النبي «يوحنا المعمدان»، أو «يحيى» كما تسميه العرب، شهادة مدعومة بنبوءة ومشاهدة «للروح القدس» وهو ينزل ويستقر على يسوع بصورة حمامة. هذا ما يرويه الإنجيل لنا ويزيد أيضاً:

«حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه [١٤] ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليّ».

(متى ص ٣: ١٣ ـ ١٤)

هذا ما يرويه كتبة الإنجيل. وكأنما «يوحنا المعمدان» قد عرف أن المسيح هو «ابن الله» قبل أن يعرف المسيح نفسه ذلك.

ولكن ما فشل كتبة الإنجيل في نقله لنا هو أن «يوحنا المعمدان» الذي آمن بالمسيح من مجرد رؤيته، كيف لم يصبح من أتباع المسيح وتلاميذه؟

رجل مؤمن «كيوحنا المعمدان» بأن المسيح هو «ابن الله» ولا يتبع المسيح أو يتتلمذ على يديه!

إنه أولى بالمسيح وتبشيره من جميع تلاميذ المسيح وأتباعه. ومع هذا لا يقول لنا الإنجيل إن يوحنا قد تبع المسيح واعتنق دينه، شيء لا يقبله المنطق طبعاً. ولكن الحقيقة أننا نقبل بأن «يوحنا المعمدان» لم يتبع المسيح. أتعرف لماذا أيها القارىء؟؟

لأن كتبة الإنجيل يعودون فينقضون هذا الإيمان المطلق «ليوحنا المعمدان». ويدحضون شهادته بأن المسيح هو ابن الله.

«أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه [٣] وقال له انت هو الآتي أم ننتظر آخر».

(متى ص ١١: ٢ ـ ٣)

وهكذا سؤال من لا يعرف الإجابة. وشكوك من لم يؤمن بالمسيح تصدر عن «يوحنا المعمدان» والتاريخ والإنجيل لم يذكرا أن «يوحنا المعمدان» قد تبع المسيح أو تتلمذ على يده.

فأي الروايتين تصدق؟

هل آمن يوحنا المعمدان بالمسيح؟؟

أم أنه ما كان يعرف إن كان يسوع هو المسيح أم أنه ينتظر شخصاً آخر؟؟

ترى هل هذا تخبّط «ليوحنا المعمدان»؟

أم تناقض في سرد كتبة الإنجيل؟؟

وما دمنا في الحديث عن «يوحنا المعمدان» فلنقرأ هذا النص الإنجيلي:

«فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا [14] ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته [15] لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب.....».

(لوقا ص ١: ١٣ ـ ١٥)

فهنا قرن الإنجيل عظمة يوحنا المعمدان أمام الرب بعدم شربه الخمر أو المسكرات. وهذا أمر منطقي لإنسان سوف يكون نبياً. ولكن كتبة الإنجيل لا يتورّعون عن الادّعاء بأن المسيح عليه السلام كان يشرب الخمر، بل يزيدون أن أولى معجزاته كانت في تحويل الماء إلى خمر، وأية خمر جيدة قد صنع!

«قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق [8] ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكإ. فقدموا [9] فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المتحوِّل خمراً. ولم يكن يعلم من أين هي. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكإ العريس [10] وقال له. كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما انت فقد ابقيت الخمر الجيدة إلى الآن».

(يوحنا ص ٢: ٧ ـ ١٠)

هذه لمحات من الخيالات المتناقضة في الأناجيل الأربعة من العهد

الجديد في الكتاب المقدس، أما خيالات كتبة الرسائل فحدّث ولا حرج. وإليك بعضاً منها:

«فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع [٦] ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون».

(أعمال ص ١٩: ٥ ـ ٦)

هكذا بكل بساطة نجد أن «الروح القدس» طوع ليدي «بولس». يحل على من يضع يديه عليهم ويجعلهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها ويتنبأون.

وانظر إليهم في تثبيت طاعة الناس للملوك، وجعل الناس تؤمن أن من هو «سلطان» فهو سلطان برغبة الله ولا يجوز مقاومته والخروج عن طاعته.

«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله و (السلاطين) الكائنة هي مرتَّبة من الله [٢] حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونه».

(رومية ص ١٣: ١ ـ ٢)

فيا أيها المسيحيون المؤمنون بالإنجيل الموحى من الله، لا يحق لكم أن تقاوموا السلاطين والملوك حتى لو اضطهدوكم وعذبوكم. لأن إنجيلكم ورسلكم قد حرّموا مقاومة السلاطين والدكتاتوريات. أهذا كلام الله الذي أوحاه لكتبة الرسائل؟ حاشى لله من هذا النصح الأعوج. ومن هذه الشريعة الباطلة.

نكتفي بهذين المثلين. ومن أراد المزيد فما عليه إلا أن يقرأ العهد الجديد من الإنجيل. ومن أراد أكثر وأكثر فعليه بالعهد القديم. فهو مليء بما لا يقبله منطق ولا يرضى به عقل، وهو زاخر بما يتنافى ومفهوم الدين ووحدانية الله وقدرته. ويكفيك أن تقرأ في العهد القديم شيئاً من أوائله، إليك مثال عليه:

«فأكملت السموات والأرض وكل جندها [٢] وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل [٣] فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي

عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً».

(تكوين ص ٢: ١ ـ ٣)

لم يكتفِ العهد القديم بتقديس اليوم السابع «السبت»، ولكنه زاد فقال: إن سبب التقديس أن الله قد استراح فيه بعد أن خلق السموات والأرض في الأيام الستة الأولى. وكأنما الله قد تعب فاحتاج أن يستريح.

أي إله هذا الذي يعاني التعب؟؟

تعالى الله سبحانه عن أن يتعب من خلق السموات والأرض. وتعالى الله عن أن يحتاج لراحة أو يفكّر فيها.

قارن أيها القارىء بين هذا الوصف الإنجيلي لله، وبين الوصف القرآني للقصة نفسها:

﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾(*) (ق: ٣٨).

فشتّان بين كلام الله وكلام البشر.

ولن نستفيض في تعداد الأخطاء والتناقض والخيال في العهد الجديد أو القديم. ولكننا سوف نسأل ثلاثة أسئلة نترك الإجابة عنها للقارىء:

١ ـ لِمَ كان الإنجيل يقول إن الإنسان خلق في شبه الله؟

«وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا..........».

(تكوين ص ١: ٢٦)

ولما كان الإنجيل يقول إن المسيح هو ابن الله الوحيد.

(*) لغوب: تعب.

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يومن به بل تكون له الحيوٰة الأبدية».

(يوحنا ص ٣: ١٦)

وهذا يعني أن المسيح هو أقرب الناس شبهاً بالله. ترى أليس هذا هو سبب التعصب العنصري الذي تحلى به المسيحيون الغربيون لكل جنس من البشر اختلف في ملامحه ولونه عن صورة المسيح التي تخيّلوها؟

٢ ـ المسيح يقول «لبطرس» كما في الإنجيل:

«وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

(متى ص ١٦: ١٨)

ترى هل كان للمسيح كنيسة مؤسسة؟ وهل استخدم هذا اللفظ على لسان المسيح؟ الذي كان يتعبّد في معابد اليهود وهيكل سليمان.

٣ ـ والمسيح يقول كما في الإنجيل:

«حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني».

(متى ص ١٦: ٢٤)

هذا ما يدّعي «متى» أن المسيح قد قاله بوقت طويل قبل أن يصلب.

فإن لم يكن المسيح يعلم أنه سيصلب: فلماذا يطلب منهم حمل الصليب؟ الذي هو أداة تعذيب وقتل. وإن كان المسيح يعلم أنه سيصلب ويموت على الصليب. فهل يعقل أن يقول لتلاميذه أن يحملوا الصليب وهو رمز نهايته؟ هل يعلق الإنسان رصاصة من ذهب في صدره لو أن أخاه أو أباه قد قتل بعيار ناري؟

نترك هذه الأسئلة للقارىء ليتفكر فيها.

وكل ما نقوله له هو أن المسيح ربما يكون قد قال: «ويحمل عذاباته ويتبعني» ولكنه لا يمكن أن يكون قد قال:«يحمل صليبه».

وقبل أن نأتي على نهاية هذا الفصل، نجد أن الواجب يفرض علينا أن نبين ما نعتقده السبب الرئيسي لتلك المتاهات الإنجيلية.

إن السبب يقع في نوعية تلاميذ المسيح، والمسيح نفسه يقدم لنا الأدلة على ذلك، فالتلميذ «بطرس» الذي هو الصخرة التي أراد المسيح بناء كنيسته عليها. لم يتردد المسيح بوصفه بالشيطان.

«فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس».

(متى ص ١٦: ٢٣)

و «بطرس» هو أحد تلاميذ المسيح الذين ناموا من «الحزن» عندما طلب منهم المسيح أن يسهروا ويحرسوا معه في ليلة القبض عليه كما ذكرنا. وهو من تنبأ له المسيح بأنه سوف ينكر المسيح ومعرفته به ثلاث مرات خلال ليلة واحدة.

«فقال اقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات انك تعرفني».

(لوقا ص ٢٢: ٣٤)

ولقد فعل «بطرس» ذلك حماية لنفسه ومحافظة على روحه من أيدي اليهود.

وهذا بولس يختلف مع «صخرة كنيسة» المسيح التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم.

«ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً».

(غلاطية ص ٢: ١١)

عجيب أن يختلف اثنان في داخلهما قد سكن الروح القدس الذي أوحى لهما ما أوحى. والأعجب أن «بولس» الذي لم يكن تلميذاً للمسيح ينتصر على«بطرس»الصخرة التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم.

وهنـاك التلميذ فيلبس الـذي طالب المسيـح بما طـالب اليهود بـه «موسى»:

«قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا».

(يوحنا ص ١٤: ٨)

وهذا دليل جهل وقلة إيمان.

وهنـاك تلميذ آخـر هو «يهـوذا الأسخريـوطي» الخائن الـذي دلَّ اليهود على المسيـح وأسلمه لهم. تـرى أي إيمان كـان لذلـك التلميذ الذي جعله سيدنا المسيح رسولاً.

وهناك تلميذ آخـر هو «تـوما» الـذي ظل يشـك بقيام المسيـح من الأموات ويصر على أن يفحص جسم المسيح بيده حتى يصـدق. وظل شاكاً حتى فحص المسيح بيديه فقال المسيح له:

«قال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

(يوحنا ص ٢٠: ٢٩)

فصارت كلمة المسيح مثلاً. وصار «توما» مثـلاً للإنسان المشكك.

هـذه بعض نماذج لتـلاميذ المسيـح. ولنسمع المسيـح وهو يصف تلاميذه وإيمانهم.

«فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان....».

(متى ص ٨: ٢٦)

وأيضاً:

«فاجاب بطرس وقال له فسّر لنا هذا المثل ١٦ فقال يسوع هـل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين».

(متى ص ١٥: ١٥ ـ ١٦)

وكذلك:

«فـأجاب يسـوع وقال أيهـا الجيل غـير المؤمن الملتـوي. إلى متى أكـون معكم. إلى متى أحتملكم».

(متى ص ١٧: ١٧)

وأيضاً:

«ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه. [٢٠] فقال لهم يسوع لعدم إيمانكم. فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم».

(متى ص ١٧: ١٩ ـ ٢٠)

وكذلك:

«فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله».

(مرقس ص ١١: ٢٢)

وكذلك:

«اخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام».

(مرقس ص ١٦: ١٤)

وهكذا دواليك. لا يفتأ المسيح يعنفهم على قلة إيمانهم ويصفهم بقلة الفهم وقلة الإيمان. وهم كذلك بلا شك. وهم قليلو الوفاء له أيضاً. أوَلَم يتركوه في أيدي أعدائه اليهود ويهربوا جميعهم؟!

هذه لمحات عن تلاميذ المسيح. والمسيح قد قال لهم ما هو عين الحق والصواب.

«انتم ملح الأرض. ولكن إن فسد الملح فبماذا يُملَّح. لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس».

(متى ص ٥: ١٣)

فهل كان هناك فساد في «الملح» يا ترى؟؟

نحن لا نقول كل الفساد. ولكن بعض الفساد. لا شك قد حدث في ذلك «الملح» وهو أمر واضح من خلال ما قرأنا.

وكل ما نقول: إن رغم فساد بعض ذلك الملح إلا أن بعضه ظل بلا فساد.

وكل ما في الأمر أن ذلك الفساد الجزئي يجعل تذوق غير الفاسد منه أمراً صعباً ومتعباً.

وقبل أن ننهي موضوع التلاميذ لا بد لنا من الوقوف مع «رسول» مسيحي له الباع الطولى في انحراف المسيحية عن نهج المسيح وربه وعن درب التعاليم الإلهية، إنه الرسول «بولس».

فالرسول بولس في الحقيقة شخصية فريدة تحتاج دراستها إلى بحث وتمحيص. وهذا الكتاب لا يتسع لدراسة هذه الشخصية. ولكننا سنحاول إلقاء بعض الضوء عليها وبإيجاز معقول ليتسنى للقارىء التعرف على هذه الشخصية الفريدة.

وحتى نأخذ في النظر إلى شخصية الرسول «بولس» يجب علينا أولاً أن ننظر إلى تلاميذ المسيح. فتلاميذ المسيح، كما قلنا سابقاً، ينقسمون إلى فئتين:

الفئة الأولى وهي تشمل اثني عشر تلميذاً وهم المسمون بالرسل، والفئة الثانية وهي تشمل اثنين وسبعين تلميذاً.

الفئة الأولى تحوي كلاً من:

١ ـ سمعان بطرس.
٢ ـ اندراوس أخو سمعان بطرس.
٣ ـ يهوذا الأسخريوطي.
٤ ـ توما المشكك.
٥ ـ يوحنا.
٦ ـ يعقوب أخو المسيح لأمه.
٧ ـ فيليبس.
٨ ـ متى «العشار»(*)...
٩ ـ نثنائيل.
١٠ ـ برثولماوس.

(*) العشار تعني جامع الجباية أو الضريبة.

١١ ـ يعقوب ابن الزبدي.
١٢ ـ يوحنا ابن الزبدي.

ولكن هؤلاء التلاميذ غير مؤكد أنهم نفس تلاميذ المسيح الاثني عشر.

والسبب أن هناك ثلاثة مواقع في الإنجيل التي تذكر أسماء تلاميذ يسوع. وفي ذكرها لهذه الأسماء يتضح أن «الروح القدس» الذي تقول الكنيسة المسيحية إنه قد فتح أعين وعقول تلاميذ المسيح ليكتبوا ما كتبوه، قد فشل مرة أخرى في إيحاء القصة كاملة وبالترتيب على كتبة الإنجيل. ولنقرأ معاً ما تقول الكنيسة.

«ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه ١٤ وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ١٥ ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين ١٦ وجعل لسمعان اسم بطرس ١٧ ويعقوب بن زبدي ويوحنا اخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد ١٨ واندراوس وفيلبس وبرثولماوس ومتى وتوما ويعقوب بن حلفى وتدّاوس وسمعان القانوي ١٩ ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه. ثم أتوا إلى بيتٍ».
(مرقس ص ٣: ١٣ ـ ١٩)

فهنا نجد سمعان القانوي ونجد تدّاوس ولا نجد نثنائيل، ولكن «لوقا» يخالف مرقس حيث يقول في إنجيله الموحى:

«ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً ١٤ سمعان الذي سماه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس ١٥ متى وتوما. يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور ١٦ يهوذا (أخا) يعقوب ويهوذا الأسخريوطي الذي صار مسلماً أيضاً».

(لوقا ص ٦: ١٣ ـ ١٦)

وهنا أيضاً لا نجد «نثنائيل» ولا نجد «تدّاوس» الذي ذكره مرقس في إنجيله، ولكننا نجد بديلاً منه يهوذا أخا يعقوب الذي هو أخو اليسوع لأمه. ونجد كذلك «سمعان» الذي يدعى الغيور.

«في الغد أراد (يسوع) أن يخرج إلى الجليل. فوجد فيلبس فقال له

اتبعني [٤٤] وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس [٤٥] فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة».

(يوحنا ص ١: ٤٢ـ ٤٥)

في هذا الإنجيل يظهر لنا نثنائيل وهذه الاختلافات في أسماء تلاميذ المسيح وإن لم تكن جوهرية، إلا أنها دليل آخر على وجود اختلافات في الإنجيل، ولقد تحدثنا عن نوعية التلاميذ سابقاً. تلك النوعية التي استشففنا خلاصتها من كلام المسيح نفسه. ولا نرى داعٍ للإعادة. ولكن يجب ملاحظة أن كتبة الأناجيل ليسوا كلهم من تلاميذ المسيح الاثني عشر. «فيوحنا» هو أحد التلاميذ الاثني عشر وهو الذي كتب «رسائل يوحنا»، وكذلك كتاب «رؤيا» وهو الكتاب الأخير في العهد الجديد. «وبطرس» الرسول هو أحد أولئك التلاميذ الاثني عشر، وهو الذي كتب رسالتين من رسائل العهد الجديد التي تحمل اسمه. وهو يعتبر رئيس الرسل الاثني عشر. وهناك «يعقوب» أخو المسيح الذي كان أحد كبار الرسل وأحد الاثني عشر تلميذاً، ولقد كتب رسالة من رسائل العهد الجديد، كما كتب كذلك «يهوذا» أخو يعقوب إحدى رسائل العهد الجديد.

وأما إنجيلا «لوقا» و «مرقس» فقد كتبهما تلميذان من التلاميذ الاثنين والسبعين. هما «لوقا» و «مرقس» والإشكال يقع في إنجيل «متى» فلا أحد يعرف أي «متى» قد كتبه، هل كان «متى» العشار، أي جامع الجباية، وهو من التلاميذ الاثني عشر؟ أم هل كان «متى» واحداً من التلاميذ الاثنين والسبعين؟ أم هل كان «متى» أو «متايس» الذي اختاره الرسل الأحد عشر ليحل محل الرسول «يهوذا» الذي خان المسيح وقتل نفسه بعد ذلك؟

ليس هناك دليل يرجح كفة واحد على الآخرين. ولكن هذا ليس المهم، لأن الأناجيل الأربعة والرسائل في العهد الجديد ما هي إلا كتابات منسوبة إلى أشخاص، وليس هناك دليل على أنهم كتبوها أو

بشروا بها. وإن وجد ذلك الدليل فإنه لا يفيد دقة المنقول لنا وتطابقه مع الأصل.

الفئة الثانية من التلاميذ تحوي اثنين وسبعين تلميذاً كما قلت، ولا يعرف إن كان التلاميذ الاثنا عشر هم من ضمن الاثنين والسبعين أم لا.

وليس هناك أهمية معينة للتلاميذ الاثنين والسبعين إلا في أن من بينهم اثنين على الأقل من كتبة الأناجيل، وهما «لوقا» و «مرقس». أو ربما كان هناك كاتب ثالث وهو «متى» إذا ما أثبت أحد أنه كان من تلك الفئة الثانية من التلاميذ، وأنه ليس «متى» العشار أو «متى» المختار رسولاً من قبل التلاميذ الأحد عشر الذين بقوا بعد المسيح.

والأهمية القصوى للتلاميذ الاثني عشر ليست في قربهم من المسيح وملازمته فقط. بل لأن المسيح جعلهم رسلاً ووعدهم بأن يحكموا على أسباط إسرائيل:

«لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر».

(لوقا ص ٢٢: ٣٠)

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. فهم لا يجلسون على كراسٍ ويدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر، بل يحاربون من بني اسرائيل ويعذبون ويضطهدون.

والأدهى أن واحداً من التلاميذ الاثني عشر يخون المسيح ويسلمه إلى اليهود لكي يصلبوه، ولكنه يقوم بعد ذلك بقتل نفسه.

«حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ ٤ قائلاً قد اخطات إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا أنت أبصر ٥ فطرح الفضة في الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه».

(متى ص ٢٧: ٣ ـ ٥)

هنا ظهرت مشكلة للتلاميذ الرسل لم يحلها لهم يسوع بعد قيامه من القبر ولا قبل صعوده إلى السماء.

أسباط اسرائيل اثنا عشر وقد وعدهم المسيح بها، ولكنهم الآن أصبحوا أحد عشر رسولاً فقط، بعد موت «يهوذا الأسخريوطي». فماذا يفعلون حتى يصبحوا اثني عشر رسولاً مرة أخرى؟

إنهم يقررون أن ينتخبوا بديلاً «ليهوذا الأسخريوطي» وذلك عن طريق القرعة.

«فأقاموا اثنين يوسف الذي يُدعى برسابا الملقب يوستس ومتياس [٢٤] وصلوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عيِّن أنت من هذين الاثنين أياً اخترته [٢٥] ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه [٢٦] ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولاً».

(أعمال ص ١: ٢٣ ـ ٢٦)

وهكذا، فقد سدوا الفراغ الذي أحدثه موت «يهوذا» باختيار «متياس» مكانه، عن طريق القرعة التي رعاها الله!

هؤلاء التلاميذ والرسل الاثنا عشر هم من معاصري المسيح عليه السلام. ومهما أبدينا من ملاحظات حول مستوى إدراكهم وفهمهم لتعاليم سيدنا المسيح، ومهما وجدنا عليهم من تحفظات واكتشفنا فيهم من زلّات يظلون هم السابقون في معرفة المسيح معرفة مباشرة. ولا يسعنا إلا أن نؤكد نقطتين مهمتين في حقهم.

الأولى: إن ما بين أيدينا من صفحات الإنجيل مهما حوت الفاسد من القول فهي قد حوت ما هو صالح ونافع. وإن بعض الروايات التي قد لا يقبلها العقل إنما تأتي مع روايات لا يوجد لأحد تحفظ عليها.

النقطة الثانية: إن ما بين أيدينا ما هو إلا كلام منسوب إلى أولئك الرسل والتلاميذ، لا يوجد دليل مؤكد على أن ما بشروا به حرفياً. فإن

ما بشروا به أصلاً لم يصل إلينا إلا بعد تعرضه للنسيان والخطأ المقصود وغير المقصود، ومعاناته من الترجمات وأثرها.

ولكننا على أية حال لا نستطيع الجزم بأن تلاميذ المسيح هم من كتب حروف هذه الكلمات التي تشكل نصوص وفصول الكتاب المقدس.

ولكن أدهى شيء أصاب المسيحية لم يكن الأخطاء والمغالطات التي وقع فيها الكتاب المقدس الموجود تحت أيدينا الآن. فالأدهى هو ما أتى بعد وفاة المسيح فاستنَّ طريقاً يخالف تعاليمه ويخالف سنته.

ولقد حدث هذا على يد الرسول «بولس». تلك الشخصية الفريدة التي ألمحنا عنها سابقاً. وسوف نعرفك بهذه الشخصية أيها القارىء.

الرسول «بولس»، و «بولس» ليس اسمه الحقيقي، لأن اسمه الحقيقي هو «سول» أو «شاول» وهو اسم عبراني، حرِّف كالعادة إلى بولس أو بول الاسم اللاتيني الدارج.

«فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني...».

(اعمال ص ٢٦: ١٤)

و «شاول» أو «سول» اسم عبراني لأن «بولس» كان يهودياً فريسياً. والفريسيون هم كهنة اليهود وزعماؤهم الدينيون «بولس» هذا، وهو الاسم الذي سوف نستخدمه، لم يكن يهودياً أو فريسياً عادياً.

بل كان يهودياً متعصباً متزمتاً، قاده تعصبه وتزمته لمعاداة المسيح وأتباعه. ولم يكتف بالمعادة بل زاد عليها في مطاردته لهم وملاحقتهم لاصطيادهم وسجنهم وتعذيبهم حتى وصل به الأمر إلى قتل العديد منهم، ولنسمعه وهو يصف نفسه بعد أن اعتنق المسيحية.

«فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري [10] وفعلت ذلك أيضاً في أورشليم، فحبست في سجون كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قِبَل رؤساء الكهنة. ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك [11] وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة واضطرهم إلى التجديف. وإذ أفرط حنقي عليهم كنت اطردهم إلى المدن التي في الخارج».

(أعمال ص ٢٦: ٩ ـ ١١)

معاداة ليسوع، واضطهاد لأتباعه، وتعذيب وسجن وقتل للقديسين منهم، وإرغام الكثيرين من المؤمنين بالمسيح على الكفر به، ونفي الكثيرين، كل هذا وهو لم يلتق بالمسيح ولا مرة واحدة. ولم يستمع إلى تبشيرة منه وإنما اكتفى بما كان يسمع عنه من يهود وفريسين وكهنة كانوا يعادونه ويكرهونه.

فإن كان حقد بعض اليهود قد شفي بصلب المسيح والاعتقاد أنه مات. فإن حقد «بولس» لم يسترح بل ظل يطارد أتباع المسيح ويقتص منهم.

فما الذي حدث حتى أصبح «بولس» مسيحياً متعصباً للمسيح ومبشراً برسالته؟

هل استمع للعقل؟ أو أنصت لتعاليم المسيح تلقى عليه من قبل أحد التلاميذ؟

كلا. إن هذا التحول قد احتاج إلى معجزة حتى يتم. وهي معجزة لم يشهدها إلا «بولس» ولم يروها إلّا «بولس». لأن من كان معه عندما حدثت أناس لا نعرف عنهم شيئاً. وهم لم يتقدموا ليشهدوا برؤيتهم لتلك المعجزة وليؤيدوا رواية «بولس» عنها. فلنستمع لرواية تلك المعجزة على لسان «بولس» وهو يرويها للملك «أغريباس» والعهدة على الراوي:

«ولما كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة [12] رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نوراً من السماء أفضل من لمعان

الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي [١٤] فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني. صعب عليك أن ترفس مناخس [١٥] فقلت أنا من أنت يا سيد فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده».

(اعمال ص ٢٦: ١٢ ـ ١٥)

لا نعرف ما هي «مناخس» التي يصعب على «بولس» أن يرفسها، ولا نستبعد ظهور المسيح على كافر فريسي في حلم أو رؤيا، وإن كان ظهوره وكلامه فعلياً يصعب تصديقه لأن المسيح كان قد ارتفع إلى السماء منذ سنوات، ولا نرى أن المسيح كان يأتي قبل موعده ليحاور أو يرشد أحداً مثل «بولس» أو غيره. ولكن المهم في الرواية هو ما سيتبع من سرد «بولس» لها:

«ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به [١٧] منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم [١٨] لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع القديسين».

(اعمال ص ٢٦: ١٦ ـ ١٨)

هكذا وبكل بساطة كما يروي لنا «بولس» ظهر المسيح له ولم يكتفِ بهدايته إلى الإيمان به، ولكنه عينه رسولاً إلى الأمم. وهو الذي ما تتلمذ على يديه ولم يلتقِ به مرة واحدة في حياته. ما هو الدليل على صدق هذه الرواية؟؟ ومن الشاهد على حدوث هذه المعجزة الفذة؟

لا أحد. ولا حتى من قال «بولس» إنهم كانوا معه في طريقه إلى دمشق. والذين أسقطوا معه جميعاً على وجوههم.

والمستند الوحيد على صدق «بولس» هو كلامه دون سواه.

فماذا فعل «بولس»؟

لقد تقبل الرؤيا السماوية كما يقول. ثم إنه ذهب إلى دمشق مقوداً من يده وهو لا يبصر من بعد ذلك النور السماوي الذي ظهر له.

وهناك أتاه «حنانيا» أحد تلاميذ المسيح والمبشرين به. لأن «الرب» قد كلم «حنانيا» وهداه إلى البيت الذي كان فيه «بولس». كما يقول العهد الجديد. وما إن كلم «حنانيا» «بولس» حتى وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد.

ثم إنه تتلمذ على يد «حنانيا» وقام من بعدها يبشر بالمسيح على أنه «ابن الله». هذا ما يرويه كتاب أعمال ص ٩.

إلا أن هذه المعجزة التي حدثت «لبولس» وذلك التعليم الذي تلقاه من «حنانيا» فأصبح بعده مبشراً بالمسيح، لم يكن كافياً لتلك الشخصية الفريدة.

لقد ذهب إلى أورشليم القدس وتقابل مع بعض التلاميذ هناك. منهم «برنابا» وهو من التلاميذ الاثنين والسبعين. وكذلك قد التقى بعدها «بيعقوب» أخي المسيح لأمه وأحد التلاميذ الاثني عشر، وكذلك قد التقى «ببطرس» رئيس الرسل.

كانوا مترددين في تصديق دعواه حتى أثبت لهم ذلك بالمجاهرة بتبشيره للناس ودعوتهم إلى الإيمان بيسوع على أنه ابن الله... فصدقه التلاميذ.

إلا أن هذا لم يكفه ولم يرضه، فراح يدخل في صراعات مع تلاميذ المسيح ويناقشهم في أصول العقيدة ويختلف معهم. ولما كان فريسياً كاهناً متعلماً وقارئاً مثقفاً، فإنه لم يكن غريباً أن يستطيع أن يؤثر في أولئك التلاميذ البسطاء ويقنعهم بما يريد هو أن يثبته من عقيدة مسيحية.

وفي أول اجتماع مسيحي موسع يناقش العقيدة المسيحية، وهو ما يسمى «مجمع أورشليم»، استطاع «بولس» أن يمرِّر أفكاره وتصوراته عما يجب أن تكون عليه العقيدة المسيحية. فتم له ما أراد واتفق الرسل والمشايخ على إرساله مع «برنابا» واثنين آخرين هما «يهوذا» الملقب «برسابا» و «سيلا» ليبشروا الأمم بالمسيح يسوع.

وهكذا أصبح اليهودي الفريسي المتعصب «شاول»، أصبح هو الرسول «بولس» بل وأسموه «رسول الأمم»، ذلك لأن الرسل الاثني عشر كانوا لا يمكن أن يزيد عددهم عن ذلك العدد. ولكن حتى يعطى «بولس» ثقلاً ومكانة فقد أطلقوا عليه اسم «رسول» وميزوه عن الرسل الاثني عشر باسم «رسول الأمم».

و «بولس» قد حصل على ما قد حصل عليه بعد مواجهات ومنازعات استطاع بها الانتصار على رأي التلاميذ الآخرين. وإليك مثالاً على ذلك.

«ولكن لما اتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً ![12] لأنه قبلما اتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما اتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان ![13] ورأى معه باقي اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم ![14] لكن لما رايت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وانت يهودي تعيش اممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهوَّدوا».

(غلاطية ص ٢: ١١ ـ ١٤)

هكذا مواجهة وتعارض واختلاف ينتصر فيه منطق «بولس» على عقيدة «بطرس» رئيس الرسل. والحق يقال إن «بولس» قد عمل على انتشار المسيحية أكثر بكثير مما عمله جميع التلاميذ والرسل.

فلقد كان «بولس» آية في النشاط والترحال. فهو لا يستقر في مكان ولا يهدأ في بلد. ينتقل بين مدن الشرق حتى دخل إلى أوروبا فزار قبرص ومدن تركيا وذهب إلى اليونان وزار تاسالونيكي وأثينا ومدن يونانية كثيرة.

و «بولس» هو الذي أوصل المسيحية إلى روما قلب الأمبراطورية الرومانية. حيث إنه قد زار روما وبشر بالمسيح بها. وهناك قد اعتقل وحوكم ويعتقد أنه قد قتل في روما ودفن فيها.

ولقد كان هناك زميل «لبولس» رافقه في سفره وتنقله، ولكن

«بولس» اختلف معه فانفصلا. كان ذلك التلميذ هو «برنابا» وهو من التلاميذ الاثنين والسبعين.

«فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص :٤٠ وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعاً من الأخوة إلى نعمة الله».

(أعمال ص ١٥: ٣٩ ـ ٤٠)

ولكن أحد التلاميذ الاثنين والسبعين ظل ملازماً «لبولس»، وكان ذلك التلميذ هو «لوقا» الطبيب الذي ينسب إليه الإنجيل الثالث من العهد الجديد:

«يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس».

(كولوسي ص ٤: ١٤)

كذلك:

«لوقا وحده معي. خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة».

(٢ تيموثاوس ص ٤: ١١)

وهو يعود فيذكر اسم «لوقا» في رسالة أخرى:

«يسلم عليك أبفراس المأسور معي في المسيح يسوع :٢٤ ومرقس وأسترخس وديماس ولوقا العاملون معي».

(فليمون ص ١: ٢٣ ـ ٢٤)

ومعاشرة أولئك التلاميذ «لبولس» لا شك قد أثرت بهم بصورة من الصور. ولكن وجودهم قد ساعده في نشر المسيحية في أرجاء المعمورة المعروفة لهم في ذلك الوقت والتي استطاعوا الوصول إليها.

وهكذا يكون «بولس» هو المسؤول الأكبر عن انتشار المسيحية في أرجاء أوروبا وفي أمم غير اليهود.

لذلك فهو قد استحق لقب «رسول الأمم» وقد بلغ من نشاطه في نشر المسيحية أن يعد، كما في كتاب أعظم مئة رجل، للكاتب الأمريكي «هارت»، ثاني أعظم رجل في التاريخ ويأتي المسيح عليه السلام بعده

في الترتيب الثالث. وذلك لأنه يعتبر أكثر من المسيح كفاءة في نشر المسيحية في العالم.

إن «بولس» أصبح بعد مجمع أورشليم هو القوة المحركة والمرجع الأكبر في المسيحية.

ورسائل «بولس» في العهد الجديد تشكل ما نسبته ٤٥ بالمائة من مجموع صفحات العهد الجديد. ويرجع الفضل إلى «بولس» في انتشار المسيحية في الأمم غير اليهودية لأنه كان مؤمناً، بخلاف بقية التلاميذ، إن تبشير المسيح يجب أن لا يقف على الأمة اليهودية. ولولا أنه أقنعهم بذلك لما انتشرت المسيحية في العالم.

كما إننا يجب أن نذكر أن من أهم الأشياء التي قال بها «بولس»، وهي ربما تكون من غير قصد، والتي أوضحت وساعدت في تثبيت مبدأ البنوّة الإلهية، هي تلك الكلمة المشهورة له:

«لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله».

(رومية ص ٨: ١٤)

ورغم أنه كان يبشر بأن المسيح هو ابن الله الذي مات وقام، إلا أنه في هذه الكلمة قد وضع الأساس الذي يعتمد عليه في إطلاق اسم «ابن الله» مجازاً وتسمية.

كما أن له الفضل في إعطائنا وسيلة لاختبار ما هو مكتوب في الإنجيل، إن ادّعى أنه موحى من الله:

«كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر».

(٢ تيموثاوس ص ٣: ١٦)

وهو بذلك قد زودنا بأصول تنفع في اختبار الكتاب المقدس لنتبين ما قد يكون موحى من الله. ونحن إذ نرجع إلى «بولس» تلك الأفضال، لا نقول إن «بولس» كان هو المسيحي الحق الذي قد انقاد بتعاليم المسيح وهديه.

كلا. فإن «بولس» هو المسؤول الأكبر عن تحول المسيحية الأصلية عن أهم جذورها التشريعية وقواعدها التي كان المسيح متقيداً بها.

ثم إن «بولس» وإن أصر على نشر المسيحية في الأمم غير اليهودية، لا يعني أنه قد كان أقل تعصباً لليهودية مما كان عليه أيام يهوديته وتكهنه كفريسي.

انظر إليه وهو يفضل اليهود عن بقية العالم ويفضلهم على أبناء عمومتهم.

«قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس ؟[22] فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرّة ؟[23] لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذي من الحرة فبالموعد ؟[24] وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر ؟[25] لأن هاجر جبل سيناء في العربية. ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها ؟[26] وأما أورشليم العليا التي هي أمنا (جميعاً) فهي حرة ؟[27] لأنه مكتوب افرحي أيتها العاقر التي لم تلد. اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخض فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج ؟[28] وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد ؟[29] ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح هكذا الآن أيضاً ؟[30] لكن ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة ؟[31] إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة».

(غلاطية ص ٤: ٢١: ٣١)

إذن فهو ومن معه أولاد حرة. والبقية أولاد جارية، ترى من هم نسل الحرة؟ أليسوا هم اليهود؟

بلى هم نسل «سارة» من ابنها «إسحق» عليهما السلام لذا فهم، أي اليهود، أولاد الموعد. أما سواهم فهم نسل الجسد.

ولكن أين وجد «بولس» في الكتاب، إن الذي ولد حسب الجسد قد اضطهد أخاه الذي ولد حسب الروح كما يدّعي؟

حجة واهية. تقوم على مبدأ خاطىء قد عالجناه سابقاً. فإسماعيل

عليه السلام لم يعادِ أو يضطهد «إسحق» أخاه عليه السلام. بل كان يعيش بعيداً عنه في برية «فاران» و «اسماعيل» هو الابن البكر «لإبراهيم» من زوجته المصرية «هاجر» التي كانت جارية «لسارة»، ولكنها وهبتها «لإبراهيم» زوجة له. هذا ما يقول الكتاب «زوجة».

وهذا الهذيان اليهودي سوف نرد عليه في الفصل القادم والأخير من هذا الكتاب.

ولكن العبرة التي رأينا أن نوضحها للقارىء هي في أن «بولس» لم يكن متنكراً ليهوديته، ولم يكن معتدلاً فيها بل كان متعصباً جد التعصب لها.

فهو حتى بعد ادعائه بظهور المسيح له وبعد محاربته ومواجهته لتلاميذ المسيح وإقناعهم في نشر المسيحية في باقي الأمم غير اليهودية، فهو لم يغير نظرته بأن اليهود كانوا وما زالوا هم شعب الله المختار، لأنهم نسل الذي ولد بالموعد وبالروح من الزوجة التي شبهها بأورشليم، أما بقية البشر فهم غير ذلك وبالذات نسل الذي ولد في الجسد من الجارية التي شبهها بالصحراء والجبل الأجرد.

ترى هل قرأ «بولس» ذلك الناموس الذي يحتج فيه؟ وإن فعل فهل فهم أو نقل الحقيقة الساطعة فيه لمن كان يكلمهم أو يراسلهم؟ ألم يقرأ في الناموس والتوراة:

«فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو.[١٨] قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة».

(تكوين ص ٢١: ١٧ ـ ١٨)

هذه هاجر التي يسميها «بولس» جبل سيناء. يكلمها الرب مطمئناً وواعداً. وهي ليست بالمرة الأولى التي يخاطبها ملاك الرب فيها. وهذه «سارة» التي لم يخاطبها الرب سوى مرة واحدة. فماذا حدث؟

«فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد

شخت [١٤] هل يستحيل على الرب شيء. في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحيوة ويكون لسارة ابن [١٥] فأنكرت سارة قائلة لم أضحك. لأنها خافت. فقال لا بل ضحكت».

(تكوين ص ١٨: ١٢ ـ ١٥)

هذه «سارة» أو أورشليم كما يسميها «بولس» ويفاخر بانتسابه لها ولنسلها. ألا تراها تحاول النكران والكذب. وعلى من؟ على الرب سبحانه. وألا ترى الرب يوبخها؟!

هذه مجرد مثال للتعرف على مكنون صدر «بولس». أما ما قد فعل «بولس» بالمسيحية فهو ما يلي.

١ ـ لقد أحلَّ أكل الخنزير الذي حرمه «موسى» ولم يأكل منه يسوع طوال حياته.

«فرأى السماء مفتوحة وإناءً نازلاً (عليه) مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض [١٢] وكان فيها كل دواب الأرض (والوحوش) والزحافات وطيور السماء [١٣] وصار إليه صوتٌ قم يا بطرس اذبح وكل [١٤] فقال بطرس كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً [١٥] فصار إليه أيضاً صوتٌ ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت [١٦] وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء».

(أعمال ص ١٠: ١١ ـ ١٦)

ونحن نعرف أن كتاب «أعمال» غير منسوب إلى «بولس» ولكن لا نعرف من أملاه أو كتبه، وحيث إن كتاب «أعمال» هو أول كتاب في العهد الجديد يعرفنا «ببولس» ويروي لنا الكثير عنه، حيث إن من قراءة الكتاب نجد «بولس» وهو يتحدث عن نفسه كما يتحدث عن أشياء كثيرة فإننا لا نستبعد أن يكون أحد الذين كتبوا أجزاء من كتاب «أعمال الرسل».

ومن قراءة ذلك النص نرى كيف حلل كاتب ذلك النص أكل الخنزير الذي كان يعد حيواناً دنساً ونجساً. ونحن إذ ننسب هذا الكلام إلى «بولس» فلسببين:

الأول: أنه قد غير في تعاليم المسيح أشياء أخرى، والثاني: لأننا وجدناه يكرر هذه الدعوة لإباحة أكل لحم الخنزير في أحد رسائله.

«ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين [٢] في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم [٣] مانعين من الزواج و آمرين ان يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق [٤] لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر [٥] لأنه يقدس بكلمة الله والصلوة».

(١ تيموثاوس ص ٤: ١ ـ ٥)

وهكذا أحل «بولس» ما حرّمه المسيح على نفسه اتباعاً لناموس «موسى». وجعل كلمة الله والصلاة على ما حرّم الله تحليلاً للمحرم. ولقد أحلت الكنيسة المسيحية أكل الخنزير، ولكنها تناست ذكر اسم الله على ما تذبح منه أو غيره. أحل «بولس» أكل الخنزير وزاد شيئاً آخر جديداً في المسيحية:

فهو اليهودي الذي قد «ختن في غرلته» حسب التعاليم اليهودية، والذي آمن بالمسيح والمسيح قد ختن في غرلته.

«ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن».

(لوقا ص ٢: ٢١)

وجميع تلاميذ المسيح قد ختنوا لأنهم يهود ويتبعون الناموس الذي يقول فيه الله لإبراهيم:

«هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر [١١] فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم».

(تكوين ص ١٧: ١٠ ـ ١١)

وزاد الله في تأكيد ذلك العهد كما يقول الكتاب المقدس:

«وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي».

(تكوين ص ١٧: ١٤)

هذا العهد الإلهي الذي طالب به الله إبراهيم ونسله، وحدده. جاء الـرسول «بـولس» وألغاه إلغـاءً تـامـاً حتى لم يعـد هنـاك مسيحيّ مختون.

«فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعـدياً النـاموس فقد صار ختـانك غـرلة![26] إذاً إن كـان الأغرل يحفظ أحكـام النامـوس أفما تحسب غـرلته ختـانـاً![27] وتكـون الغـرلـة التي من الطبيعـة وهي تكمـل النـاموس تـدينك أنت الـذي في الكتاب والختـان تتعدى النـاموس![28] لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهـودياً ولا الختـان الذي في الظـاهر في اللحم ختـاناً![29] بـل اليهودي في الخفـاء هو اليهـودي. وختان القلب بـالـروح لا بالكتاب هو الختان. الذي مدحه ليس من الناس بل من الله».

(رومية ص ٢: ٢٥ ـ ٢٩)

ويستمر «بولس» في تبريره إلى أن يصل إلى حكمه وشرعه الجديـد الذي تبنته المسيحية:

«لأن الله واحد هو الـذي سيبرر الختـان بالإيمـان والغرلـة بالإيمـان![31] أفنبطل النـاموس بالإيمان. حاشا. بل نثبّت النـاموس».

(رومية ص ٣: ٣٠ ـ ٣١)

وهكذا شريعة جديدة في المسيحية على يـد «بولس» تخـالف شريعة المسيح عليه السلام. والظن كل الظن أن «بولس» قد قام بما قام فيه محاولاً تسهيل دخول الأمم الأخرى إلى المسيحية. لأن الأمم الأخرى لم تكن تختن ولم تكن تحرم أكل الخنزير.

ومن قال إن «مكيافلي» هو أول من قـال إن الغايـة تبرر الـوسيلة. فإن «بولس» كان أول رسول مسيحي عمل بهذه الحيلة قبل قرون من انتشارها في العالم، وربما كانت هناك مسـاومات من قبـل الأمم التي التجأ إليها «بولس» مبشراً. فهم لا شك قد حـاولوا أن يستبقـوا على بعض المزايا التي كانوا يرتاحـون إليها قبـل دخولهم إلى المسيحيـة. وقد كان لهم هذا وأكثر.

وتأثير الحضارتين اليونانية والرومـانية ظـاهر واضـح في صفحات

الإنجيل، الذي لجأ كتبته لأفكار ومعتقدات يونانية ورومانية كانت متوارثة في تلك الحضارتين.

فالمسيحية مثلما أثرت في تلك الحضارتين فإنها تأثرت بهما وبالمثيولوجيا السائدة في شعبيها.ولعل أكبر شاهدين على تأثر كتابات الإنجيل بتلك الحضارتين وبالذات الحضارة اليونانية، ان أقدم النسخ الموجودة للإنجيل إنما هي مكتوبة باليونانية لا اليهودية أو السريانية التي هي لغة المسيح والرسل والتلاميذ. وكان لتأثير اللغة شأن كبير في تحريف وإساءة فهم الإنجيل. حتى إنها أثرت في أسماء الرسل أنفسهم، «شاول» أصبح «بول»، «سمعان الصخرة» أصبح «سمعان بطرس»، وهلم جرى تحريفات وتحريفات.

والشاهد الثاني على تأثر المسيحية وكتبة الأناجيل بالحضارة اليونانية هي بداية الإصحاح الأول للإنجيل الرابع «ليوحنا».

«في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله».

(يوحنا ص ١: ١)

فهذه الفكرة الفلسفية هي فكرة يونانية الأصل قال بها في الإسكندرية الفيلسوف اليهودي «فيلون» قبل ظهور المسيح بأعوام، و «فيلون» قد نقلها من اليونانية متأثراً بفيلسوفها «Plato» المعروف بالعربية باسم «أفلاطون».

وللعلم، فإن تلك البداية التي بدأ بها الإنجيل الرابع قد خلقت شكوكاً لدى دارسي الإنجيل في أن يكون أحد من تلاميذ المسيح قد قالها. خاصة «يوحنا». لأن تلاميذ المسيح كانوا من اليهود البسطاء غير المتعلمين. فيما عدا «لوقا» الذي كان طبيباً متعلماً. وهكذا، فإن تأثير تلك الحضارات في الدعوة المسيحية الأولى قد كان لها أثرها.

ولعل أهم تأثير لتلك الحضارات على المسيحية، والذي لا بد أنه قد تم بعد مساومات من قبل الزعماء الدينيين في تلك الحضارات مع المبشرين بالدعوة المسيحية، قد ظهر واضحاً في قبول الرسول «بولس»

باستحداث ما حاربه المسيح ومات لأجله.

فالمسيح «يسوع» عليه السلام خالف اليهود فيما كانوا يعملون من تقديم قرابين وهدايا للكهنة الفريسيين في المعابد وهيكل سليمان. بل لقد قام بطردهم من المعبد وطرد الصيارفة الذين يحوّلون أموال الناس من عملة رومانية رسمية سائدة إلى عملة يهودية حتى يستطيعون تقديمها إلى الكهنة.

فالمسيح كان ضد مبدأ استخدام كاهن في توصيل طلبات الناس إلى الله لأنه يؤمن بأن الناس تستطيع الوصول إلى الله مباشرة بغير كهنة. وهو من ثم ضد مبدأ تقديم القرابين إلى كهنة يكنزون الأموال تحت ذريعة تقديم القرابين للناس. ولتبقي الناس على فقرها وقلة ما لديها.

بعد كل ما عاناه المسيح عليه السلام في محاربة الكهنة ومبدأ التكهن وإعطاء الناس أموالهم لهؤلاء الكهنة.

بعد كل هذا يأتي «بولس» لينقض هذه الشريعة اليسوعية السمحاء مستخدماً تفوقه المنطقي وأسلوبه المقنع في إرساء مبدأ حاربه اليسوع.

«فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار [15] لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية [16] فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه».

(عبرانيين ص ٤: ١٤ ـ ١٦)

ثم يزيد في الإصحاح الخامس من هذه الرسالة:

«لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس في ما لله لكي يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا [2] قادراً أن يترفق بالجهال والضالين إذ هو أيضاً محاط بالضعف [3] ولهذا الضعف يلتزم إنه كان يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه».

(عبرانيين ص ٥: ١ ـ ٣)

وبعد الاسترسال في سرد تفسيراته وحججه يصل إلى النتيجة التي يريد.

«وأما راس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات [٢] خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان [٣] لأن كل رئيس كهنة يقام لكي يقدم قرابين وذبائح. فمن ثم يلزم أن يكون لهذا أيضاً شيء يقدمه».

(عبرانيين ص ٨: ١ ـ ٣)

وهكذا أقام ذلك التلميذ من تلاميذ المسيح وثبت دعائم الكهنوت التي حاربها المسيح.

ولسنا ندري إن كان ما قام به «بولس» من هذا العمل الشنيع يعود لتأثره بالمساومات من قبل رجال الدين في الحضارات التي ذكرنا ليحافظوا على مراكزهم بعد دخولهم المسيحية. فيكون التحول إلى المسيحية بالنسبة لهم كمن يغير اسم شركة يملكها إلى اسم جديد، ولكنه يحافظ على ما فيها من موظفين ونوعية عمل. أهي مساومات خضع لها «بولس»؟ أم هي بقية باقية ومتأصلة في نفسه لتلك الخلفية اليهودية الفريسية التي عاشت على دماء وعطاءات شعب مغلوب على أمره، يبيع ما لديه وما أمامه ووراءه ليقدمه للكهنة ثمناً لخلاص روحه. المهم إن ما قام به «بولس» بهذا التغيير في سنة «عيسى» عليه السلام لم يكن ابتعاداً عن النهج اليسوعي الأصيل فحسب، بل إنه قد أرسى دعائم الكنيسة والأديرة ورجال الدين.

وما كان يعاني منه الشعب اليهودي على يد كهانه عانت منه المسيحية على يد رجال الدين المسيحيين الذين ما فتئوا ينهبون أموال الفقراء ليكدسوها في كنائسهم وأديرتهم، والذين أرهبوا الشعوب المسيحية بغضب الله والمسيح حتى حرم المسيحيون أبناءهم طيب الطعام ليذهب لقمة هنيئة في بطون رجال الدين.

افتقر الشعب المسيحي ليزيد في غنى وثروة الكنيسة.

وجاع أولاد المسيح ليشبعوا بطون الأساقفة والكهان بأطيب الطعام وأحلى الشراب وأفخر الخمور.

تعرى أولاد المسيح ليلبس رجال الدين في الأديرة والكنائس كل ما هو غالي الثمن. نام أولاد المسيح في الأكواخ وفي العراء ليبني رجال الدين كتدرائيات وكنائس وأديرة.

فالكنيسة المسيحية هي أغنى مؤسسة على الأرض. ويزيد غناها يوماً بعد يوم. ولم يحظ المسيحيون بالرخاء إلا بعد أن ابتعدوا عن رجال الدين وعن المسيحية وتعاليمها.

كل هذا بدأ بيد «بولس» الرسول الذي بشر بالمسيح ونشر اسمه ودعوته في سائر الأمم.

ولكن هل نشر «بولس» دعوة المسيح التي أرادها المسيح للناس؟، وما هو موقف المسيح عليه السلام من أمثال «بولس»؟

لقد تنبأ المسيح بفعلهم وصرح برده عليهم وبموقفه منهم. فقال:

«ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات ٢٢ كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبّأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قواتٍ كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرّح لهم اني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».

(متى ص ٧: ٢١ ـ ٢٣)

فهل هناك أبلغ من هذه النبوءة؟

إن المسيح لا يرفض ويطرد المسلمين أو اليهود أو البوذيين أو الهندوس، بل هو يطرد مسيحيين ينادونه «يا رب يا رب». ومن غير المسيحيين ينادي يسوع بـ «يا رب»؟

ولكن هو لا يطرد أي مسيحي عادي قد آمن به وبدعوته، بل هو يطرد ويتنكر لمسيحيين لهم سلطان وقوة ومقدرة مكنتهم من التنبؤ

وإخراج الشياطين وصنع قوات كثيرة باسم المسيح وتحت شعار دعوته.

ترى من فعل هذا غير بعض رجال الدين المسيحيين وعلى رأسهم «بولس» الرسول ورؤساء الكهنوت؟ بهذا نكتفي في بحثنا الذي عرضناه ومحاوراتنا عن كتبة الإنجيل.

ولكننا وقبل الدخول في الفصل الأخير من الكتاب، نرى أنه يجب أن نختصر ما وجدنا في ملاحظات موجزة وخلاصة سريعة.

١ ـ الكتاب المقدس قد تعرض لتحريفات وتشوهات متعمدة وغير متعمدة.

٢ ـ إن ما وصلنا من تبشير المسيح وتلاميذه ما هو إلا جزء من كثير. وإنه قبل أن يصلنا قد تعرض للكثير من التصحيف والتغيير بسبب الترجمات إلا أن هذا لا يمنع من وجود الكثير من الصحيح في الأصل.

٣ ـ تلاميذ المسيح قد أساءوا فهم المسيح عن قصد أو غير قصد بسبب إدراكهم المحدود ولِكُنه المسيح وحقيقته.

٤ ـ المعجزات التي قام بها يسوع المسيح، وإن كانت أقل مما قام به «موسى» عليه السلام، إلا أن كليهما قد قام بها بإذن الله وقدرته وليس بقدرتهما الذاتية.

٥ ـ إن الأدلة كلها تشير إلى أن تسمية المسيح لنفسه «بابن الله» وتسمية الله «بأبي» ما هي إلا تسمية مجازية ليس المسيح أول من استخدمها. ولكن سوء فهم تلاميذه جعلهم يرسمونها وكأنها بنوة جسدية محضة لا روحية فقط.

٦ ـ إن القوة المحركة للمسيحية كانت في رسول الأمم المسيحي الرسول «بولس» الذي أبعد المسيحية عن المسار الأصلي الذي أراده المسيح عليه السلام حسب تعليمات وهدى الله سبحانه وتعالى.

٧ - إن المسيح وإن صلب، إلا أنه لم يمت على الصليب، ومن ثم لم يقم من الأموات، وهنا تجدر الإشارة لخطورة الجملة الشهيرة للرسول «بولس».

«وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم».

(كورنثوس ص ١٥: ١٤)

فهي جملة خطيرة لا مبرر لها. فإن المسيح حتى وإن لم يمت ويقوم من الأموات. فإن ذلك ليس سبباً لأن تبطل الدعوة المسيحية.

والخلاصة أن من رجال المسيحية من يرى ما نراه من ملاحظات في كتبة الإنجيل وكتاباتهم، خاصة فيما يتعلق بالتناقضات الواضحة بخصوص أقوال وأفعال السيد المسيح. ولكنهم في ورطة من أمرهم.

فهم إن أصروا على صدق كل ما في الإنجيل فهم يخرجون المسيح بصورة غير الصورة التي يريدونها له من تسامح ومغفرة وشمولية في الدعوة. فمثلاً، إن هم أصروا على أن المسيح قد قال، حسب ما يقول الإنجيل، من أنه ما أتى إلا لبني اسرائيل، وإنه لم يغير هذه الدعوة إلا في أواخر أيامه بعد أن طلب وقبل أن يرتفع إلى السماء، حيث أمر تلاميذه بدعوة جميع الأمم.

إن هم أصروا على ذلك فقد أظهروا المسيح بصورة المتنبىء الخاطىء والإنسان الذي يغير رأيه بعد تجربة وفشل على اليهود. وهذا لا يليق بنبي، فما بالك «بابن الرب». وإن هم قالوا واعترفوا بأخطاء الإنجيل فهم قد قوضوا الدعامة الوحيدة التي يستندون إليها في المسيحية. وهم يفتحون الباب مشرعاً أمام من يطالب بعدم اعتماد الإنجيل ككتاب سماوي مقدس.

ولقد جرت محاولات كثيرة لتصويب الكتابات الإنجيلية كان أشهرها ما قام به «مارتن لوثر» عندما نقض سبعة أسفار من الإنجيل. فشق بذلك كنيسة ومسيحية جديدة تدعى البروتستانية.

وهناك كنائس وكنـائس، كلٌّ لـه إنجيل وكتـاب مقدس يقـره، وهو يختلف في شيء هنا وشيء هناك عن الكتب المقدسة الأخرى والأناجيل الأخرى.

ولكن عملية الاختلاف هذه تقوم تحت شعـارات مختلفة يتهَم بهـا أصحاب الملل لا الرسل وكتبة الأناجيل.

ولقـد أمست الحجة المسيحيـة في الدفـاع عن الإنجيل حجـة غير منطقية تقوم على مبدأ الإيمان.

وهي حجـة تقول: إن الشخص إمـا أن يؤمن بأن المسيـح هو مـا يقول به الإنجيـل وإما أن المسيـح كاذب منتحـل. وهي حجة واهيـة مخـالفة للصـواب لأننا نؤمن بـالمسيح ولكن لا نـرى سببـاً يـدفعنـا للإيمان بصدق ودقة الإنجيل المطلقة.

وهنا نختم هذا الفصل بذكر هذه الآيات القرآنيـة التي نرى أنهـا تحدد جميع ما اتجهنا إليه.

﴿وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشـاء ويعذب من يشـاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾. (المائدة: ١٨)

وكذلك:

﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم النـاس في المهد وكهـلاً وإذ علمتـك الكتـاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئـة الطير بـإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرىء الأكمـه والأبرص بـإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينـات فقـال الـذين كفـروا منهم إن هـذا إلا سحـر مبـين. وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالـوا آمنا واشهـد بأننـا مسلمون. وإذ قال الحواريـون يا عيسى ابن مـريم هل يستطيـع ربك أن ينـزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن

نـأكل منهـا وتطمئن قلوبنـا ونعلم أن قد صـدقتنا ونكـون عليها من الشـاهدين. قـال عيسى ابن مريم اللهم ربنـا أنزل علينـا مائـدة من السماء تكون لنـا عيداً لأولنـا وآخرنـا وآية منـك وارزقنا وأنت خـير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعـذبه عذاباً لا أعـذبه أحـداً من العالمـين. وإذ قال الله يـا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحـانك مـا يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته، فقـد علمته، تعلم مـا في نفسي ولا أعلم مـا في نفسك إنـك أنت علّام الغيـوب﴾. (المـائـدة: ١١٠ ـ ١١٦).

وكذلك:

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلـوه يقينا. بـل رفعه الله إليـه وكان الله عزيزاً حكيماً. وإن من أهل الكتـاب إلا ليؤمنن به، قبـل موتـه، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾. (النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩).

وكذلك:

﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولـد. ولم يكن له كفـواً أحد﴾. (الإخلاص: ١ ـ ٤).

وختاماً لهذا الفصل:

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفـر ما دون ذلـك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾. (النساء: ١١٦).

الفَصْلُ الرَّابِع

تَبْشِيرُ المَسِيحِ بِمُحَمَّد

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾، (الصف: ٦).

المسيح قد صدق لما بين يديه من التوراة كما بيّنا، فهل بشر المسيح برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد»؟

نعم لقد بشر المسيح عليه السلام برسول بعده اسمه «أحمد» أو «محمد» لأن الاسمين هما لنفس الشخص.

هل يوجد هذا التبشير في الإنجيل الذي بين أيدينا؟ لا. لا يوجد هذا التصريح بالاسم في الإنجيل الذي بين أيدينا، ولكن.... ولكن يوجد هذا التصريح في إنجيل «برنابا».

ولا تبحث أيها القارىء عن إنجيل «برنابا» في الكتاب المقدس الذي بين يديك. لأن إنجيل «برنابا» غير موجود هناك.

والسبب؟؟

السبب أن إنجيل «برنابا» لم يعثر عليه إلا في عهد متأخر جداً. لقد اكتشف في ايطاليا في أواخر القرن السادس عشر. ولماذا لم يضف إلى بقية الأناجيل الموجودة في العهد الجديد؟، لأن ذلك الإنجيل

«لبرنابا» يقوض المسيحية ويدعو كل مسيحي مؤمن لأن يتبع دين «محمد».

حيث إن إنجيل «برنابا» يقول: إن المسيح قد قال بأن عهد الله مع «ابراهيم» قد كان مع ابنه «إسماعيل» وأن «أمجد محمود» ينحدر من سلالة «إسماعيل» وليس من سلالة «إسحق» و «داود». وأن المسيح قد كرر التبشير «بمحمد».

وكذلك فإن إنجيل «برنابا»، الذي هو أحد تلاميذ المسيح، والذي رافق الرسول «بولس» في رحلاته ثم افترق عنه لخلاف بينهما كما ذكرنا في الفصل السابق، إنجيل «برنابا» يقول إن الرسول «بولس» قد وقع في أخطاء بعد ذلك وأتَاهَ المؤمنين المسيحيين عن الصواب.

ألا ترى يا سيدي القارىء أن هذين السببين كافيين لليهودية والمسيحية على السواء لرفض ذلك الإنجيل للتلميذ «برنابا»؟

هم رفضوه ونحن سنرفضه أيضاً، ليس لأننا لا نؤمن بأن هناك إنجيلاً «لبرنابا». بل على العكس إننا نؤمن أن «برنابا» كان له إنجيل وتبشير لا شك في ذلك، حيث إن ما وصلنا من تبشير تلاميذ المسيح ما هو إلا قليل من كثير. ولكننا سنرفض إنجيل «برنابا» الذي اكتشف في ايطاليا في ذلك الوقت المتأخر من تاريخ المسيحية لسببين:

الأول: إن علماء الآثار يقولون إن الأوراق التي كتب عليها ذلك الإنجيل والخط المستخدم لكتابته تعود إلى تاريخ متأخر جداً بعد المسيح. ورغم أننا لم نر ذلك التقرير العلمي ولم نقم بفحصه إلا أننا سنقبل بما يقولون.

كما أن علماء المسيحية يقولون إن كاتب ذلك الإنجيل كان راهباً مسيحياً كتبه بخط يده وهو ينوي اعتناق الإسلام، وقد فعل ذلك بعد أن خط ما أسماه بإنجيل «برنابا»... وسوف نصدقهم أيضاً.

أما السبب الثاني في رفضنا لذلك الإنجيل فهو لا يعود للشكوك التي ألقاها العلم وعلماء المسيحية حوله. وإنما يعود لعدم حاجتنا إلى

ذلك الإنجيل لإثبات تنبؤ المسيح عليه السلام «بمحمد».

وسوف نقتصر في بحثنا عن تبشير المسيح «بمحمد»، على ما هو بين أيدينا من الكتاب المقدس الذي يتداوله الأخوة المسيحيون ويقدسونه.

وعملية البحث هذه لن تقل مشقة عن بحثنا عن حقيقة موت المسيح على الصليب. فلنبدأ من البداية.

كان لليهود سبب في الشك بدعوى عيسى عليه السلام بأنه المسيح المنتظر، بالإضافة لتلك الأسباب التي ذكرناها في الفصل السابق.

وأما هذا السبب. فهو كما يروي الإنجيل:

«وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً [11] فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء [12] ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم [13] حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان».

(متى ص ١٧: ١٠ ـ ١٢)

ورغم قلة فهم تلاميذ المسيح التي تعودنا عليها، ورغم ضيق أفقهم ومحدودية إدراكهم التي عانى منها المسيح عليه السلام. إلا أننا نتعاطف معهم هذه المرة في فهمهم لما قال المسيح. وذلك أن المسيح نفسه قد قال عن «يوحنا المعمدان»:

«الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان».

(متى ص ١١: ١١)

فإذا كان «يوحنا المعمدان» أعظم من ولد من النساء، وذلك يشمل المسيح يسوع نفسه لأنه ولد لإمرأة من النساء، فإننا لا نلوم أولئك التلاميذ على فهمهم بأن «إيليا» هو «يوحنا المعمدان»، و «إيليا» هذا هو نبي يقول عنه العهد القديم بأنه يجيء قبل يوم الرب. وذلك على لسان الرب:

«هـأنذا أرسـل إليكم إيليا النبي قبـل مجيء يـوم الـرب اليـوم العظيم والمخوف [٦] فيرد قلب الآباء على الأبنـاء وقلب الأبناء عـلى آبائهم لئـلا آتي وأضرب الأرض بلعن».

(ملاخي ص ٤: ٥ ـ ٦)

إذاً فهناك نبي اسمه «إيليـا» يأتي لـيرد قلوب الآبـاء على الأبنـاء وقلوب الأبناء على الآباء، وهذا فعل الأنبيـاء، وهو مخـالف لما يـدّعيه كتبة الإنجيل لقول عيسى عليه السلام:

«فـإني جئت لأفرق الإنسـان ضد أبيـه والابنة ضـد أمهـا والكنـة ضـد حماتها [٣٦] وأعداء الإنسان أهل بيته».

(متى ص ١٠: ٣٥ ـ ٣٦)

ولكن ترى هل «يوحنا المعمدان» كان هو النبي «إيليا»؟ فلنسمع ما يقول الإنـجيل:

«وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهـود من أورشليم كهنة ولاويـين ليسـألوه من أنت [٢٠] فـاعتـرف ولم ينكـر وأقـر إني لست أنـا المسيـح [٢١] فسألوه إذاً ماذا. إيليا أنت. فقال لست أنا. النّبيّ أنت. فأجاب لا».

(يوحنا ص ١: ١٩ ـ ٢١)

إذن «يوحنا المعمدان» ليس المسيح. لأن المسيـح كان عيسى عليـه السلام. و «يوحنا المعمدان» لم يكن «إيليا». ويوحنا المعمدان لم يكن «النبي».

ترى أي نبي يسأل اليهود عنه؟ إنه النبي الذي ما بعده نبي، فإن كان «إيليا» يـأتي قبل المسيـح، وهو قـد فعل. فـإن المسيح يجب أن يأتي قبل ذلك النبي. وذلك النبي يأتي بعد المسيح. وذلك النبي الذي مـا بعده نبي مـذكور في كتب اليهـود. وفي العهد القـديم من الكتـاب المقدس للأخوة المسيحيين. إنه مكتوب في الإنجيل.

يقول العهد القديم على لسان الرب جلّ وعلا وهو يخاطب موسى:

«اقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

(تثنية ص ١٨: ١٨)

ذلك هو النبي الذي كان اليهود يسألون «يوحنا المعمدان» عنه. فلننظر لهذا النبي.

إنه لم يكن قد أتى حتى وقت المسيح. وإلا ما سأل اليهود «يوحنا المعمدان» إن كان هو ذلك النبي، فمن هو ذلك النبي؟ المسيحيون يقولون إن المسيح نفسه «يسوع ابن مريم»، ودليلهم على ذلك أنه مثل «موسى»، «فموسى» نبي وكذلك المسيح، و «موسى» يهودي وكذلك المسيح. ويهودي هنا يقصد بها من سلالة «يهوذا بن يعقوب» ولكن هاتين الصفتين تنطبقان على جميع الأنبياء الذين أتوا بعد «موسى» وقبل المسيح.

فإن أصرَّ الأخوة المسيحيون على أن ذلك النبي هو المسيح بسبب ذلك التشابه. فنقول أما كون «موسى» نبياً فهذا أمر لا شك فيه. أما أن يقول المسيحيون إن «يسوع» هو نبي فهذا مخالف لمعتقدهم بأن يسوع هو ابن الله. فإن قالوا هو ابن الله وهو نبي كذلك قلنا إنه قد اختلف عن موسى بالزيادة.

أما قولهم بأن الاثنين يهوديا الأصل. فنقول إننا سوف نرد على هذا بعد قليل لأننا نود أن نبين جهة الاختلاف بين الاثنين وجهة التشابه بين «موسى» عليه السلام وبين «محمد» ﷺ.

«موسى» و «محمد» لهما أم وأب بشريان معروفان، أما المسيح فلا أب بشري له. «موسى» و «محمد» قد تزوجا وأنجبا ذرية، أما المسيح فإنه لم يتزوج.

«موسى» و «محمد» قد تبعهما شعباهما وقوماهما وحكم كل منهما شعبه، أما المسيح فإنه لم يتبعه قومه اليهود ولم يملّكوه عليهم.

«موسى» و «محمد» قد أتيا بشريعة ونظام، أما المسيح فإنه قبل الشريعة اليهودية مع بعض التعديل.

«موسى» و «محمد» لم يقوما من الموت، أما المسيح فإنه قد قام من الأموات كما يقول الإنجيل!

«موسى» و «محمد» لم يصعدا إلى السماء بعد موتهما، أما المسيح فإنه قد ارتفع إلى السماء كما يقول الإنجيل.

ترى أيهما مثل «موسى» اليسوع أم «محمد»؟

إنه «محمد» بلا شك. وذلك واضح لكل ذي عين وعقل. فإن قال البعض إن تشابه «محمد» مع «موسى» واختلافهما عن المسيح لا يعني أن الشبه مقتصر على «محمد». بل يشمل أنبياء آخرين.

نقول: نعم.

ولكننا نسأل عن نبي لم يكن قد أتى إلى وقت «يوحنا المعمدان» والمسيح. وإلا ما سأل اليهود «يوحنا المعمدان» عنه. فإن قال البعض ولكن ذلك النبي قد يكون آخر قد أتى فلم يعرفه اليهود تماماً كما لم يعرفوا «إيليا».

فنقول هنا نقف عند نقطة كون المسيح يهودياً وموسى يهودياً ومن ثم فهو «مثل موسى» لأن ذلك النص من العهد القديم لا يقول إن ذلك النبي يهودي. وإنما قال إنه مثل «موسى» والشبه ليس في الأصل والعرق. وإنما في أشياء أخرى. والدليل على ذلك أن النص في الواقع يقول إن ذلك النبي ليس يهودياً. كيف؟

لأنه لا يقول: «أقيم لهم نبياً من وسطهم» بل يقول: «أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم»(*). فمن هم أخوة اليهود؟ إن أقرب الناس والشعوب بأن تدعى أخوة اليهود هم العرب.

(*) هذه حرفية النص في جميع الأناجيل التي قرأت. إلا أن الإنجيل الجديد المسمى إنجيل الأخبار السارة فإن ناشريه قد غيروا النص ـ كالعادة ـ فأصبح يقول «من وسطهم».

لأن ابراهيم عليه السلام هو جد اليهود والعرب. وابناه الأخـوان «اسماعيل» و «إسحق» هما جدّا العرب واليهود عـلى التوالي. ومن ثم فإن ذلك النبي ليس من اليهود بل من أقـرب الشعوب إليهم. ألا وهم العرب. وهنا تثور ثائرة اليهود الذين يعتقدون بـأن الأنبياء المـرسلين مقتصرون عـلى الشعب اليهودي فقط. وهـذا الادعـاء والاعتقـاد وإن كان صحيحاً نوعاً ما إلا أنه ليس صحيحاً تماماً.

فـرغم أن جميع الأنبيـاء من أيام «يعقـوب بـن إسحق» إلى أيـام المسيح كانوا يهوداً. إلا أن «محمـد» هو الحـالة الخـاصة التي تنفـرد عن تلك القاعدة شبه المعترف بها، ونحن نقول شبه المعتـرف بها لأننـا لا نعلم إن كان الله سبحانه وتعالى قد أرسل أنبياء ورسلاً في أمم أخرى بعيدة عن أرض اليهود وأرض العرب.

ونحن لا نرى الله ذا العدل يقصر إرسـال الأنبياء عـلى أمم الشرق فقط. ولكننا بغير دليل مادي على ذلك، ولكن الدليل المـادي عندنـا هو أن «محمـد» العربي هـو «النبي» الذي تحـدث عنه الكتـاب المقدس، وسـوف نثبت ذلك، ولكننـا نقف عند نقطـة مهمـة، وهي في كـون أن النبوة مقتصرة على بني إسرائيل. اليهود يؤمنون بأن النبـوة مقتصرة عليهم لأن العهد القديم يقول:

«وقال ابرهيـم لله ليت إسمعيل يعيش أمامك [١٩] فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهـدي معه عهـداً أبديـاً لنسله من بعده».

(تكوين ص ١٧: ١٨ ـ ١٩)

هذا الكلام يتكـرر بين صفحـات العهد القـديم، ولكننا نؤمن بأنه كلام محرف ومضاف بقصد وسبق إصرار، وهذا ليس بالجـديد عـلى اليهود وكهنتهم، كما أنه كلام واضح المغالطـة والتباين مـع نصوص العهد القديم، ونحن نسأل لماذا يقصـر الله النبـوة على «إسحق» دون «إسماعيل»؟

فيأتي ذلك الجواب الأجوف. لأن «إسماعيل» ابن جارية. وإسحق ابن الزوجة الحرة.

فنقول حسناً. ولكن ما ذنب الأخوة الآخرين. وهم أبناء إبراهيم كذلك. من زوجة لا جارية.

«وعاد ابرهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة [٢] فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا».

(تكوين ص ٢٥: ١ ـ ٢)

ونعرف رد اليهود مسبقاً. لأن «إسحق» كان الأكبر.

فنقول: إن «إسماعيل» هو الابن البكر الذي لا يمكن أن تضيع حقوق بكوريته كما يقول الكتاب المقدس.

«إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة [١٦] فيقوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر [١٧] بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية».

(تثنية ص ٢١: ١٥ ـ ١٧)

و «إسماعيل» هو الابن البكر الذي لا يحل لأبيه أن يحرمه «حق البكوريَّة». فإن كان هذا «كلام الله» وأمره، فكيف يخالف الله ذلك الأمر ويعطي «حق البكورية» «لإسحق». ويحرم «إسماعيل» منه. و «إسماعيل» ليس هو البكر فقط وليس هو فقط أكبر من «إسحق» بثلاث عشرة سنة على الأقل، كما بينا في أول فصول هذا الكتاب بل إن «إسماعيل» لم يكن ابن زوجة مكروهة. و «هاجر» إن كانت جارية «لسارة» قبل زواجها من إبراهيم. فإنها قد أصبحت حرة بزواجها من «إبراهيم». لأنه لا يعقل أو يصح أن نطلق اسم جارية أو عبدة على امرأة هي زوجة نبي وأم نبي.

و «سارة» لم تعط «هاجر» إلى إبراهيم كواحدة من السراري. بل أعطتها «زوجة» لإبراهيم، كما بينا في الفصل الأول.

أضف إلى ذلك ما بيناه في الفصل السابق من أن «هاجر» قد كلمها الرب أو ملاك الرب مرتين مؤازراً وواعداً. في حين أنه لم يكلم «سارة» إلا «مرة واحدة» كان فيها ناهراً لها على كذبها.

ليس هناك حجة لأي يهودي في حرمان «إسماعيل» من حقه الذي اشترعه الله، أوليس «إسماعيل» هو أول من ختن في لحم غرلته تثبيتاً وتوثيقاً لعهد الله مع إبراهيم؟ أليس ذلك ما يقوله العهد القديم من الكتاب المقدس؟ ترى ماذا قال العهد القديم أكثر في «إسماعيل» وأبنائه؟

لنتابع بعض التفاصيل التي يذكرها العهد القديم عن «إسماعيل».

«وأما اسمعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة».

(تكوين ص ١٧: ٢٠)

فهل حدث أن أنجب «إسماعيل» اثني عشر ابناً؟؟، وهذا عدد كفيل بأن يخلق من نسله «أمة كبيرة».

«وهذه أسماء بني اسمعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. نبايوت بكر اسمعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام [١٤] ومشماع ودومة ومسّا [١٥] وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة».

(تكوين ص ٢٥: ١٢ ـ ١٥)

اثنا عشر ابناً كما وعد الله.

(وهنا ركز أيها القارىء على ابن إسماعيل الثاني «قيدار» لأنه في غاية الأهمية. وسوف نأتي عليه قريباً).

ونحن نود أن نسأل العهد القديم عن مكان استقرار «إسماعيل» وأبنائه حتى نرى موقع تلك «الأمة الكبيرة» التي وعد الله بها ووهبه أصولها الاثني عشر ابناً.

«وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور...».

(تكوين ص ٢٥: ١٨)

إذن فأبناء إسماعيل قد سكنوا حوله وقربه. فأين كان يسكن «إسماعيل»؟ لنقرأ الكتاب المقدس.

«فبكر ابرهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع».

(تكوين ص ٢١: ١٤)

فماذا حدث؟

«فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. [١٨] قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. [١٩] وفتح الله عينيها فابصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. [٢٠] وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. [٢١] وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر».

(تكوين ص ٢١: ١٧ ـ ٢١)

إذن «فإسماعيل» قد ربي وعاش في البرية. وهي قد تكون برية «بئر سبع» مما يعني أنها جزء من «فاران» أو قد تكون برية «فاران» برية مختلفة انتقل لها «إسماعيل» لما كبر، ومن ثم فإن أبناءه قد سكنوا من حوله. أي قرب «فاران» فأين تقع «فاران»؟

خرائط الكتاب المقدس توضح أن «فاران» هي منطقة في صحراء «سيناء». فهل هذا صحيح؟

إن صح هذا الموقع «لفاران» وإنه جزء من «سيناء» فلنا أن نسأل: ترى أي أمة كبيرة تلك التي خرجت من «سيناء» أو عاشت بها؟

لا يذكر التاريخ أو علم الآثار أن هناك «أمة كبيرة» عاشت في صحراء «سيناء». فهل نكث الله بوعده «لإبراهيم» و «هاجر»؟ حاشى لله.

ولكن الخطأ الذي حدث هو في أن اليهود قد اقتصروا في تحديد «فاران» بتلك المنطقة التي تقع في سيناء. إن كانت هناك فعلاً منطقة

بذلك الاسم في ذلك العصر. وهم لم ينتبهوا أبداً إلى أن جبال الحجاز تسمى «فاران» أيضاً. ومن الحجاز قد خرجت «أمة كبـيرة» لا شك في ذلك.

إنها أمة العرب التي كان اسماعيل أكبر أصولها. ومن نسله كـان «قيدار» وكان «بنايوت» الذي جاء من نسله «محمد».

وهكذا فإن «فاران» جبال الحجاز تثبت تحقيق وعد الله «لإبراهيم» في «إسماعيل» ابنه البكر من «هاجر».

أما «فاران» التوراتية التي يقولون إنهـا كانت في سينـاء فهي، إن وجدت لا تبرهن تحقيق وعد الله «لإبراهيم».

إن «إسماعيل» وكما يثبت التاريخ قد سكن في الحجـاز عند مكـة. وفيها كان له أبناء وأحفاد وأحفاد وأحفاد، شكلوا أمـة كبيرة. وأهـل مكة كانوا أسياد ورؤساء العرب. تماماً كمـا وعد الله «إبـراهيم» نبيه في ابنه البكر «إسماعيل» عليهما السلام.

والآن لنعد إلى نبوءات العهد القديم.

قلنا لك أيهـا القارىء أن تتـذكر اسم «قيـدار» ابن «إسماعيـل». أتعرف لماذا؟ لأن الكتاب المقدس يأتي بنبوءة تقول:

«أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحـوتات [٩] هـوذا الأوليات قـد أتت والحديثـات أنا مخبـر بهـا. قبـل أن تنبت أعلمكم بها [١٠] غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحـدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها [١١] لترفع البرية ومدنهـا صوتـها الديـار التي سكنهـا قيدار. لتتـرنم سكـان سـالـع. من رؤوس الجبـال ليهتفـوا [١٢] ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر».

(اشعياء ص ٤٢: ٨ ـ ١٢)

ترى لماذا الديار التي سكنها «قيدار بـن إسماعيل»؟

إن كانت تلك الديار قـرب «فاران» التي في سينـاء. فماذا يجعلهـا

تمجـد الله وتهتف له؟ هـل أتاهـا رسول أو نبي يمجـد الله؟ وإن كان فمن هو؟ لا أحد.

وإن كانت «فاران» الحجازية. فمـاذا جعلها تمجـد الله وتهتف له؟ هل أتاها رسول أو نبي يمجّد الله؟ وإن كان فمن هو؟

نعم أتاها رسـول نبي مجّد الله وسبّـح باسمـه وهتف به إنـه كان «محمد» عليه صلاة الله وسلامه.

ولقد كان تسبيحه «أغنية جديدة» في تمجيد الرب. أغنية لم يسمع بها الناس قبلاً.

وهي تصـدح خمس مـرات في كـل يـوم. ويتنغم بهـا مغنـوهـا في خشوع وتجلٍ.

إنها تقول: «الله أكبر الله أكبر. أشهد أن لا إله إلّا الله. أشهـد أن محمداً رسول الله. حيَّ عـلى الصلاة. حيَّ عـلى الفلاح. الله أكبـر الله أكبـر. لا إله إلا الله» فهـل سمع العـالم والبشر قبـل «محمـد» هـذه «الأغنية»؟

وهل سمع العالم والبشر أجمل من هـذا «الهتاف» لمجـد الله. إنها أتت من «ديـار قيدار» كمـا يقول الكتـاب المقدس. وكـان محمد هـو مطلقها لتسمعها «ديار قيدار» وتسمعهـا البريـة والجبال. وتسمعهـا سكان الجزائر التي في البحار وهي أغنية تسبح الله في أقصى الأرض.

فهل يكتفي أهل الكتاب المقدس بهذا؟

كلا، ولا نحن نكتفي بهذه الشـواهد والـدلالات. فالكتـاب المقدس زاخر بها. وما على الباحث إلا أن يقرأ وهو مفتّح العين والعقل.

ماذا يقول الكتاب المقدس عن ذلك النبي الذي ليس هـو من نسل «إسحق».

لنقرأ ماذا يقول داود في مزاميره:

«قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعـداءك موطئـاً لقدميـك ؟

يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلَّط في وسط أعدائك».

(مزامير ص ١١٠: ١ ـ ٢)

تـرى من هو ذاك الـذي يدعـوه «داود» بـ «ربي». والذي قـال له الرب اجلس عن يميني؟

الإنجيـل يقول إن يسـوع المسيح سـوف يكون جـالساً عـلى يمين الرب.

فمـاذا يقـول اليسـوع نفسـه عن هـذا الـذي يسميـه «داود» بـ «ربي». والمسيـح هو آخـر نبي من نسل «إسحق». لنقـرأ ما قـاله يسوع في صفحات العهد الجديد.

«وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع [٤٢] قائـلاً ماذا تظنـون في المسيـح. ابن من هو. قـالوا لـه ابن داود [٤٣] قـال لهم فكيف يـدعـوه داود بالروح رباً قائـلاً [٤٤] قال الـرب لربي اجلس عن يميني حتى أضـع أعداءك مـوطئاً لقـدميك [٤٥] فـإن كـان داود يـدعوه ربـاً فكيف يكـون ابنـه [٤٦] فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة».

(متى ص ٢٢: ٤١ ـ ٤٦)

أبعد هذه الحجة حجة؟ أم بعد المسيح شاهد؟ وهـل تحتاج هـذه الحجة للمداولة؟

والـذي لا شـك فيـه أن سؤال يسـوع لم يكن «مـاذا تظنـون في المسيح؟» لأنه كان يقول لهم إنه هو المسيـح، ونحن نعتقد أن سؤالـه كان «ماذا تظنون في ذلك النبي؟» ولكن رواة وكتبة التبشير اليسـوعي قد حرّفوا كلمات المسيح. ولكن المهم في الأمر أن حجة المسيح تعتمـد المنطق والعلم الإلٰهي.

وإن كان الفريسيـون وهم كهنة اليهـود، لم يستطيعوا أن يجـدوا رداً على هذه الحجة. فهل هناك يهودي أو مسيحي يستطيع اليوم أن يأتينا بحجة مضادة لحجة ومنطق المسيح عليه السلام؟

نعم هناك من آتانا بمنطق أعوج وتفسـير خاطىء منـذ عهد قـديم استمعوا له في العهد الجديد.

«وإذا ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي انتم الآن تبصرونه وتسمعونه؛ [٣٤] لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول قال الرب لربي اجلس عن يميني؛ [٣٥] حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؛ [٣٦] فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً».

(أعمال ص ٢: ٣٣ ـ ٣٦)

وهكذا قام أحد تلاميذ المسيح «العباقرة» فاستنتج أن ذلك الذي سماه «داود» بـ «ربي» إنما هو يسوع المسيح. وكأنما يسوع ليس من أبناء «داود»، في حين أنه لا شك إن المسيح من نسله. أولاً: لأن «مريم البتول» من عائلة تمتد جذورها إلى «داود».

وثانياً: إن إنجيل «متى» وإنجيل «لوقا» مهما اختلفا في المسيح فهما يتفقان على أن المسيح يرجع إلى «داود» عليه السلام.

ألا ترى أيها القارىء متاهات كتبة الأناجيل وقلة إدراكهم تتكرر مرة أخرى بعد مرات ومرات؟

إن الذي ناداه وسماه «داود» بـ «ربي» ليس من نسل «داود». ولا هو من أجداد «داود» وإلا لعرف به الفريسيون.

إنه شخص آخر لا ينحدر من نسل «داود» و «إسحق» إنه ينحدر من نسل «إسماعيل» عليه السلام.

ويجب أن لا يقول اليهود: ليس هناك نبي من غير نسل «إسحق» لأن العهد القديم الذي هو كتابهم ينص على غير ما يقولون.

«ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام [٢] اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب. واصغوا إلى اسرائيل أبيكم».

(تكوين ص ٤٩: ١ ـ ٢)

فماذا أخبرهم أبوهم؟

لقد بيّن سوءة وأخطاء أبنائه «رأوبين» و «شمعون» و «لاوي»، ثم وعد ابنه «يهوذا» بكل الخير والمجد.

«يهوذا إياك يحمد أخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك ؟ يهوذا جرو أسد. من فريسة صعدت يا ابني. جثا وربض كأسدٍ وكلبوةٍ. من ينهضه».

(تكوين ص ٤٩: ٨ ـ ٩)

ترى من ينهضه؟ من ينهض «يهوذا»؟

«لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب».

(تكوين ص ٤٩: ١٠)

لقد صدق «يعقوب» عليه السلام. لقد ظل «القضيب والمشترع» حكراً على «يهوذا» وبنيه من بعده حتى أتى «شيلون» وكان له خضوع شعوب.

فمن هو «شيلون»؟ والذي يعني «السلام». بالعربية.

لا يمكن أن يكون «شيلون» أو السلام هذا من نسل «يهوذا»، وإلا لما كان «أزال» القضيب والمشترع من بين رجلي «يهوذا» ونسله.

هذا هو «يعقوب ابن إسحق» يعلنها لليهود في كتابهم المقدس قائلاً: إن ما هو معطىً ليهوذا جدهم، والذي أخذوا اسمه ليتسموا به، سوف يزول متى أتى «شيلون» أو «السلام» الذي يكون له خضوع شعوب.

فمن هو «شيلون» أو «السلام» هذا؟

إنه نفس الذي سماه داود بـ «ربي»، إنه شخص واحد لا غيره ولا يتكرر سواه.

لأنه الوحيد من خارج نسل يهوذا ومن غير نسل «داود» وهو بنفسه ذلك النبي الذي قال عنه الله إنه مثل «موسى» ويخرج «من وسط» أخوة اليهود. إنه «محمد» عليه الصلاة والسلام. فهل هناك غيره؟

إن كان هناك غيره فسموه لنا وأعطونا خبره.

إنه ما كان قبل المسيح. ولا كان هو المسيح. لأن المسيح من

سلالة «يهوذا» وهو يهوذي كما يقول ويكرر الكتاب المقدس. لأن المسيح من أبناء «داود» عن طريق أمه، فلا يجوز «لداود» أن يسمي أحد أحفاده بـ «ربي» فإن لم يكن «شيلون» أو «السلام» الذي يسميه «داود» بـ «ربي»، فإن لم يكن يهودياً. وإن لم يكن قد جاء قبل المسيح ولا كان هو المسيح فمن أتى بعد المسيح ولم يكن يهودياً وقال إني رسول الله؟

من ذاك الذي أتى بعد المسيح وفي يده تشريع قد زال من «يهوذا» ونسله؟ أهناك غير «محمد»؟

هذا ليس نهاية المطاف مع تبشير الإنجيل والمسيح «بمحمد». هناك ما هو أكثر وضوحاً وأخطر دلالة.

ولنقرأ ما يقول العهد القديم.

«أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة».

(أشعياء ص ٢٩: ١٢)

وقبل الدخول في هذا النص يجب أن نلفت نظر القارىء إلى أن الترجمة الحقيقية لهذا النص في الكتب الأوروبية هي:

«ويعطى الكتاب إلى من هو أمي ويقال له اقرأ هذا فيقول ما أنا بمتعلم». ورغم قرب الترجمتين إلا أن الترجمة الأدق تدق أجراساً في ذاكرة كل من قرأ عن نزول الوحي على «محمد».

لقد أتى «جبريل» إلى «محمد» في غار حراء فقال له: اقرأ. فأجاب «محمد» ما أنا بقارىء.

لأن محمداً كان رجلاً أمياً. ورهبة الموقف بظهور جبريل إليه جعلته لا يفرق بين المقصودين «بإقرأ».

ففعل الأمر في «اقرأ» إما أنه يعني «إقرأ» حروفاً مكتوبة وإما يعني «أعدَ» ما تسمع وقل ما تحفظ.

ظن «محمد» أن ما هو مطلوب منه كان قراءة حروف، فأجاب بالحق الذي يعرفه في نفسه «ما أنا بقارئ».

وهذا الجواب لا يعني أنني لا أريد أن أقرأ ما هو حروف أو أعيد ما أسمع وأقول ما يتلى عليه. بل إنه يعني بـ «ما أنا بقارئ» أي أنني لا أستطيع القراءة. لأني لم أتعلم القراءة.

فماذا حدث له؟

فيشده «جبريل» ويكررها ثانية «اقرأ» ويجيبه «محمد» ما أنا بقارئ فيشده جبريل إليه ويقول له: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾. (العلق: ١ ـ ٥).

ففهم محمد ما قصده «جبريل» عندما أمره وقال «اقرأ».

فقرأ وأعاد ما قد سمعه من كلام الله الذي نقله «جبريل».

فهل ترى أيها القارئ تطابق هذه الحادثة التي يعرفها كل مسلم بالغ وذلك النص الكتابي الذي لم يسمع به إلا من ندر من المسلمين؟

هل وضح لك التوافق بين نبوءة الكتاب المقدس بعهده القديم وتلك القصة الإسلامية التاريخية؟ ولكن هذا الوضوح لا يكفي. فإليك الزيادة التي استخرجناها من صفحات العهد القديم.

«أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

(تثنية ص ١٨: ١٨)

أما وقد بينا أوجه الاختلاف بين «موسى» و «المسيح» بما يثبت أن ذلك النبي لا يمكن أن يكون المسيح. لأن المسيح ليس «مثل» موسى، كما قد بينا أن أوجه الشبه بين «محمد» و «موسى» تجعل «محمداً» في مكانة تسمح لنا بأن نقول إنه ذلك النبي، لأن «محمداً» مثل «موسى» وكنا قد قلنا إن أوجه الشبه تلك قد تنطبق على غير محمد من أنبياء.

ولكننا لو دققنا النظر في النص فإننا نجد ما يثبت أن ذلك النبي هو «محمد» وليس ذلك لأوجه الشبه بينه وبين «موسى» فقط. بل لأن «محمداً» كان لا يتكلم إلا بما هو موضوع في فمه من كلام.

فكل كتاب القرآن هو كلام تكلم به «محمد» قائلاً إنه ما قد وضعه «جبريل» في فمه. ووضع الكلام بالفم لا يعني سوى إلقائه على مستمع حتى يحفظه عن ظهر قلب فيعيد إلقاءه على مستمعين آخرين.

وهل كان «جبريل» يفعل شيئاً سوى وضع الكلام الرباني في فم «محمد»؟

وهل كان محمد يتكلم بغير ما يسمع من «جبريل» من كلام القرآن الذي هو كلام الله؟ إن كلام الله الذي وضعه في فم «محمد» قد تكلم به «محمد» وسجله المسلمون في كتاب واحد هو القرآن.

أما ما كان يتكلم به «محمد» من كلام غير الذي يوضع في فمه، فهو كلام مسجل أيضاً ولكنه ليس في كتاب القرآن. بل في كتب الحديث والسنة.

ترى هل هناك «نبي» آخر من أنبياء إسرائيل يوجد له كتاب يحوي ما وضع في فمه فقط؟ كلا. فالعهد القديم والعهد الجديد كما أثبتنا سابقاً ما هو إلا كلام الأنبياء مختلطاً بكلام البشر وهو يحوي فيما يحويه كلام الله.

فإن تحجج أحد بأن ما هو مكتوب في الكتاب المقدس إنما هو كلام الله قد أوحاه للأنبياء وللمختارين من قديسين كتبوه بين صفحات الكتاب المقدس.

قلنا قد يجوز. ولكن هذا لا يعطينا كتاباً خالصاً لكلام الله وحده.

ونحن رغم اعتقادنا بأن الأحاديث الصحيحة التي رويت عن «محمد» هي كلام «لمحمد» مدعوم بعلم ومعرفة إلهية. إلا أنه كلام

«محمد» وحروفه وجمله هي حروف وجمل «محمد» وليست كلام الله الخالص.

وهذا وحده لا يكفينا ولا نكتفي به. بل إننا سنواصل قراءة ما تلى ذلك النص من سفر «تثنية».

«ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه».

(تثنية ص ١٨: ١٩)

«كلامي الذي يتكلم به باسمي» يا لها من جملة إلٰهية.

افتح القرآن أيها القارىء واقرأ به ما قال «محمد» من كلام وضعه في فمه ملاك الرب.

ألا تجد أن كل سورة فيه تبدأ بجملة لا تتغير: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كل سورة في القرآن تبدأ بتلك الجملة.

﴿باسم الله الرحمن الرحيم﴾ ترى أي سفر أو إصحاح في العهد القديم أو العهد الجديد يبدأ بتلك الجملة أو ما شابهها في معناها:

إن كل إنجيل يبدأ بجملة مشهورة:«ACCORDING TO»، التي تعني نسبة إلى فلان أو فلان من الأنبياء أو الرسل أو التلاميذ.

وحتى هذا الأمر لم يتفق عليه حتى الآن في اليهودية أو المسيحية. العهد القديم يقول لنا إن النبي الذي سيبعث «مثل موسى لا يتكلم سوى بكلام الله. وكلام الله لا ينطق به إلا باسم الله».

فلا نجد سفراً واحداً في العهدين القديم والجديد يبدأ أو يشير إلى أنه كلام الله. ولكننا نجد ذلك في قرآن «محمد».

نجد اسم الله يبدأ كل سورة من الكتاب الذي دفع إلى «محمد» وقيل له «اقرأ» فقال ما أنا «بقارىء». ما أنا بمتعلم. لا أعرف القراءة والكتابة.

هل اكتفى القارىء بهذه الأدلة والبراهين؟

إذا كـان القارىء اكتفى فنحن لم نكتف. وليسمـح لنـا القـارىء بإعطائه براهين أكثر.

«وحي من جهة بلاد العـرب. في الوعـر في بلاد العـرب تبيتين يـا قوافـل الددانيين[14] هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهـارب بخبزه[15] فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلـول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب[16] فإنه هكذا قال لي السيـد في مدّة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيـدار[17] وبقية عـدد قسي أبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم».

(اشعياء ص ٢١: ١٣ ـ ١٧)

فالوحي من جهة بلاد العرب. ترى أي وحي؟ وهل كان هناك وحي من جهة بلاد العرب سوى الوحي الذي قـال به «محمـد» و «ديدان» أليست هي أرض العرب في الحجاز كما تقول خرائط الكتاب المقـدس وتيماء هل شاهدت رسولاً غير «محمد»؟

أليست «تيمـاء» هي بـلاد العـرب من الحجـاز؟ أليست هـذه هي الأرض التي يقول فيها العهد القديم:

«الله جـاء من تيمـان والقـدوس من جبـل فـاران. سـلاه. جـلالـه غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه».

(حبقوق ص ٣: ٣)

و «سلاه» أليست هي «شيلون» التي تعني السلام باللغة العربية؟ أوليس «ســلاه» أو «شيلـون» همـا ذلـك الشخص الـذي تنبـأ بـه «يعقوب»؟ أليس هو «محمد».

و «التيماء» هي الأرض الصحراء القفـر. كما انهـا اسم موضـع. كما تقول قواميس اللغة العربية. ونعتقد أن ذلك المـوضع هـو مدينـة «يثرب» لأنها المدينة التي فر إليها محمد «هاربـاً» من أهل مكـة أبناء عمومته ونسل «قيدار». ولقد «وافت» «تيماء» وسكانها ذلـك «الهارب» بخبره كما أمر الله في العهد القديم. فأعطتـه الأمان والطعـام والملاذ الذي انطلق منه مجده وتوسع دينه وانتصاره.

ونعود للنص الذي سبق من «أشعياء» لنتابع التفسير فقد رأينا كيف أن الوحي يأتي من جهة بلاد العرب ومن أرض «تيماء» أو «تيمان» أو «يثرب».

أما نهاية مجد «قيدار» فهو نهاية مجد العرب الذين سادوا الجاهلية وحاربوا محمداً ودعوته لما ظهر بينهم.

«فمحمد» ليس من نسل «قيدار ابن إسماعيل» بل من نسل أخيه «بنايوت بن إسماعيل»(*). وكلا الأخوين كان يسكن «مكة» في «فاران» الحجازية.

ولقد كان نسل «قيدار» أكثر عدداً وعدة من نسل غيره من أخوانه. فطغت شهرتهم على شهرة أبناء عمومتهم. إلا أن تلك الفروع كانت تنبع من أصل واحد وهو «إسماعيل» عليه السلام. «إسماعيل» الابن البكر «لإبراهيم» الذي أتى «محمد» من نسله.

فهل نكتفي بهذا القدر من نبوءات العهد القديم «بمحمد» رسول الله ونبيه. نعم نكتفي.

ولكن يجب علينا التوقف عند سفر «ملاخي» وسفر «دانيال» لأهميتهما في بحثنا عن تبشير المسيح عليه السلام «بمحمد» ﷺ.

أما سفر «ملاخي» فيقول:

«هأنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغته إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود».

(ملاخي ص ٣: ١)

من هو ملاك الرب هذا؟ يسوع الناصري يخبرنا بالجواب:

«لكن ماذا خرجتم لتنظروا. أنبياً. نعم أقول لكم وأفضل من نبي [١٠] فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك

(*) «بنايوت» هو «نابت بن اسماعيل» بالعربية و «قيدار» هو «قيدر» بالعربية. (سيرة ابن هشام).

قدامك![1] الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان».

(متى ص ١١: ٩ ـ ١١)

إذن «يوحنا المعمدان» هو ذلك الملاك، ولكن من هو السيد الذي يأتي هيكله «بغتة» ويسر به الناس؟

الإنجيل يقول إنه المسيح عليه السلام. ونسأل كيف ذلك؟ وكيف ينطبق ذلك النص على المسيح؟ هل المسيح قد جاء إلى الهيكل بغتة؟

كلا. فهو منذ الصغر متعود على زيارة الهيكل. واستمر في زياراته ثم طارده اليهود وأبعدوه عن الهيكل، ولكن «محمداً» هو الذي أتى إلى الهيكل بغتة. وذلك في ليلة الإسراء التي ينص عليها القرآن وتشرحها كتب السنة. ثم إن المسيح لو كان ذلك السيد الذي يزور الهيكل بغتةً وكان «يوحنا المعمدان» هو ذلك الملاك الذي يهيء الطريق أمام ذلك السيد.

أفما كان أولى الناس بأن يؤمن بالمسيح هو «يوحنا المعمدان»؟ فهل آمن «يوحنا المعمدان» بالمسيح وتبعه وتتلمذ على يديه.

كلا. فإن «يوحنا المعمدان» رغم قناعته برسالة المسيح وبصدق دعواه لم يكن يعرف إن كان المسيح هو ذلك النبي الذي كان يمهد طريقه وينتظره أم هو آخر.

«أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه[3] وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر».

(متى ص ١٠: ٢ ـ ٣)

ولقد مات «يوحنا المعمدان» مقتولاً في السجن ولم يؤمن أو يتبع المسيح. فكيف يعقل أن يكون المسيح هو ذلك السيد ولا يؤمن به من كان يهيء الطريق قدامه فنحن أمام واحدة من اثنتين:

إما أن المسيح لم يكن ذلك السيد الذي كان «يوحنا المعمدان» يهيء الطريق أمامه، وإما أن المسيح قد أخطأ بوصف «يوحنا

المعمدان». إنه ذلك الملاك الذي يهيء الطريق أمام وجه السيد. حاشى للمسيح أن يكون مخطئاً.

بل لقد كان «يوحنا المعمدان» يهيء الطريق أمام سيد قادم بعده، لا سيد معاصر له، وهذا السيد القادم ليس بالمسيح ولكنه «محمد».

هذا ما كان من تبشير العهد القديم «بمحمد»، ونحن لا نفرق بين العهد القديم وبين نبوءات المسيح. لأن المسيح قد قال:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس او الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل.[18] فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل».

(متى ص ٥: ١٧ ـ ١٨)

فإن كان المسيح قد أتى ليكمل الناموس، أي العهد القديم، فإننا قد نظرنا فيما كان المسيح مصدقاً به. لنرى فيه النبوءات «بمحمد».

وسوف نقرأ في العهد القديم شيئاً جديداً لم نقرأه قبلاً، وسوف يكون هو آخر ما نقرأ في العهد القديم.

قبل القراءة في هذا النص الأخير، نود أن نسمع المسيح وهو يصف نفسه، كما يقول الإنجيل، بالآتي:

«لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين».

(مرقس ص ١٠: ٤٥)

«ابن الإنسان» وصف يتكرر في الأناجيل ثلاثاً وثمانين مرة، فماذا كان اليسوع يعني بابن الإنسان؟

إن كان يعني أنه أنسي آدمي من سلالة إنسان، فهو لم يتعدَّ الحقيقة كثيراً، لأنه ابن امرأة وهي من جنس الإنسان.

ولكن المسيح، كما يفسر أهل المسيحية والتلاميذ، إنما أطلق على نفسه هذا الاسم وهذه الصفة. لأنه اسم وصفة جاءت في العهد القديم. جاءت في سفر «دانيال» في الإصحاح السابع، والقراءة في

ذلك الإصحاح طويلة بعض الشيء. وسوف نختصر مقدمة ذلك الإصحاح بما يلي:

النبي «دانيال رأى رؤيا في منامه شاهد فيها أربعة حيوانات مخيفة: أسداً له جناحان ودباً بين أسنانه ثلاثة أضلع، ونمراً على ظهره أربعة أجنحة طائر، أما الحيوان الرابع فقد كان حيواناً هائلاً له أسنان من حديد. وهو قد أكل وسحق الحيوانات الأخرى برجليه، وكان له عشرة قرون.

ولنتابع كلمات ذلك الإصحاح على لسان قائلها أو كاتبها:

«كنت متأملاً بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن وفم متكلم بعظائم [٩] كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. [١٠] نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار [١١] كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار [١٢] أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حيوة إلى زمان ووقت [١٣] كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه [١٤] فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض».

(دانيال ص ٧: ٨ ـ ١٤)

وهكذا، فإن المسمى «ابن الإنسان» أو من هو مثل ابن الإنسان، قد قرب من «القديم الأيام» التي تعني الرب، «وابن الإنسان» قد أعطي سلطاناً أبدياً وملكوتاً لا ينقرض، ترى من هو ذاك الذي مثل «ابن الإنسان»؟ جواب الأخوة المسيحيين يأتي بلا تردد. إنه «يسوع» المسيح. فهل نقبل جوابهم؟

لا نستطيع أن نقبل هذا الجواب بهذه السرعة ودون التدقيق

والتمحيص، وحتى نستطيع أن نفعل ذلك علينا أن نواصل القراءة في ذلك الإصحاح من سفر «دانيال».

«أما أنا دانيال فحزنت روحي في وسط جسمي وأفزعتني رؤى رأسي [١٦] فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة في كل هذا. فأخبرني وعرفني تفسير الأمور [١٧] هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة هي أربعة ملوك يقومون على الأرض [١٨] أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين [١٩] حينئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذي كان مخالفاً لكلها وهائلاً جداً وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق وداس الباقي برجليه [٢٠] وعن القرون العشرة التي برأسه وعن الآخر الذي طلع فسقطت قدامه ثلاثة وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه [٢١] وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم [٢٢] حتى جاء القديم الأيام وأعطي الدين لقديسي العلي وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة [٢٣] فقال هكذا. أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها [٢٤] والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويُذِلُّ ثلاثة ملوك [٢٥] ويتكلم بكلام ضد العلي ويبلي قديسي العلي ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان [٢٦] فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى [٢٧] والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلي. ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون».

(دانيال ص ٧: ١٥ ـ ٢٧)

ترى من هو ذلك الملك الذي كان في صورة قرن له عيون وفم متكلم بعظائم ضد العلي؟ وماهية مملكته؟ بل ما هي الممالك الثلاث التي ظهرت بصورة حيوانات ثلاثة انتصر عليها الحيوان الرابع؟ الممالك الثلاث أو الأمبراطوريات الثلاث كانت الامبراطورية الكلدونية والامبراطورية الفارسية والأمبراطورية اليونانية، أما الامبراطورية الرابعة التي سحقت الامبراطوريات الثلاث فهي لا شك كانت الامبراطورية الرومانية، ومثّلها ذلك الحيوان الهائل ذو القرون

العشرة، أما العشرة قرون التي كانت على رأس ذلك الحيوان فإنها كانت تمثل القياصرة العشرة الذين طاردوا المسيحيين الأوائل، أما القرن ذو العيون والفم المتكلم بعظائم فقد كان بلا شك هو «قسطنطين العظيم». ذلك القيصر الذي اعتنق المسيحية. فإن كانت الحيوانات الأربعة هي رمز للشر ومخالفة لأوامر الله وتعذب القديسين، فكيف يكون «قسطنطين العظيم» متكلماً بعظائم ضد العلي؟ يكون ذلك لأنه هو القيصر الذي انتصر على ثلاثة من خصومه. وهذا ينطبق على تفسير الرؤيا التي رآها «دانيال»، كما أنه مطابق للرؤيا حين انفرد دون جميع الحيوانات الأربعة والقرون العشرة بوجود عيون وفم. ما يعني أنه كان يرى ويتحدث.

فأما رؤياه فهي في اعتناقه المسيحية على خلاف الجميع، وأما فمه المتحدث بعظائم ضد العلي، فإنه فعلها عندما استقر في تركيا واتخذ عاصمة له مدينة «القسطنطينية» التي نسميها «اسطنبول»، ذلك أنه بعد أن استقر هناك في عاصمته الجديدة القسطنطينية قام في عام ٣٢٥ بعد الميلاد وجمع رجال الدين فيما يسمى بمجمع أو اجتماع «نكّيا». وقد خرج ذلك الاجتماع، بمباركة وإرشاد «قسطنطين»، بذلك الركن المسيحي المهم والقائل بأن المسيح ثالث ثلاثة.

خرج الاجتماع باعتماد مبدأ الثالوث المقدس وبتلك العقيدة المثلثة التي تعتمد على أن الله والمسيح والروح القدس هم زوايا مثلثها الإيماني. هذا ما كان يعنيه التفسير بأن ذلك القرن كان يتكلم بعظائم ضد العلي، لأن أعظم خطيئة هي في إشراك أحد مع الله في ألوهيته، أما بلاؤه لقديسي العلي فقد حدث بما قام به من معاقبة ومحاربة كل مؤمن رفض ذلك الرأي وتلك العقيدة، فلقد كان هناك كثير وكثير ممن خالف تلك العقيدة التي ابتدعها «قسطنطين» ومن ذل له وطاوعه من رجال الدين المسيحي، وكان هناك أغلبية مسيحية مؤمنة بالوحدة الإلهية، وهم موحدون كما كان «ابراهيم» و «موسى» و «داود» والمسيح نفسه.

ولم يكتف «قسطنطين» بإعلان هذه العقيدة وفرضها على المسيحيين بل تعداها إلى تعذيب وقتل من عارضه من رجال الدين، ومن أراد أن يعرف عن تلك الوحشية في تعذيب أولئك المسيحيين الأوائل، فما عليه إلا قراءة تاريخها في تلك الكتب الكثيرة التي تتحدث عنها، وعلى رأسها كتب تاريخ الكنيسة.

هذا هو التفسير الذي ينطبق على «قسطنطين» ولقد حار رجال الدين المسيحيون في تفسير رؤيا «دانيال» بخصوص ذلك القرن ذي العيون والفم، فحاولوا إلصاقها بعدة شخصيات تاريخية كان منها «محمد» عليه الصلاة والسلام. ثم انتهوا إلى أنه المسيح الكذاب.

ولكننا لا نرى تفسيراً آخر لتلك الرؤيا للنبي «دانيال».

هذا ونعود لنقطة مهمة هي الأصل في تعرضنا لتلك الرؤيا المكتوبة في العهد القديم. ومن هو ذلك الذي هو مثل ابن الإنسان؟ أو «ابن الانسان»؟ هل كان هو المسيح؟

لو كان المسيح لانتصر المسيح على المملكة الرابعة، أي المملكة الرومانية، ولكن المسيح مات على صليب روماني.

وابن الإنسان الوحيد الذي اقتلع ذلك القرن الآثم «قسطنطين» هو «محمد» ودينه. أما مملكة ومدينة «قسطنطين» فها هي إلى الآن مدينة مسلمة منذ دخول الإسلام إليها. «فاسطنبول» عاصمة «قسطنطين». عادت إلى توحيد الله ورجعت عن عظائم ذلك القرن الآثم.

ومن ثم، فإننا نقول إن تسمية المسيح «بإبن الإنسان» لا تجوز إن كانت لتطابق رؤيا النبي «دانيال».

ولكنها تجوز إن كانت تعني أن المسيح هو من سلالة إنسان.

أما «ابن الإنسان» ذاك المذكور في رؤيا «دانيال» فهو لا شك «محمد».

وبهذا نكتفي من تنبوءات ونصوص العهد القديم.

* * * * *

أما الآن فإننا نتفرغ للعهد الجديد لنرى ما قال المسيح عن مجيء «محمد». أولاً لنسأل سؤالاً مهماً للغاية: ترى هل قال المسيح أن ليس هناك أنبياء بعده؟

«لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً».

(مرقس ص ١٣: ٢٢)

إذن فهناك أنبياء كذبة تنبأ المسيح بظهورهم وقيامهم، فهل كل الأنبياء بعد المسيح أنبياء كذبة؟ إن «يوحنا» تلميذ المسيح يخبرنا في رسالته الأولى بما يلي:

«أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم».

(١ يوحنا ص ٤: ١)

إذن فهناك أنبياء كذبة وهناك أنبياء من الله فكيف نفرق بينهم؟ وكيف نعرف النبي الكاذب من النبي الصادق؟

إن المسيح نفسه يعطينا الجواب المقنع:

«احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة [١٦] من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً [١٧] هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة. وأما الشجرة الرديّة فتصنع أثماراً رديّة».

(متى ص ٧: ١٥ ـ ١٧)

إذن هناك أنبياء كذبة وهناك أنبياء صادقون، ويعرف الفرق بينهما بالنظر إلى ثمارهما لمعرفة الجيد من الرديء. والثمار هنا تفيد ما يخرج من هؤلاء الأنبياء من دعوة وإرشاد، وسوف نترك ذلك الفرق ونكتفي الآن بالقول بأن المسيح قد تنبأ بظهور أنبياء من بعده، فهل خص المسيح أحد الأنبياء من بعده بالذكر.

«الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني. والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني».

(يوحنا ص ١٣: ٢٠)

إذن فهناك من سيرسله المسيح. ومن يقبل بهذا الذي يرسله المسيح سوف يقبل المسيح ومن يقبل المسيح يقبل الله الذي أرسل المسيح.

فلماذا يرسل المسيح رسولاً؟

«إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن».

(يوحنا ص ١٦: ١٢)

لهذا السبب وجب أن يكون هناك من يأتي بعد المسيح رسولاً. لأن المسيح عنده أمور كثيرة يريد أن يقولها. ولكنه لا يستطيع أن يفعل. لا عن عجز أو قلة علم. فالمسيح رسول يوحى إليه علم إلهي.

إنه لا يقول تلك الأمور، لأن تلاميذه لايستطيعون أن يحتملوها في ذلك الوقت. لقلة إدراك أو ضيق أفق.

(والمنطق يفرض علينا أن نقول إن من يأتي بعد المسيح لا يأتي بعده مباشرة. ولا حتى ببضع سنوات. لأن قدرة الاحتمال والمعرفة لدى التلاميذ لن تتغير بهذه السرعة. وإلا كان المسيح أولى بأن يخبرهم بما يعلم. فالمنطق يحتم أن يكون ذلك الرسول قادماً بعد مضي وقت طويل على ذهاب المسيح).

من ذاك الذي سيرسله المسيح؟ ولماذا؟

«لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب ٢٦ ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي».

(يوحنا ص ١٥: ٢٥ ـ ٢٦)

إذن فالرسول هنا يسميه المسيح «بالمعزي» وهو «روح حق» منبثق من الله وهو يشهد للمسيح.

أما كون ذلك الرسول يشهد للمسيح فهو أمر سوف نـأتيه لاحقـاً، ولكننا نسأل من هو هذا «المعزي» الذي هو روح حق.

يجيبنا على ذلك كل مسيحي قرأ الإنجيل ولم يتبصّر به.

«وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسلـه الآب باسمي فهـو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم».

(يوحنا ص ١٤: ٢٦)

إذن فـالمسيحية تقـول: إن «المعـزي» و «الـروح الحق» إنمـا هـو «الروح القدس» لا غيره.

ونحن نقول إن هذا تحـريف أو إساءة فهم، غـير محدودة. وذلـك لأسباب ثلاثة.

السبب الأول: إن كلمة «الروح القدس» كما في الأنـاجيل المكتـوبة باللغات الأجنبية، موجودة بين فاصلتين وهي تقول: أما المعـزي الذي هو، الروح القدس، الذي سيرسله... ووجود تلك الكلمة بين فـاصلتين ما هو إلا دليل إضافة تتضح لنا بعد قليل. وهي تذكرنا بتلك الإضافة التي أضافها اليهود حين أراد الرب أن يمتحن إيمان «إبراهيم» عليه السـلام بفداء ابنـه. فقد زاد اليهـود اسم «إسحق» بين فـاصلتـين أيضـاً، كما في التـرجمات الأجنبيـة للإنجيـل، وذلك بعـد قول الـرب لإبراهيم: ابنك وحيدك الذي تحبـه، إسحق،... فمثلما كـان مستحيلاً على «إسحق» أن يكون المقصود بالابن الـوحيد. كـذلك هـو مستحيل على «الروح القدس» أن يكون المقصود «بالمعزي».

وهذا سيتضح من السببين الثاني والثالث.

السبب الثـاني: لو كـان «الروح القـدس» هو المقصـود، وأن ذلك «الروح القدس» كان سيعلم التلاميذ كل شيء، ويذكرهم بكل ما قـاله المسيح لهم.

فنحن نسـأل كيف تـذكـر بعض التـلاميـذ قصصـاً ذكـروهـا في

تبشيرهم ونساها آخرون فلم يذكروها، ومنها هذا الحديث نفسه للمسيح؟

وكيف كانت هناك تلك التناقضات الفادحة والمتعارضة في روايات رواها من كانوا سيذكّرون من قبل «الروح القدس».

والمنطق يقول: إن افترضنا أن ذلك «المعزي» هو «الروح القدس» فإننا أمام خيارين:

الأول: إن نبوءة المسيح لم تتحقق في إخبار «الروح القدس» وتذكيره للتلاميذ بكل ما قاله المسيح.

الثاني: إن «الروح القدس» كان محابياً لبعض التلاميذ على البعض الآخر فآثرهم بتذكر أشياء نسيها الآخرون.

وكلا الخيارين خيار تشكيك وتكفير مكروه ومرفوض. ولكن الحق أن «الروح القدس» ليس هو «المعزي»، وذلك واضح من السبب الثالث.

السبب الثالث: إن «الروح القدس» في المفهوم المسيحي هي «روح الله»، وهي جزء واحد لا يتجزأ. فإن جازت التجزئة فلا يجوز أن يكون هناك «روح قدس» آخر. لأن الله الذي «لا إله سواه» باعتراف المسيح وأنبياء اليهود، لا يمكن أن يكون له روحان مقدسان مختلفان.

وهنا نجد ما ينقض النظرية التي تقول إن «الروح القدس» هي «المعزي».

«وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد».
(يوحنا ص ١٤: ١٦)

إذن هناك «معزياً» آخر. فكيف يجوز أن نقول إن «الروح القدس» هي روح آخر؟؟ طبعاً لا يجوز.

ولكن الذي يجوز وينطبق مع قصد المسيح ومع المنطق والتاريخ هو أن هذا «المعزي» هو نبي ورسول.

فتتلاءم التعبيرات والمعاني في النصوص بذلك المفهوم.

والمسيح عندما قال «فيعطيكم معزياً آخر»، فإنه قصد نبياً آخر يأتي من بعده. لأن المسيح نبي ذاهب. وأما النبي القادم فهو ماكث إلى الأبد حيث لا نبي بعده. فهل هناك نبي غير «محمد» شهد للمسيح؟، وهل هناك نبي أتى بعد «محمد»؟

ثم دعونا ننظر لهذا النص الذي يبطل المفهوم القائل بأن «المعزي» هو «الروح القدس».

«لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم».

(يوحنا ص ١٦: ٧)

وهكذا فالمسيح يقول بأن «المعزي» لا يأتي بوجود المسيح. وإنما يأتي بعد أن يذهب المسيح وينطلق عن الدنيا.

وهذا هو أكبر برهان على أن «المعزي» ما هو إلا شخص نبي. لا «الروح القدس».

وذلك لأن الروح القدس كانت قبل المسيح بكثير:

«ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدواً وهو حاربهم».

(اشعياء ص ٦٣: ١٠)

«والروح القدس» كانت قبل المسيح بقليل:

«... لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس».

(متى ص ١: ١٨)

«والروح القدس» كانت مع المسيح ترفرف عليه كحمامة:

«ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً. وإذ كان يصلي انفتحت

السماء[٢٢] ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت».

(لوقا ص ٣: ٢١ ـ ٢٢)

وهذه النصوص تبين لنا أن «الروح القدس» لا يشترط قدومه أن يذهب المسيح. ولكن «المعزي» النبي يشترط قدومه أن يذهب المسيح. لأن ليس هناك حكمة من وجود الاثنين معاً في زمان واحد.

ونعتقد أن هذه الأدلة والبراهين تكفي أشد المتعصبين من الأخوة المسيحيين، لأن يعترف بأن المعزي الذي وعد به المسيح وبشر به لا يمكن أن يكون «الروح القدس»، وإنما هو نبي آخر يأتي بعد ذهاب المسيح بوقت وزمان.

ونحن نسأل: من هو ذلك النبي الذي جاء بعد المسيح بزمان، وبيده شرع جديد أزال به شرع «يهوذا»؟

من هو ذلك النبي الذي أتى من ديار «قيدار» ومن جبال «فاران» الحجازية من أرض «تيماء» العربية؟ من هو ذلك النبي الذي شهد للمسيح؟ أهناك نبي غير «محمد» عليه صلاة الله وسلامه؟

ولنستمع للمسيح عليه السلام وهو يضع ختمه على تلك النبوءة وذلك التبشير «بمحمد»

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية[١٤] ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم[١٥] كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم».

(يوحنا ص ١٦: ١٢ ـ ١٥)

إذن فذاك «المعزي» الذي يأخذ مما هو للرب، والذي اعتبره المسيح مما له أيضاً، لا يتكلم من نفسه. بل كل ما يسمع يتكلم به.

أليست هذه مواصفات النبي الذي وعد الله به «موسى» قائلاً له: «إنه مثلك». وأما كون ذلك النبي «المعزي» يمجد المسيح عليه

السلام. فليس هناك غير «محمد» الذي كان ممجداً للمسيح في كل حديث تطرق فيه للمسيح وأمه. وهو فوق ذلك قد جعل جميع أتباعه لا ينطقون باسم «عيسى ابن مريم» أو المسيح إلا وقالوا بعدها مباشرة «عليه السلام». ويوجد اليوم أكثر من بليون مسلم يمجدون المسيح بقولهم «عيسى عليه السلام». وهم إذ يفعلون هذا بهدي «محمد» إنما هم يمجدون المسيح أكثر مما يمجده أتباع المسيح أنفسهم.

ثم دعونا نتوقف عند مفهوم «المعزي» التي يقول الإنجيل العربي، إن المسيح قد قال به.

فبعدما أثبتنا أن ذلك المعزي لا يمكن أن يكون «الروح القدس». وإنما هو نبي فلنا أن نسأل عن معنى «المعزي».

إن المسيح عليه السلام عندما وعد تلاميذه بذلك «المعزي» كان يعدهم وهو على علم بانتقاله إلى العالم الآخر في وقت قريب.

فإن أخذنا المعنى الحرفي لكلمة معزي، والتي تعني أنه شخص يقدم العزاء. فإننا نفهم من ذلك أن «المعزي» القادم سوف يقدم العزاء للتلاميذ الذين سيفقدون المسيح بعد ارتفاعه إلى السماء.

ولكن هل ينفع العزاء من فَقَد «عزيزاً» عليه. وهل يرجع العزاء ذلك المفقود؟... يكون الجواب بالنفي طبعاً. فما فائدة «العزاء» إذاً.

ثم إن المسيح إن كان قد قال إن هناك «معزياً» آخر سيأتي. أفليس عجيباً أنه لا يقول للتلاميذ إن هذا «المعزي» سوف «يعزيهم» ويخفف من محنتهم وبلائهم بفقد سيدهم المسيح؟

فنحن لا نقرأ في الإنجيل أن هذا «المعزي» سوف يجيء للتعزية وتقديم العزاء. ولكننا نسمع المسيح يقول:

«ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيّةٍ وعلى برّ وعلى دينونةٍ [٩] أما على خطيّة فلأنهم لا يؤمنون بي [١٠] وأما على برٍّ فلأني ذاهب إلى ابي ولا ترونني أيضاً [١١] وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين».

(يوحنا ص ١٦: ٨ ـ ١١)

إذن فهناك مهام ثلاث لهذا «المعزي» وهي لا تشمل «تقديم العزاء»:

١ ـ إنه يدعو للإيمان بالمسيح.
٢ ـ إنه يؤكد ارتفاع المسيح إلى الله.
٣ ـ إنه يحاكم رئيس هذا العالم ويدينه.

وهو في ذلك كله إنما يفعل ما يفعل «للعالم» كله وليس لمجموعة محدودة من الناس.

أما دعوة «محمد» للإيمان بالمسيح، فهي أمر لا يحتاج إلى دليل.

وأما شهادته بأن المسيح قد ارتفع إلى الله، فهي موجودة في القرآن.

وأما محاكمته لرئيس هذا العالم، فهي ما يحتاج إلى بعض الشرح.

من هو رئيس العالم؟

حسب المفهوم الإنجيلي فإن رئيس هذا العالم هو الشيطان.

«الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً».
(يوحنا ص ١٢: ٣١)

ومن يقرأ القرآن لا يجد حكماً وإدانة للشيطان أكثر مما هو موجود في القرآن.

وقارىء القرآن المسلم لا يبدأ قراءة القرآن إلا قائلاً:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ثم يتلوها بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ويأخذ بعد هاتين الجملتين بتلاوة القرآن.

أفلا ترى أيها القارىء أن «محمداً» هو الذي قام بما وعد المسيح به التلاميذ من أفعال يقوم بها ذلك «المعزي».

ولكن الأهم من ذلك كله هو في استخراج الأصل من معنى كلمة «معزي».

إن الإنجيل العربي ما هو إلا ترجمة للإنجيل المكتوب، حسب أقدم المخطوطات، باللغة اليونانية.

وكلمة «معزي» في الانجيل العربي يقابلها في الإنجيل اليوناني كلمة برقليطس PARAQLYTOS.

والباحث عن معنى «معزي» أو العزاء في اللغة اليونانية يجدها في كلمة PARYGORYTYS.

أما كلمة «PARAGLYTOS» في اليونانية فهي تعني حرفياً: المميز، والمجد، والمحمود كثيراً.

ترى أليس معنى «محمد» هو نفسه المعنى والمعاني هذه؟

وأليس غريباً أن يكون «محمد» هو أول من سُمي بهذا الاسم الذي لم تسمع به العرب قبله(*)؟

ولا تستغرب أيها القارىء فإن هذا الاختلاط ما بين «معزي» و «محمد» إنما هو فعل الترجمة وأخطاء المترجمين باللغة الأصلية.

والإنجيل العربي إنما هو مأخوذ ومترجم عن اليونانية. والإنجيل اليوناني إنما هو مأخوذ ومترجم عن السريانية أو اليهودية القديمة التي كانت لغة المسيح وتلاميذه. ومن ينظر إلى سيرة ابن هشام صفحة ٢٤ ـ ٢٥، يجد الآتي:

(*) إن التاريخ يقول إن هناك ثلاثة قبل «محمد» قد كان لهم هذا الاسم بين العرب. ويقال إن آباء الثلاثة كانوا عند بعض الملوك من أهل الكتاب فعرفوا منهم أن هناك نبياً سيأتي من بلاد العرب اسمه «محمد»، فطمع الآباء الثلاثة كل على حدة في أن يكونوا آباء ذلك النبي فسموا أولادهم بذلك الاسم.

وهؤلاء الثلاثة هم:

ـ محمد بن سفيان ابن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر. ومحمد بن أحيحة بن الجلاح. ومحمد بن حمران بن ربيعة. ولكن أحداً من الثلاثة لم يكن له شأن يذكر. (عن سيرة ابن هشام ص ٢٧).

(وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ، مما أثبت يحنّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ، أنه قال:

«من أبغضني فقد أبغض الرب. ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة. ولكن من الآية بطروا وظنوا أنهم يعزّونني(*) وأيضاً للرب، ولكن لا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس. إنهم أبغضوني مجاناً أي باطلاً ـ فلو قد جاء المنحمنا(**) هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب. روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد علي وأنتم أيضاً، لأنكم قديماً كنتم معي. في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا).

اقرأ هذا الذي يقوله ابن هشام، وقارن هذا النص الإنجيلي الذي جاء به، مع النص الإنجيلي المتداول بيننا اليوم في (يوحنا ص ١٥: ٢٣ ـ ٢٦)، اقرأ النصين أيها القارىء وقرر أيهما أقرب للمنطق والعقل. ثم لتسأل أيها القارىء عن معنى الإنجيل:

هل كلمة الإنجيل تعني شيئاً غير التبشير؟

وهل كان المسيح إلا مبشراً؟

سيقول لنا الاخوة المسيحيون: نعم. الإنجيل هو يعني التبشير. والمسيح كان مبشراً.

فبماذا بشر المسيح؟

سيقول لنا الأخوة المسيحيون بملكوت الله.

فنسأل متعجبين أين ملكوت الله هذا؟

ألستم تنتظرون منذ ألفي سنة ولم تروا هذا الملكوت؟

(*) عزه يعزه: غلبه.

(**) «المنحمنا» بالسريانية: محمد وهو بالرومية «البرقليطس».

ألا تعتقدون أن المسيح ما كان مبشراً بملكوت الله بل كان مبشـراً بنبي يأتي من بعده؟

ولقد نطق المسيح باسمه «المنحمنا» أي «محمد» الذي غيره أتبـاع المسيح إلى «المعزي».

والأهم من ذلك أن المسيح قد أعطى صفات ذلـك النبي الذي أتى المسيح ليبشّر به.

ونسأل اخوتنا المسيحيين: هل هناك روح حق شهـد للمسيح غـير «محمد»؟

و «محمد» لا شك أنه قد كان «روح حق».

وقرآنه قد أظهر لنا حقيقة المسيح عليه السلام.

وتلك الحقيقة أجلّ وأسمى من الحقيقة التي حـاول كتبة الإنجيـل إيهامنا بها.

وقرآنه قد حقق لنا نبوءات المسيح.

وقرآن «محمد» قد مجد المسيح بما لم يمجده أحد.

وشتان بين تمجيد محمد للمسيح وتمجيد كتبة الإنجيل للمسيح.

شتان بين تمجيد حق وتمجيد مبالغة وسوء فهم وقُصر إدراك.

شتان بين تمجيد صدق وتمجيد خيال.

وهكذا نجد الآتي:

نبي مثل «موسى» .... «محمد»

نبي أمي لا يقرأ .... «محمد»

نبي لا يتكلم إلا ما يسمع .... «محمد»

نبي يتكلم باسم الله .... «محمد»

نبي يأخذ الشرع من نسل «يهوذا» .... «محمد»

نبي ليس من نسل «داود» .... «محمد»

نبي يأتي من جهة بلاد العرب .... «محمد»

نبي من جبال «فاران» الحجازية وأرض تيماء .... «محمد»

نبي يطلق أغنية جديدة تمجد الرب وتقول

«الله أكبر» .... «محمد»

نبي يمهد طريقه «يوحنا المعمدان» .... «محمد»

نبي يأتي بعد المسيح .... «محمد»

نبي يمجد المسيح .... «محمد»

أبعد هذه الأدلة والبراهين نحتاج إلى إنجيل «برنابا» ليقول لنا: إن المسيح قد بشر بنبي اسمه «أحمد» أو «محمد» يأتي من بعده؟

كلا. فإن فيما قدمنا من أدلة وبراهين على أن المسيح قد بشر «بمحمد» هي أدلة أكثر من كافية وهي براهين موجودة في الأناجيل التي يعترف بها المسيحيون ويتداولونها يومياً.

هذا تبشير المسيح بمحمد ومن أراد أكثر فليقرأ أكثر فهناك الكثير مما لم نجد لنا حاجة فيه رغم أهميته، وقد تركناه لكل من أراد أن يكتشف بنفسه.

اقرأ الإنجيل أيها القارىء.

اقرأه بعين وعقل مفتوحين. ثم احكم بنفسك. وقرر ما تراه يرضي عقلك ويستقر في ضميرك.

أما إن سألت عن براهين «محمد» على صدق نبوءته وصدق وحيه، فسوف نوجز لك بعض البراهين من قرآن «محمد».

﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون﴾. (الذاريات: ٤٧)، وحرف «اللام» الذي دخل على فعل «موسعون» يدل على الاستمرارية في التوسع.

ولو سألت عالماً من علوم الطبيعة المختصين بعلم الفضاء الخارجي، لقال لك إن الكون والسماء في عملية توسع مستمرة، لأن الأجرام والمجرات مستمرة في التباعد عن بعضها البعض إلى ما لا نهاية.

فسل نفسك أيها القارىء كيف عرف «محمد» أو وحيه بذلك؟

ثم اقرأ القرآن لتجد.

﴿أوَلَمْ يـر الـذين كفـروا أن السمـوات والأرض كانتـا رتقـاً ففتقنـاهمـا...﴾ (الأنبيـاء: ٣٠)، والعلم الحـديث يقـول إن جميـع الأجرام السماويـة بما فيهـا مجرتنـا وكوكبنـا الأرضي كانت جميعـاً سديماً واحداً انفصل وتناثر.

فكيف عرف «محمد» أو «وحيه» بذلك؟

وكيف جاز له أن يسأل «أو لم ير الذين كفروا...»؟

إلا إذا كـان الذين كفـروا ممن يستطيع رؤيـة ذلك الـرتق الـذي انفتق.

وهذا دليل على أن قرآن «محمد» لم يرسـل ليكلم الذين كفـروا في زمان «محمد» فقط بل يتعداهم إلى الذين كفروا في زماننا اليوم.

ثم انظر القرآن وهو يقول في فرعون الذي يغرق في البحر:

﴿فاليوم نُنَجيك ببدنـك لتكون لمن خلفـك آية...﴾. (يـونس: ٩٢)، كيف عرف «محمد» أو «وحيه» بأن بدن فرعون وجسمه محفـوظ منذ ذلك العهد، والعالم لم يعرف بذلك إلا منذ بضع عشرات من السنـين لا تزيد عن المائة والخمسين عاماً.

كانت هذه براهين محدودة من براهين علمية بلا حدود متـوفرة في القرآن لكل من أراد أن يجدها بين الآيات والسور.

وفي النهـاية سنـرد عـلى مقولتيـن يتحجـج بهمـا بعض الأخـوة المسيحيين.

الأولى: وهي بأن الله من العظمة والرحمة، بحيث إنـه لا يأنف من أن يجيء الأرض كطفل في حضن «مريم»، ويكبر إنسانـاً بين النـاس يفعل ما يفعله الناس من نوم وأكل وإخراج.

ونحن نقـول إن الله أعظم من أن يفعل هـذا، وأجـل من أن نـراه بتصرفات إنسان مثلنـا. ومن ثم فإننـا رغم حبنا وشهـادتنا بطبيعـة المسيح عليه السلام، لا نستطيع أن نسميه بابن الله أو بـإله. وإنمـا هو بشر مثلنا حباه الله بنعم ومزايا لم يمنح مثلها لبقية البشر.

المقولة الثـانية: هي مـا يشيعه البعض من أن دين «محمـد» إنما انتشر بحد السيف. وهي مقولة مردود عليهـا، بأن الإسـلام لو كـان منتشـراً بحـد السيف لمـا بقي مسيحي واحـد ولا يهودي واحد في الجزيرة العربية. وهم بحمـد الله كثيرون. ولـو كان الإسـلام منتشراً بحد السيف، لرأينا مسلمين في اسبانيا بعد رحيل المسلمين عنها.

ولكن الحقيقة هي أن الإسلام كان منتشراً لاقتناع الناس به. ولقد سلط الإسـلام سيفه عـلى من كان يشرك بالله. أمـا أهل الكتـاب من مسيحيين ويهود فقد تركهم وشأنهم لأنهم قوم موحدون يؤمنـون بالله الواحد. فأغلب المسيحيين الشرقيين لا يؤمنون بثالوث مقدس، بل بإله واحد هو الله.

وإن مـا خططناه في هذا الكتاب ما كان إلا دراسـة لإظهار حقيقـة خفت على الكثيرين وجهلوا دقائقها وتفاصيلها.

فهي ليست كرهاً في المسيحية أو اليهودية. فأهل الديانتين أخـوان لنا نكنّ لهم كل الود والمحبة.

وختاماً نقول:

﴿..... الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنـا لنهتدي لـولا أن هدانا الله.....﴾. (الأعراف: ٤٣).

فهرس الأعلام

هل بشر المسيح بمحمد؟

يتالف الكتاب المقدس من عهدين قديم وجديد وهو مقسم الى اسفار في العهد القديم واناجيل ورسائل في العهد الجديد. هذه الأسفار والاناجيل تنسب الى رسل وانبياء وقد كتبت على فترات من التاريخ في مخطوطات قديمة لا أصل ثابت لها.

فالمتفق عليه ان ما انزل الله على النبي «موسى» مثلاً كان مكتوباً على الواح من حجر ولكن هذه الألواح غير موجودة ولا توجد اصول كتبت بيد كاتبها وبعض الكتب لا يعرف كاتبها وانما تنسب اليه، وتتكرر هذه المشكلة في العهد الجديد، حيث ان كل انجيل ينسب الى رسول وهو لم يكتب باللغة الأصلية التي تكلم بها النبي عيسى وهي اللغة الآرامية ولا تلاميذه الذين نسبت اليهم هذه الاناجيل وكلها منسوبة الى أولئك الرسل وليس بينها انجيل واحد منسوب الى السيد المسيح نفسه.

ويحاول المؤلف في هذا الكتاب ان يثبت من خلال قراءة متانية في العهدين القديم والجديد ومما روى عنه تلامذته بأن السيد المسيح قد بشر برسول بعده وان هذا الرسول هو النبي محمد (ص).



1855130289